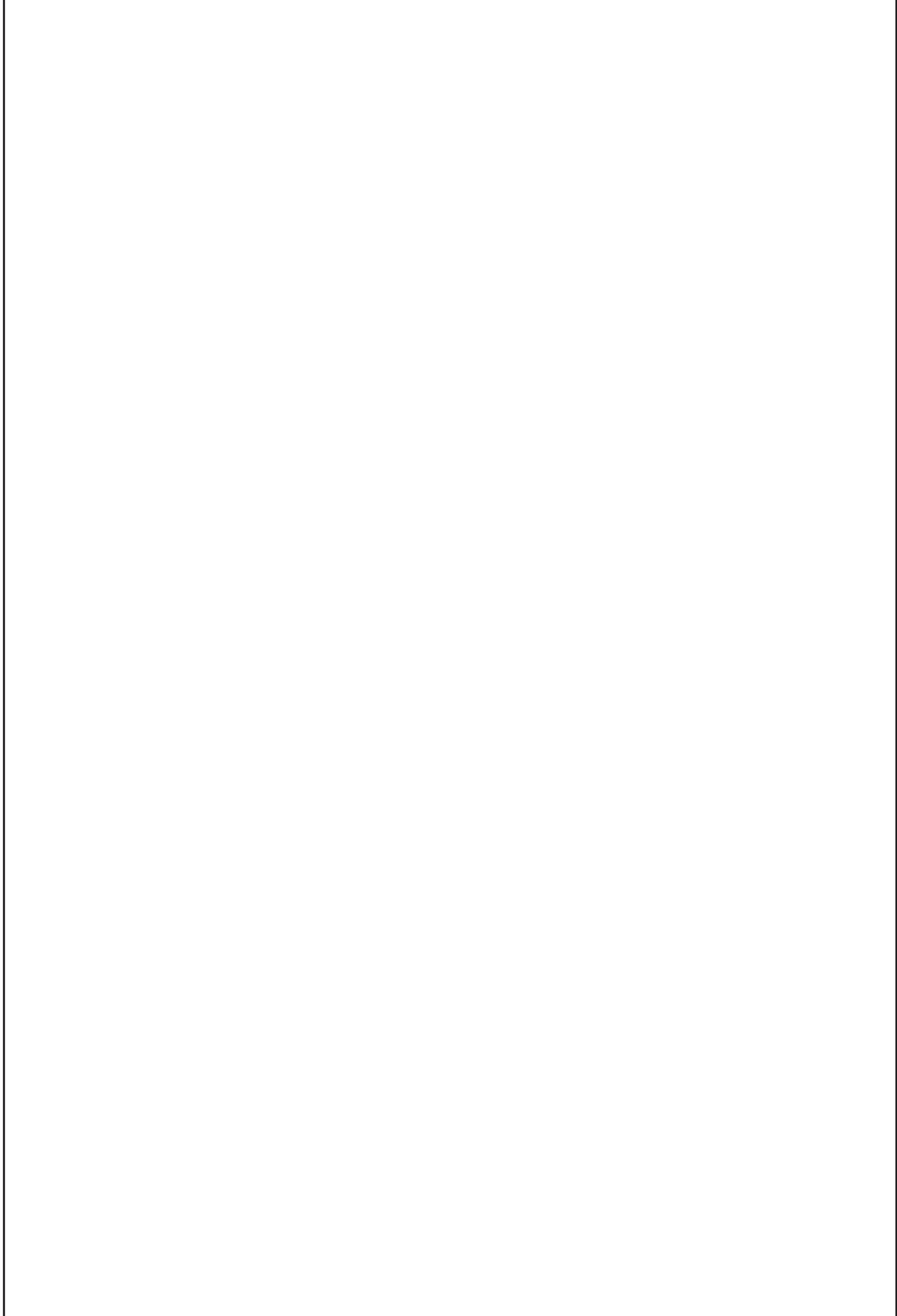
من سلسلة الدراسات الأمنية:

صراع في الظلام

كيفية المواجهة في أقبية التحقيق

إصدار:
مركز ابن اليمان الإعلامي للتوعية الامنية
حركة المقاومة الاسلامية حماس
سجون الاحتلال



الإهداء...

- إلى المعلم الأول سيد الخلق أجمعين محمد بن عبدالله ﷺ
- إلى الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه وما زالوا ينتظرون.
- إلى روح الإمام الشهيد أحمد ياسين ورفاق دربه القادة العظام.
- إلى الذين صبروا وثّبتوا شعارهم لن يؤتى الإسلام من قبلنا.
- إلى القابضين على زناد المقاومة مرددين هتافهم الخالد ﴿عجلت إليك ربِّ لترضى﴾
- إلى كل من جعل من نفسه سداً منيعاً ليحمي إخوانه ودعوته.
- إلى الذين يؤمنون بأن الشهادة في أقبية التحقيق أرفع بدرجات من الشهادة في أرض المعركة.
- إلى طلائع النور... إلى المجد القادم

نهدي هذا العمل..

مقدّمة

إن ما دفعنا إلى كتابة هذه السطور هدفان، نعتقد أنهما على قدر من الأهمية بالنسبة للمجاهد... أولهما: معرفي، بغية إلقاء الضوء على طبيعة وأساليب وعمل الأجهزة القمعية الصهيونية والطرق التي يلجؤون إليها للإيقاع بالمجاهد... وثانيها: تعليمي، بقصد تحذيرِ المجاهد من هذه الأساليب، وتقديم نصائح وإرشادات بما ينبغي عليه أن يقوم به لتجنب الوقوع في الشراك الخبيثة التي تنشئها هذه الأجهزة، وكيفية التصرف في حال وقوعه في الأسر، وهو أمر واقع الحصول...

تقول الحكمة «اعرف عدوك واعرف نفسك، فبذلك تستطيع أن تخوض مئة معركة بأقل الخسائر» إن معرفة كل مقومات وإمكانيات العدو وطرائقه وخططه ومنهجيته تحقق شرطاً هاماً في إحراز الانتصار في مواجهة المحقق، لعل الفكرة الساذجة التي يحملها بعض المجاهدين عن مجريات الاعتقال والتحقيق كثيراً ما توقعه في مطبّ استسهال الصمود أثناء التحقيق، فالبعض يعتقد أن التحقيق لا يعدو كونه لقاءً مع ضابط مخابرات يحمل في يده عصا سيضربه بها ضرباً مبرحاً، وهو يصرخ بصوت عالٍ اعترف اعترف مكبلاً أبشع الشتائِم، وما على المجاهد إلا الصراخ بصوت عالٍ أيضاً أو اللجوء إلى الصمت حتى يتعب المحقق ثم يلقي عصاه ويرفس المجاهد بقدمه يائساً، مازحاً في وجهه خذوه، إلى الزنزانة حتى يموت، إلا أن التحقيق غير ذلك، وليس هناك من يستطيع أن يؤكد أن التحقيق لا يتجاوز سوى جولة...

إن التحقيق المتبع في أقبية الاحتلال الصهيوني وقبل كل شيء، هو برنامج له أبعاده النفسية والجسدية القائمة على معارف طبية واجتماعية وسيكولوجية... وما أكثر الأساليب التي يمكن ابتداعها وتطويرها انطلاقاً من معرفة العدو بالبيئة والمجتمع العربيين، وخاصة القضايا ذات الحساسية الخاصة لدى الإنسان العربي، مثل الشرف والعرض والدين ومفاهيم الرجولة و الصدق....الخ.

هناك فكرة أخرى عن التحقيق تضخه إلى حد يصبح فيه الهاجس نفسه مخيفاً أكثر من الواقع.... وكثيراً ما نسمع من يقول: إن المحقق يعرف كل شيء، وهو شخص غير عادي، وإن التحقيق هو بالكهرباء وتحطيم الأعضاء والتعليق، وأساليب أخرى لا حصر لها.... ولكن في النهاية يدخل المعتقل الذي يحمل هذا التصور كي يواجه التحقيق وفي داخله استعداد وقابلية مسبقان للانهيار والاعتراف خوفاً...

إن وصايا جاهزة يسمعها المجاهد، وينصح بتطبيقها حال تعرضه للاعتقال، قد لا تفي وحدها بغرض الصمود، فحين يعاهد المعتقل نفسه أن يردد العبارات التالية: (لم أرَ لم أسمع لا أعرف) فإنه يعتقد أنها ستحصّنه وتدعم موقفه في التحقيق، ولكن غالباً ما يحدث أن تسقط هذه العبارات حين ترتطم بواقع وأجواء التحقيق.....

ولأن تلك الوصايا نابعة من الفهم الساذج لعملية التحقيق، فإن المجاهد سيكتشف أن ضابط المخابرات لا يحمل عصا فقط، بل يستخدم طرقاً علمية وأساليب حديثة فيتزعزع ثباته، يقف المناضل ضعيفاً مقطوعاً عارياً أمام ضابط التحقيق حين تكون حالته تلك التي سبق ذكرها ... ويصبح مدفوعاً برغبة الخلاص، حين تضعه أساليب التحقيق في مُناخ نفسي قاسٍ وتخيّره بين أمر كبير وآخر صغير....

ولو افترضنا أنه ثبت المجاهد في التحقيق، قام المحقق باستدعاء أخته أو زوجته وهدده بالاعتداء عليها فإن الأمر سيتغير، فما أن يرفع المحقق سماعة الهاتف ويقول أحضروا فلانة الآن، فإنه يتوقع في نفس الوقت أن تهتز أركان شخصية المجاهد اهتزازاً عنيفاً، ويجعل ضميره يصرخ داخله «شرفك، عرضك، الناس، أنت مجنون»، ويصل توتره إلى مداه ويصبح عاجزاً عن التفكير، إن هذا التوتر العالي يجد متسعاً للتفريغ عبر بوابة واحده، وهي أن يدلي بأيّة معلومات، أيّة معلومات يمكنها أن تلغي إحضار أخته أو زوجته أو ابنته...

إن المعتقل هنا يكون عرضة لصراع مدبر بين الكرامة والشرف الشخصي، وبين القضية والمبدأ اللذين من أجلهما زجّ به في المعتقل.... إنه يسأل أيهما المقدس والثابت في النفس أكثر؟ أيهما المتغير؟! أيهما يمكن التضحية به لحساب الآخر...؟ وأيهما لا مجال للتفريط به على الإطلاق...؟!

إنه شريط التخيل الذي يعبر ذهنه كمشهد حاضر، منذ انطلاقة جنود الاحتلال وتوقف السيارة أمام منزله ثم اقتحامهم الباب وكيف سيأخذون ابنته أو زوجته كيف سيجرونها إلى السيارة...ماذا ستقول الأخت أو الزوجة ثم ماذا يقول ضميره..؟! شرفك يا مجنون ،هؤلاء يهود، ليهدم كل العالم لا تضحِّ بشرفك! هذا الشريط عندما يدور في ذهن المناضل وهو يعيش اللحظات العصيبة والساعات المرة قد تجعله ينهار وربما قد يصرخ: أريد أن أعترف...أريد أن أعترف....

والحقيقة أن الصهاينة غالباً ما يتوقفون في هذه الأمور عند حدود التهديد فقط غير أننا لا نستطيع أن نتجاهل إمكانية حدوثها، أي حدوث الاعتقال، ولم نسمع ولم يحدث أن مُسَّ عِرضُ أو شرفُ معتقلٍ خلال استجواب أو إحضار أهله وخير دليل على ذلك الأخوات الأسيرات... إن المجاهد الذي يجهل أساليب التحقيق سيكون عرضة للانهيار وكم من المجاهدين الأشداء وقعوا في شرك التحقيق وانهاروا لجهلهم بأساليب المخابرات، وقد قمنا بتصنيف هذه المادة تحت عدة أبواب:

الباب الأول: الاعتقال وأشكاله....

وفيه تطرقنا إلى أنواع الاعتقال وأشكاله وكيفية التصرف في حال حدوثه.

الباب الثاني: التحقيق:

تحدثنا في هذا الباب عن أساليب التحقيق، سواء الجسدية منها أو النفسية، كما قدمنا فيه تعريفاً لبعض مصطلحات التحقيق.

الباب الثالث: دور العملاء في مرحلة التحقيق:

وفيه ركزنا على دور العملاء خلال فترة التحقيق، وأشهر أساليبهم، وطرق الوقاية منهم.

الباب الرابع: غرف العار...

وقد أحصينا في هذا الباب أغلب -إن لم نقل كل- أساليب الخداع التي ينصبها صراصير الاحتلال في غرف العار ،وكذلك تحدثنا عن كيفية مواجهة هذه الخدع والألاعيب...

ونحن إذ نقدم هذا العمل لنأمل بأن يكون هاديًا ونبراسًا لمسيرة الجهاد والمقاومة وأن يكون دليلاً للسائرين على درب ذات الشوكة، وليساهم في وقف سيل الاعترافات المتدفق في أقبية التحقيق عبر خُدَعٍ وأشراكٍ، الأصلُ أن لا يقع فيها المجاهد....

والله نسأل أن يكون جهدنا خالصاً لوجه الله الكريم

والله أكبر ولله الحمد

الباب الأول:

الاعتقال وأشكاله

الأمن... يعني الطمأنينة بشكل عام ، ويعني: المحافظة على التنظيم من اختراقات المخابرات، وعدم تسرب المعلومات السرية التي تتعلق بالتنظيم، ومخططاته خارج الأطر الخاصة بها، ويعني: الحفاظ على سلامة أفراد التنظيم على اختلاف مواقعهم والحفاظ على السلامة لا يعني الخوف من الحياة..

يتعرض المجاهد خلال مسيرة عمله الجهادي إلى أحد احتمالات ثلاثة حتى يُحرِز النصر وهذه الاحتمالات هي:

١) الاعتقال.　　٢) المطاردة.　　٣) الشهادة.

وهذه الدراسة مخصصة للحالة الأولى. وهي تعرض المجاهد للاعتقال، وسنتحدث عن أساليب العدو في انتزاع الاعترافا، والصبر على المحنة وعدم التفريط بالمعلومات التي يحتاجها الأعداء للقضاء على التنظيم والنيل منه... وفي هذا الباب سنتعرض لموضوع الاعتقال وأشكاله وقد أحصينا في هذا الباب سبعة أشكال للاعتقال هي:

أولاً: الاستدعاء...

الاستدعاء أو الطلب وفيه: أن يقوم ضابط المخابرات بإرسال تبليغ للمجاهد أو طلب مقابلته عن طريق إعطائه إياها على الحواجز العسكرية أو إرسالها إلى بيت المجاهد بأي طريقة، كانت يحدد في التبليغ تاريخ المقابلة وساعاتها ومكانها، والذي يكون في العادة مركز توقيف عسكري، مثل :حوارة وبيت إيل وعتصيون...الخ.

والمقابلة ليست عملاً روتينياً بل هي متابعة للوضع وجمع للمعلومات ومحاولة تضييق على المجاهد، ووضعه موضع الشبهة أو إغرائه وهي مصيدة اعتقال أيضاً. وعلى المجاهد في حال استلامه طلب المقابلة أن لا يقلق ولا ينزعج وأن يبلغ إخوانه في التنظيم أو مسؤوله ،حتى يتم تدارس الموضوع واتخاذ الاحتياطات والإجراءات اللازمة في أسوأ الأحوال.

ولعلنا إذا ما وسعنا دائرة الحديث عن أهمية الاستدعاء فإننا نجد أن المخابرات تعمد بشكل روتيني ودائم إلى استدعاء أشخاص عاديين، لا علاقة لهم بالعمل الجهادي، وإنما قد يكونون من أقرباء أو جيران المجاهد وذلك لعدة أسباب نجملها بالآتي:

١- محاولة الاختراق الأمني لبيئة المجاهد:

وذلك بسعيهم إلى إسقاط أو ربط شخص في دائرة هذا المجاهد، كالجيران والأقرباء، وذلك لتوفير كم من المعلومات التي لا يمكن الحصول عليها إلا من قبل هذه الدائرة القريبة.



وفي إحدى مدن وطننا المحتل برز المجاهد (أ. حمزة) كأحد أعلام المقاومة والجهاد في هذه الانتفاضة المباركة، وكان مجاهدنا صاحب خبرة أمنية جيدة، فوت من خلالها على المخابرات محاولات كثيرة لاصطياده ،ومع تنامي دوره الجهادي ازدادت محاولات المخابرات لاعتقاله والوصول إليه ،لذلك قامت بإرسال طلبات استدعاء إلى أغلب أقاربه وجيرانه خلال فترة أقل من عام، وتبين من خلال هذه الاستدعاءات أن الهدف الأول منها كان محاولة إسقاط وربط أحد أقاربه أو جيرانه، وقد باءت تلك المحاولات بالفشل ولله الحمد.

والعبرة مما ذكر: هو استخدام المخابرات المقابلة أو الاستدعاء لربط وإسقاط أشخاص عاديين، خاصة أولئك الذين يسكنون في بيئة ومحيط مجاهد معروف.

٢) محاولة الحصول على معلومات عن المجاهد:

وخاصة من البيئة المحيطة بالمجاهد، إذ إن تعامل الأشخاص العاديين ببساطة وإهمال مع موضوع الاستدعاء والمقابلة أدى بكثير من المجاهدين إلى السجون ،أو إلى المقابر، فقد تحضر المخابرات أحد أقرباء أو جيران المجاهد، وتبدأ بسؤاله أسئلة عادية قد يجيب عليها هذا الشخص بإسهاب وتطويل، دون معرفة أن المخابرات ترمي من وراء ذلك إلى الحصول على معلومات قد يراها هذا الشخص لا قيمة لها، ولكنها في الحقيقة أدلة ومقدمات مهمة لضابط المخابرات....

• يقول المجاهد عبد الرحمن: كلفنا التنظيم بتشكيل خلية عسكرية وزودونا بما نحتاج إليه وبدأنا فعلاً بتنفيذ عملياتنا، وباكورة تلك الأعمال كانت قتل مستوطنين على أحد الطرق الالتفافية ولم نعلن في ذلك الوقت عن مسؤولية حركتنا عن العملية، فسارعت إحدى الفصائل الفلسطينية المعروفة بسرعة تبنيها للأعمال الجهادية سواء التي قامت بها أم لم تقم بها، بتبني عمليتنا، وتعرض هذا الفصيل بضربة اعتقالية كبيرة في المنطقة بعد أن نفذنا عمليتنا الثانية، وقد خضع قسم كبير من أبناء هذا التنظيم للتحقيق القاسي الذي لم يؤدِّ لكشف هوية منفذي العمليتين.

ومع توالي عملياتنا الجهادية في تلك المنطقة بدأت المخابرات بالبحث في اتجاه آخر حيث اقتنعت أن موضوع التبني ليس سوى تبنٍ كاذب ولعل أول ما يبادر إلى ذهن المخ أن تكون حركتنا المجاهدة حماس خلف تلك العمليات ،لأن حماس عادة ما تنفذ عمليات دون الإعلان عنها بعكس الآخرين.

بدأت المخابرات حملة اعتقالات في صفوف الحركة طالت القيادة والعناصر، إلا أن ذلك لم يوقف تلك العمليات... فمجموعاتنا لم يصلها الاعتقال لأننا كنا «أشخاصا» غير ظاهري الانتماء، بل نحن عاديون، وأكثر ما يقال عنا أننا مناصرون.

بداية النهاية كانت عندما استطاعت قوات الاحتلال وجهاز المخابرات تحديد نوع ولون السيارة التي استخدمناها في العمليات، ومع ذلك لم تستطع المخابرات الوصول

إلينا، فهذه سيارة مسروقة، تم شراؤها من منطقة بعيدة، ولم نخرجها إلا وقت تنفيذ العمليات ليلاً. المخابرات لم تعلن أوصاف تلك السيارة، بل بحثت في الخفاء، واتجه البحث نحو سارقي السيارات وأصحاب الكراجات وتم استدعاء ابن أخ لي عمره ١٧ عامًا ويعمل ميكانيكي سيارات.

بدأت المخابرات سؤاله عن طبيعة عمله في كراج السيارات، وبعد ذلك بدأت المخابرات أسئلتها، ووجهت له تهمة حماس، وكذلك النشاط في إطارها، دار الحديث عن أقاربه، ومن ضمنهم أنا، حيث قالت المخابرات له إني نشيط في حماس، وإنها ستقوم باعتقالي، ومن باب دفاعه عني قال: إن عمي عبد الرحمن ليس من حماس وليس مجاهداً بل إنه أحد لصوص السيارات، واستدرجته المخابرات لمزيد من الحديث، وأنه لا يعقل أن يكون عبد الرحمن لص سيارات، فقال: الدليل على صدق حديثي أني شاهدته هو وفلان يأخذون سيارة لونها أسود لتفكيكها في المخزن الفلاني ،وكان ذلك بعد صلاة العشاء، نقل ضابط المخابرات هذه المعلومات إلى مسؤوله ،وفور توجههم إلى المخزن وجدوا السيارة التي كنا نستخدمها في العمليات... تم اعتقالي وحكمنا بالسجن لثمانية مؤبدات لكل واحد منا، بسبب هذه الثرثرة التي لم يكُ لها داعٍ، ولم يطلبها منه أحد.

٣) دراسة المجاهد والتعرف عليه عن قرب:

فإحدى أهداف الاستدعاء هو التعرف على نفسية المجاهد، وقوة شكيمته ،ومستواه الثقافي والأمني.

كذلك آلية تعامله وتصرفه مع المخابرات للوصول إلى تصور عام.... هل هو إنسان واثق من نفسه ،لا يرهب المخابرات أو المقابلات... أم هو إنسان مهزوز يرتجف خوفاً ولا يعرف النوم إلى عينيه سبيلاً إذا ما تم استدعاؤه...

كل ذلك يخدم المخابرات في وضع آلية للتعامل مع المجاهد، سواء أثناء وجوده في الاعتقال أو قبل ذلك....

٤) عرض صفقة على المعتقل:

وعادة ما تكون إحدى ثلاثة أشكال هي:

١) صفقة العنصر المجاهد الذي لا يوجد عليه أدلة تدينه، يقدم من خلالها الأخ العامل معلومات عن أشخاص معروفين أو غير معروفين، مقابل الإفراج، وهذه القضية برزت بشكل كبير في الجامعات الفلسطينية، حيث أصبح نشطاء الطلبة في الجامعات يعتقلون وتوجه لهم لوائح اتهام جاهزة، وعند فحص الشهود كان أكثرهم من الطلبة الذين توجهوا للقاء المخابرات في أوقات سابقة، وقدموا معلومات مجانية لضابط المخابرات أدت بهؤلاء النشطاء إلى السجن لشهور أو سنوات.

٢) قد يكون الأخ عليه اعترافات، فيقدم اعترافًا تفصيليًا عن قضيته ومجموعته

مقابل الإفراج، وهناك الكثير من الشواهد التي كان فيها الشخص الذي قدم المعلومات حراً طليقاً، بينما إخوانه ورفاقه يقبعون خلف القضبان، خالد -ابن إحدى الجامعات الفلسطينية- طُلب للمقابلة عند المخابرات، وكان عليه اعتراف بنشاطه في إطار إحدى الكتل الطلابية، تمت مساومته حول الاعتراف ٌمقابل الإفراج، فما كان من هذا الأخ إلا أن فصّل في كل ما يعلم عن إطاره الطلابي، ولما تكشفت الأمور وسئل عما فعل، أجاب تحدثت في أمور معروفة، ولم أضف شيئاً، فمن في الجامعة لا يعرف أن فلانًا ينتمي إلى هذه الجماعة وفلانًا إلى تلك الكتلة؟ والآن أنا حر طليق وهذا هو المهم....!!

٣) الارتباط مقابل الإفراج: وهي محاولة التفاف من قبل ضابط المخابرات على المجاهد، يقنعه من خلالها بالارتباط مقابل الإفراج، بمعنى: خدمة مقابل خدمة، وقد يجد المجاهد في مثل هذه الصفقة مهرباً من الاعتقال، خاصة إذا كان عليه اعترافات، ولعله يستحضر في ذهنه قصة الشهيدين البطلين ماهر أبو سرور وعبد المنعم أبو حميد، وهنا نؤكد أن قصة الشهيدين لن تتكرر لأن المخابرات أخذت منها العبر والدروس، وفي المقابل فإن هناك عشرات الحالات السلبية التي أصبح أصحابها عملاء حقيقيين، وهم يحاولون خداع المخابرات.

«نصائح وتوجيهات»

ماذا قبل المقابلة:

١- إذا كانت هناك حملات اعتقال عامة، ينصح الأخ بعدم التوجه إلى هذه المقابلات لأنه قد يكون هناك قرار بالاعتقال، وعدم الذهاب قد ينجي الأخ من ذلك.

٢- عدم الاحتكاك بعناصر العمل التنظيمي، وتسليم كل الأغراض التنظيمية والتصرف بشكل طبيعي قبل المقابلة.

٣- الجاهزية للاعتقال، من خلال ترتيب الأمور الحياتية وارتداء الملابس، وتوعية الأهل

لما قد يحدث.

٤- الجلوس مع من لهم خبرة في ذلك لأخذ نصائحهم وتوجيهاتهم.

أثناء المقابلة:

١- خير الكلام ما قل ودل.

٢- الهدوء وسماع السؤال جيداً والرد عليه بما يناسب، من غير الإجابة عن أحوال الآخرين، ورد الأسئلة هذه إلى أصحابها، والابتعاد عن التحليل.

٣- إظهار عدم المبالاة من التهديدات، وخصوصاً فيما يحتاج إليه من أمور حياتية مثل السفر أو أخذ التصريح أو جمع شمل...الخ كي لا يكون وسيلة ضغط.

٤-الحرص على عدم كتابة أي موضوع يطلب من الأخ بخط يده أثناء المقابلة.

٥- عدم أخذ جهاز الاتصال أو الرقم البنكي أو بطاقة الصراف الآلي.
٦- الرفض وعدم التعاطي مع ضابط المخابرات، هو بادرة الاستفزاز للضابط ،ونهاية المقابلة للأخ.

ما بعد المقابلة:

١-عدم الاحتكاك بعناصر العمل، وإن كان لابد فليحذر...
٢-تحليل المقابلة وتدارسها مع الأخوة، وأخذ الإرشادات من ذلك، ومعرفة ما يدور في خلد المخابرات.
٣-إن حدث أي ضعف يجب إبلاغ الأخوة بذلك، فالخطأ هنا بسيط يعالج ، وبعد التقادم خطير، والمعالجة فيها صعوبة.

ثانياً: مداهمة البيوت...

عادة ما تتم مداهمة البيوت في الثلث الأخير من الليل قبيل ساعات الفجر، حيث تقوم قوة من الجيش سواء صغيرة أم كبيرة ، قد تضم سيارات عسكرية ومصفحة أو ناقلة جنود ووحدة مخابرات، بالذهاب إلى منزل المجاهد المراد اعتقاله، وينزل الحشد من الجنود مدججين بالسلاح ليس بالضرورة قرب منزل المجاهد وإنما قد يكون في موقع بعيد نسبياً حتى لا يسمع المجاهد صوت الآليات العسكرية خوفاً من فراره، فيحاصرون بيت المجاهد، ويوقظون أهل البيت، ويلقون القبض عليه، ويقيدونه ويضعون عصابة على عينيه، ويقتادونه تحت الضرب والركلات أمام أنظار أهله وجيرانه إلى السيارة العسكرية التي تنقله إلى السجن.

ويقصد العدو من وراء ذلك الأسلوب الإرهابي في الاعتقال: إلى غرس الخوف والرعب في نفس المجاهد قبل دخوله مرحلة التحقيق، وأسلوب ترويع الأسرة والجيران يهدف إلى خلق جو من الرعب حول المجاهد، يوحي به أنه مطلوب بسبب أعمال خطيرة، وأنه شخص خطير، لذلك تطلب اعتقاله إجراءات غير عادية من السيارات والجنود، وقد يرافق عملية الاعتقال إطلاق نار كثيف وقنابل إضاءة ،أو قد يتم تفجير باب المنزل واقتحام البيت دون سابق إنذار، أو قد يلجأ الجنود إلى محاصرة المنزل والصراخ على المجاهد عبر مكبرات الصوت لكي يسلم نفسه، وكل هذه الإجراءات متعمدة ومقصودة كمرحلة تمهيدية للتحقيق، وتهدف إلى وضع المجاهد في حالة من الضعف والخوف وإظهار القوة والجبروت الذي يتمتع به العدو والذي يعرف كل شيء ويمتلك كل شيء....

ثالثاً: الاعتقال أثناء أداء مهمة جهادية:

لا معنى لحياة المسلم دون عقيدة وجهاد، فالجهاد فرض على كل المسلمين إلى يوم القيامة، وفي طريق الجهاد الطويل يكلف المجاهد بمهام شتى.. عمل جماهيري... مظاهرات... توزيع منشورات... حمل وثائق... نقل أسلحة... تخزين عتاد... حمل رسائل

سرية... مراقبة هدف... تنفيذ مهمة عسكرية، وقد يضطر للتنقل ليلاً والتخفي عن الأنظار أو السير في مناطق غير مأهولة بالسكان، كالجبال وغيرها، وقد يصبح مطارداً ومطلوباً لأجهزة الأمن الصهيونية، وهذه المهمات سواء كانت خطيرة أو بسيطة تحتاج إلى وقت بين مرحلة التخطيط إلى مرحلة التنفيذ، وخلال الفترات الفاصلة بين مرحلة وأخرى قد يجد المجاهد نفسه في كمين أو في مواجهة دورية عسكرية روتينية أو أمام حاجز تفتيش طارئ وربما أثار شكل المجاهد وطبيعة حركته والمكان الذي يتواجد فيه أو الوقت الذي يتواجد فيه ربما أثار شكوك العدو فيتعرض للتوقيف والتفتيش.....

فإذا اعتقل المجاهد متلبساً أثناء قيامه بأداء مهمة جهادية فماذا يمكن أن يفعل...؟! هل ينكر وقد ضبط متلبساً....؟! أم يعترف طالما وقع في الفخ حيث لا فائدة من الإنكار...؟!

رابعاً: الاعتقال على نقاط العبور....

ينتقل الفلسطينيون باستمرار عبر بوابات العبور في رفح وجسر نهر الأردن ومطار اللد باتجاه الدول العربية وباقي أنحاء العالم، وذلك للدراسة أو العمل أو الزيارة أو العلاج أو التجارة، وجهاز الأمن الصهيوني يفترض أن جزءاً من هؤلاء سيلتقون بصورة مباشرة أو غير مباشرة مع مجاهدين وتنظيمات خارج فلسطين في المكاتب والندوات والجامعات...الخ.

لذلك يحرص جهاز الأمن أن يجمع أكبر قدر من المعلومات بصورة مباشرة في الإيقاع بالمجاهدين، فإنها تنفع في بناء تصور عام لدى المخابرات حول نشاطات المجاهدين وآلية التواصل بين الداخل والخارج، وفي الكشف عن الثغرات في القصص التي يؤلفها المعتقلون أمام المحققين، وكثيراً ما يتعرض المشكوك بهم إلى الاعتقال على إحدى نقاط العبور، وأغلب الحالات تكون بسبب شبهة أو معلومة سابقة كزيارة مكتب أحد التنظيمات، أو زيارة دولة معادية لإسرائيل مثل سوريا أو لبنان أو إيران حيث مقر أغلب الفصائل الفلسطينية المجاهدة، وكذلك مقر المنظمات اللبنانية وغيرها...

وهنا نذكر بشكل موجز قصة حدثت عام ٢٠٠١م حيث إنه في هذا العام قدمت الحكومة السعودية منحة حج لجميع أهالي شهداء انتفاضة الأقصى، وقاموا بتوفير مساكن خاصة لهم ، وقد استغل تنظيم حزب الله ذلك، فقام وفد الحزب بزيارة أهالي الشهداء، وحاول فتح قناة تنظيمية له في الشارع الفلسطيني من خلال الشباب المتواجد في منحة الحج، وبعد أن اكتشفت المخابرات الإسرائيلية ذلك، قامت بحملة اعتقالات بعد أسابيع من عودة ذوي الشهداء إلى أرض الوطن طالت أكثر من ٤٠ أخًا، تبين من خلال التحقيق أن أغلبهم قد عرض عليه العمل الجهادي مع حزب الله.

خامساً: الكمين والاستدراج....

الكمين هو تكتيك تستخدمه بكثرة القوات الخاصة أو النظامية، وذلك بغرض الحصول على أسير أو وثائق أو معدات أو الاثنين معاً. وتلجأ قوات الاحتلال إلى أسلوب الكمائن في إحدى الحالات التالية:

أ- في محاولتها اعتقال مطلوب أو مطارد: فإذا ما علمت المخابرات بأن مطلوباً ما يتردد على مكان معين فإنها ستعمد إلى نصب كمين له في ذلك المكان.... ويقصد بالكمين هنا الاختفاء في موقع جيد بانتظار وصول الهدف ثم الانقضاض عليه بقوة وسرعة لاعتقاله أو اغتياله والأمثلة والشواهد على ذلك كثيرة خاصة خلال هذه الانتفاضة المباركة....

ب- الإمساك بالمجاهدين أثناء القيام بالهجمة.... كأن تتوفر للمخابرات معلومات دقيقة ومحددة سواء عن طريق عملائها أو بالطرق التكنولوجية عن نية المجاهدين الالتقاء في مكان محدد لاستلام سلاح أو رسائل أو اجتماع تنظيمي أو غيره... فتعمد المخابرات عند ذلك إلى نصب كمين في تلك المنطقة للإمساك بالأشخاص أو المجاهدين وهم متلبسون وهذا يحدث أيضاً في حال انكشاف النقاط الميتة على المخابرات، دون أن يدري المجاهد بذلك، فتمد إلى نصب كمين في محيط النقطة الميتة، فما أن يستلم المجاهد أغراضه من تلك النقطة حتى تنقض عليه القوات الكامنة، وتمسكهُ، وما معه من الأغراض.

وهناك أسلوب آخر وهو أن تقوم المخابرات بنصب كمين واستدراج الهدف إليه بحيث يكون الهدف طرفاً في صفقة تديرها المخابرات من حيث لا يدري ، وهذا يكثر في صفقات السلاح، إذ يطلب البائع من المجاهد أن تتم الصفقة في مكان محدد ويكون ذلك بالتنسيق مع المخابرات وما أن يحضر التاجر والمجاهد حتى تنقض عليه قوة الكمين وتمسكه.



يروي المجاهد أبو مصعب قصته فيقول: كنا بحاجة ماسة لشراء سلاح ، وكلفت أنا بهذا الموضوع، فبدأت بالبحث عن تجار السلاح في محيط منطقتنا. وأخيراً سمعت بتاجر «كبير» عنده كل ما أريد، وهو في منطقة الجنوب الفلسطيني وبسبب حاجتنا للسلاح لم أهتم بالسؤال عن أمنياته، وهل هو نظيف أم لا؟ بل توجهت إليه مباشرة و سألته إن كان يستطيع أن يؤمن لي أربعة قطع ١٦س قصيرة؟ فقال أنه يستطيع....بل ويستطيع أكثر من ذلك بكثير فهو على حد زعمه أكبر تاجر في الجنوب وعرض عليّ أنواعًا كثيرة من الأسلحة....

عندها أحسست أنني ملكت الدنيا، فها أنا الآن مع أكبر تاجر أسلحة، ليس تاجراً فقط بل ويمتلك روحاً وطنيةً رائعة ....بعد أخذ ورد، اتفقنا على سعر القطع، وكان شرطه أن الأسلحة لا تسترجع، فأحضر من شئت ليفحصها قبل أخذها...

حددنا موعد الاستلام ومكانه، وفي الموعد المنصوص توجهت وبصحبتي أحد الأخوة ممن لديهم خبرة جيدة في السلاح، وصلنا المكان وكان كل شيء طبيعياً، تمت الصفقة على خير ما تكون.

استلمنا الأسلحة وقبض التاجر نقوده، وأثناء ذلك تفاجئنا بقوات كبيرة من الجيش كانت مختفية في محيط الموقع، وقد طلبوا منا الانبطاح على الأرض وتم تقييدنا واعتقالنا، ولا أدري ماذا حدث مع التاجر...

وكوني عديم الخبرة في مجال الاعتقال فقد اعترفت بكل شيء، لأتفاجأ بعد نزولي السجن وسؤالي عن التاجر أنه شخص مشبوه، وأنه استدرجني لأحضر أخًا آخر لأقع أنا وإياه في الكمين.

سادساً: الاختطاف...

وهو أحد أشكال الاعتقال، ولكنه قليل الاستخدام ، نظرًا للخطورة التي تشكلها عملية الاختطاف على الوحدة التي ستنفذها، كونها تفتقد في الغالب إلى وحدة إسناد عسكرية، وهذا يضع وحدة المستعربين، وهي التي تنفذ غالباً مثل هذه العمليات، في مواجهة مباشرة مع الهدف، دون توفر حماية ،لذلك لا تلجأ قوات الاحتلال لهذا الأسلوب إلا في حالات الضرورة، والتي لا يكون في الغالب بد منها، وهذه الضرورات تنقسم إلى عدة أقسام، سنتحدث عن أهمها فقط وهي:

١- في حالة وجود الهدف في مكان لا تستطيع القوات النظامية الوصول إليه..... كما كان يحدث أيام وجود السلطة الفلسطينية قبل انتفاضة الأقصى، فقد كانت الأراضي التي تخضع لسيادة السلطة ممنوعة الدخول على قوات الاحتلال النظامية، ثم إن دخول مثل هكذا قوة نظامية سيخلف ردة فعل مقاومة من قبل السكان، مما يؤدي إلى ضرب الهدف وفشل العلمية.

لذلك تلجأ المخابرات إلى أسلوب الاختطاف، والذي تنفذه وحدة مستعربين متخفية تحت عدة سواتر، فتارة باعة متجولين، وتارة عمال نظافة، وتارة داخل سيارة ألبان.....الخ مما لا يغيب عن أذهانكم



يقول المجاهد أ.محمد في عام ١٩٩٧م كنت مطلوباً لقوات الاحتلال في قضية ليست خطيرة، ولكن على إثر معلومات تسربت خلال التحقيق مع بعض الأخوة ، أصبحت مطلوباً. والحقيقة أني لم أعطي الموضوع الكثير من الأهمية ، فأنا أسكن في وسط مدينة كبيرة في الضفة الغربية، وهي مصنفة على أنها منطقة (أ) أي ليس لإسرائيل أن تدخلها.... وحتى لو فكرت بذلك، فإلى أن تصل إلى ذلك المكان الذي أقيم فيه، عليها أن تواجه المئات من راشقي الحجارة، كما أن هناك العديد من الأخوة الذين يسكنون أطراف المدينة ممن يعرفون أني مطلوب، فلو أن أي قوة أتت لاقتحام المدينة

فإنهم سيتصلون لتحذيري.....

وفي أحد الأيام سمعت طرقاً على باب شقتي، ففتحت الباب ووجدت شخصاً يسألني إن كنت أريد أن أبيع سيارتي، قلت له نعم، وقد كنت وضعت ، إعلانا للبيع على سيارتي، فقال لي حسناً أريد أن أرى السيارة أنا وأخي الذي يرافقني، لم يكن في أسلوبه ما يثير الشك أو الشبهة، فخرجت معه باتجاه السيارة التي كنت أوقفها بعيدة حوالي ٢٠٠متر عن منزلي، عندما وصلت السيارة كان شقيق السائل يقف بجانب سيارتي، رحبت به وتحدثنا لبضعة دقائق عن السيارة وعن ثمنها، الأخوين كانا عربيين، مرت من خلفنا سيارة من طراز فورد ترانزيت، وما أن وصلت بجانبي حتى وضع أحدهم يده على فمي ودفعني إلى داخل السيارة، في حين كان الآخر يشهر مسدسه مهدداً بإطلاق النار إذا ما قاومت، وفي داخل السيارة كان هناك حوالي ٤ أشخاص آخرين، قاموا فوراً بتقييدي وتعصيب عيني، ولم أدرِ إلا وأنا في مركز تحقيق المسكوبية.....

٢- في حال امتلاك الهدف لمعلومات مهمة تتأثر في حال انكشاف أمر اعتقاله...

بمعنى أن المجاهد قد يكون ضابط اتصال مجموعة من المطلوبين مثلاً وفي حال انكشاف أمر اعتقاله فبالتأكيد سيأخذ هؤلاء المطلوبون احتياطاتهم ،ويغيرون مواقعهم وأماكن تخزين العتاد والأغراض التي يعرف عنها هذا المجاهد، كذلك تعمد المخابرات إلى خطة دون إثارة ضجة، حتى يكون لهم الوقت الكافي في انتزاع المعلومات ومباغتة المجاهدين.



كان المجاهد حمزة يعمل حارساً في منشأة سكنية قيد البناء، وكان عليه العمل من الساعة الرابعة عصراً وحتى السابعة صباحاً، يقول المجاهد حمزة: في أحد الأيام شاهدت سيارة كبيرة من نوع فلوكس فاجن تقترب من منطقة الإسكان الذي أعمل فيه، كان ذلك حوالي الساعة الخامسة عصراً ،أي بعد ذهاب العمال ،لم أعر الموضوع أهمية، فقد كنت معتاداً على حضور أصحاب الشقق السكنية لمشاهدة أين وصل البناء،

وما أن وصلت السيارة إلى جانبي حتى فتح الباب وقفز منها أربعة رجال مسلحين، وفي غضون ثوانٍ كنت مقيداً وملقىً داخل السيارة التي توجهت بي فوراً إلى مركز تحقيق عسقلان وهناك كان بانتظاري طاقم كبير من المحققين بدؤوا فوراً بسؤالي عن علاقتي بالجهاز العسكري، وعن مكان وجود المجاهد «أ.ج» والذي هو من قادة التنظيم العسكري الكبار في منطقتنا بل في الضفة كلها.

حاولت في البداية الإنكار ولكن تحت الضغط الشديد، اضطررت للاعتراف على شقة تبعد حوالي ٦٠٠متر عن الشقة الحقيقية التي يختفي فيها المجاهد... وكنت أهدف وراء ذلك لفت نظر المجاهد «أ.ج» إن هناك أخطاراً محيطة به، وعندما اكتشف المحققون الخدعة أعادوني للتحقيق وضغطوا علي بشدة لم أتحملها، مما اضطررت للاعتراف على المكان الحقيقي للمجاهد... وكان هذا الاعتراف بعد اعتقالي بحوالي

٩ساعات ،عندما داهموا الشقة كان المجاهد «أ.ج» قد هرب ،لأننا كنا متفقين أن أتصل على هاتف الشقة مرة كل ٤ساعات، يرن فيها الهاتف ثلاث مرات كدليل على سلامتي، وهو بدوره يرفع السماعة ثم يعيدها دون أن يتكلم ، كدليل على سلامته ،لأني الوحيد الذي يعرف مكان تواجده ، وكنت حريصاً على ذلك طوال فترة تعاملي معه، وفي اليوم الذي اعتقلت فيه لم أتصل عليه، مما ولّد شعوراً أكيداً لدى المجاهد «أ.ج» أن مكروهاً قد حصل لي، فقام بترك الشقة والانتقال إلى مكان آخر لا أعرفه.

عاد المحققون مرة أخرى للسؤال عن المجاهد، واتهامي بخداعهم مرة أخرى، فتأكدت أنه لم يعتقل، وأنه قد غادر الشقة ،عندها أنكرت قصة معرفتي له، وأنه كل ما قلته كانت تحت الضغط الشديد. استمر التحقيق معي بشكل متواصل حوالي شهر لم أغير فيها أقوالي، وبقيت مصراً على أني لا أعرف شيئًا، وبعد ثلاثة شهور أفرج عني لعدم وجود أدلة.

سابعاً: الاعتقال على الحواجز الثابتة والطيارة....

إن الهدف من وضع هذه الحواجز: هو التفتيش والتدقيق في هوية المارين، وهناك حواجز ثابتة عادة يتجنب الأخوة الذين عليهم شبهات أمنية المرور منها، لذلك تراهم يسلكون دروبًا أو طرقًا أخرى، لا توجد بها حواجز ثابتة ،لكن ذلك لم يمنع قوات الاحتلال من وضع حواجز متحركة يطلق عليها اسم «الحواجز الطيارة» وهذه توضع لعدة أسباب، قد يكون أحدها: هو وصول معلومات محددة عن نية المجاهدين سلوك طريق ما أو نقل عتاد عبر تلك الطريق، فتعمد قوات الاحتلال إلى وضع حاجز طيار لإلقاء القبض على المجاهدين أو لمنعهم من القيام بمهمتهم عبر إغلاق الطريق أمامهم، وقد يكون هدف الحواجز الطيارة منع تسلل المجاهدين إلى أرضنا المحتلة عام ١٩٤٨م، فتوضع هذه الحواجز على الطرق الترابية أو الفرعية التي لا يستخدمونها في الغالب،

وللحواجز عدة أدوار تؤديها، ففيها يتم إعطاء التباليغ لمقابلة المخابرات ،وفيها تتم عمليات التفتيش بحثاً عن ممنوعات وفيها يتم اعتقال المجاهدين، وأمر الحواجز مفهوم لجميع الناس وآلية التعامل معها والحذر منها خاصة إذا كان المجاهد مطلوباً، فالحواجز الثابتة معروفة المكان أما المتحركة فمتغيرة دائماً مما يوجب على المجاهد المطلوب عند حركته بسيارة أن يأخذ الاحتياطات اللازمة كأن تسير أمامه سيارة تكشف له الطريق وأن لا يحمل بطاقة الهوية الخاصة به وأن لا ينقل في سيارته ما يثير الشبهة ، وأن لا يستخدم في حركته سيارة مسروقة خوفاً من أن يتم اعتقاله على خلفية قيادة سيارة مسروقة ،لأن ذلك سيعني انكشاف أمره وهويته على قوات الاحتلال.

إذن من الضروري جداً مراعاة قواعد السلامة والأمان أثناء التنقل على الطرق وكم كانت الحواجز الطيارة واستهتار المجاهدين سبباً في كثير من الاعتقالات والخسائر التي كنا في غنًى عنها؟ وليس أدل على ذلك من قصة المجاهد حسن

سلامة مع الحاجز الطيار في جنوب الخليل، الذي قاده إلى السجن ليحكم عليه بالسجن المؤبد ٤٦مرة وكما قيل درهم وقاية خير من قنطار علاج.

والآن بقي لنا سؤال لا بد من الإجابة عليه ألا وهو: إذا ما اعتقل المجاهد متلبساً أثناء أدائه مهمة جهادية فكيف يجب عليه أن يتصرف؟

وللإجابة على هذا السؤال نقول وبالله التوفيق إن مثل هكذا سؤال لا يجاب عليه بنعم أو لا، أي أعترف أو لا أعترف، وإنما يكون بتقدير الظرف الذي وقفت فيه أخي المجاهد، فهناك حالات لابد فيها من الإنكار إنكاراً تاماً، حتى ولو اعتقلت متلبساً بشكل لا يدع مجالاً للشك، ومثال ذلك أن يعتقل الأخ أثناء قيامه بواجب جهادي، مثل مهمة عسكرية، كأن يعتقل وفي يده قطعة سلاح، أو وهو يطلق النار في عملية عسكرية فإذا ما اعتقل الأخ في مثل ذلك فلابد من الصمود والإنكار، لأن التبرير لا يجدي نفعاً مع مثل هذا الموقف، ومعنى الإقرار والاعتراف: أن تفتح باباً قد لا يغلق، وسيلاً كبيراً من الاعترافات قد لا تتمكن أنت أخي المجاهد من وقفه.

فمثلاً إذا ما أقررت أنك أنت قمت بعملية إطلاق نار، فإن المخابرات ستسألك من هم مجموعتك؟ ومن هو مسؤولك؟ ومن خطط لهذه العملية؟ ومن قام بمهمة الرصد لمنطقة العملية؟ ومن أعطاك السلاح؟ ومن دربك على السلاح؟ ومن هم شركائك؟ ومن ومن ومن...الخ، من الأسئلة التي ستجد نفسك في حال الإجابة عليها قد قدمت اعترافاً موسعاً لا ينتهي بأخ أو اثنين ،إنما بسلسلة من الاعترافات والمعتقلين لا تنتهي.

قد تتساءل في نفسك وما فائدة الإنكار وأنا قد اعتقلت متلبساً؟ نقول لك إن لذلك فائدتين:

أولهما: على صعيدك الشخصي: فإن صمودك وعدم إقرارك سينهي التحقيق معك دون اعتراف، وعندما تقدم للمحاكمة، فلن يكون بد للمدعي العام من عمل صفقة حكم مع المحامي الذي يدافع عنك، وذلك لعدم توفر بيانات كافية لإدانتك بشكل واضح، كما لو كنت معترفاً، ولعلك تعلم أن صفقات المحاكم في مثل هذه الحالة تكون في صالح المجاهد ،لأن المدعي العام سيضطر إلى تخفيف فترة الحكم مقابل اعترافك أمام المحكمة بالتهم المنسوبة إليك ، وبذلك تكون أنت قد أعطيت المحامي مادة قوية للدفاع عنك.... أما في الحالة الأخرى، أي الاعتراف، فإنك تسقط كل أسلحة الدفاع عنك من يد محاميك، وتنقلها للمدعي العام الذي لا يتوانى لحظة في إيقاع أشد العقوبات عليك.

ثانيهما: على صعيد إخوانك ودعوتك: فإنكارك للتهم الموجهة إليك والتزامك الصمت إزاء القضايا التي تسأل عنها، سيحمي دعوتك وإخوانك، ولن تكون أنت الحلقة أو الثغرة التي يؤتى إخوانك ودعوتك من قبلها، وتذكر دائماً أن إخواناً لك

حكموا بعشرات المؤبدات وكان عليهم عشرات الاعترافات الثابتة بشكل قطعي، ومع ذلك عندما دخلوا التحقيق صمدوا ولم يعترفوا ولم يقروا للمحتل بأسمائهم، فليكن أمثال هؤلاء قدوتك وحادي مسيرتك.

وهناك حالة أخرى لكيفية التصرف في حال اعتقالك متلبساً وهي تقديم اعتراف مدروس أو وهمي ينجيك من أن تأخذ قضية، ومثال ذلك لو اعتقلت متلبساً وأنت تحمل مبلغاً من المال ،أو لو اكتشف أن حسابك البنكي قد دخل عليه حوالات مالية كبيرة ،عند ذلك لابد من اختلاق قصة وهمية مقنعة أعدت مسبقاً لمواجهة مثل هكذا موقف، وكذا الأمر لو اعتقلت وأنت تحمل ممنوعات، فإنك تستطيع أن تقول أن شخصاً على جانب الطريق، طلب منك إيصال أغراض لا تعرف ماهيتها إلى موقف سيارات أو باصات مثلاً، وأنه أعطاك مقابل ذلك مبلغاًمن المال وأنك لا تعرف من هو لأنه كان يقف على جانب الطريق، ويشير إلى كل السيارات وأنه طلب منك أن توصلها إلى محطة سيارات، وقال إن صاحبها سوف يأتي ليأخذها هناك، ونحن لا نشك أن عقلك سيبدع الكثير من الحيل التي تنجيك من يد أعدائك، ولكن تذكر قصة معينة مثلاً ثم تصر عليها ولا تقلق هل صدقها أم لا، فالمحققين لا يصدقون كلام أحد حتى لو كان عين الصدق ،لذلك الزم اعترافاً واحداً فقط.

وفي النهاية نقول لك إن وقوعك في مأزق الاعتقال أثناء مهمة جهادية لا يعني نهاية الدنيا، ولا يعني الاستسلام والرضوخ للأمر الواقع ،إنما تقدير الظروف وحسن التصرف.

الباب الثاني:

التحقيق أشكاله وأساليبه

التحقيق: هو صراع بين إرادتين.. إرادة المحقق وإرادة المعتقل، وهو أسلوب يعمد من خلاله المحقق إلى الحصول على المعلومات من المجاهد عن نفسي وعن التنظيم وعن المحيط والبيئة والعلاقات التي كان المعتقل يتحرك من خلالها وخاصة المعلومات السرية. والتحقيق جزء من المعركة التي يخوضها المجاهد ضد أعدائه، وهذا الجزء يمثل المرحلة السلبية التي يكون فيها المجاهد تحت ضغط العدو دون أن يمتلك من وسائل المواجهة سوى إرادته العارية وقدرته على ضبط نفسه والصبر حتى تمر هذه المرحلة بأقل قدر من الخسائر، يعني بأقل قدر من المعلومات المنتزعة من جانب المحقق، وحينها يحقق المجاهد انتصاره دون سلاح.

طريقة التحقيق: هي الكيفية الثابتة المدروسة التي يستخدمها العدو للوصول إلى غايته، وتتراوح بين الضغط النفسي والعقلي والجسدي المتواصل لتدمير أسس المقاومة الداخلية ليصل المجاهد إلى مرحلة الانهيار والإدلاء بالمعلومات التي يريدها العدو.

أسلوب التحقيق: هو الكيفية المتغيرة لتحقيق غاية التحقيق، فالأسلوب ليس الطريقة، فالطريقة ثابتة أما الأسلوب فمتغير، وبهذا المعنى فليس هناك أسلوب واحد بل أساليب متعددة، كل أسلوب يعالج حالة معينة، والمحقق يختار أسلوباً واحداً في لحظة معينة، ولكنه قد يلجأ إلى استعمال عدة أساليب متداخلة في لحظة أخرى، حسب اجتهاداته للحالة الماثلة أمامه.

فالمحقق يدرس الحالة، ويقرر الأسلوب المناسب من خلال دراسته لشخصية المجاهد ونفسيته والظروف التي تم فيها اعتقاله، والظروف العامة للحالة الجهادية، ويحاول المحقق اكتشاف نقاط ضعف المجاهد قبل بدء التحقيق ثم من خلال عملية التحقيق ليستعمل ضده الأسلوب الملائم، فإن نجح يكون قد حقق هدفه وإذا لم ينجح يجرب أسلوبًا آخر حتى يصل إلى هدفه.

المحقق: رجل صهيوني متخصص مدرب متفرغ، مربًى على تعاليم توراتية صهيونية عنصرية موظف في خدمة الكيان الصهيوني، درس التحقيق بأحدث الطرق، ويعمل لتطبيقها على المجاهد المعتقل، ولنجاحه في عمله يدرس الشخصية الفلسطينية وأنماطها السلوكية ونقاط ضعفها وقوتها، واللغة العربية خاصة اللهجة الفلسطينية، والأمثال الشعبية والمعتقدات السائدة وواقع التنظيمات والظرف السياسي العام.

المجاهد: رجل عقائدي ذو رسالة وصاحب تربية قرآنية، اختار الجهاد والمقاومة

طريقاً، والشهادة وسيلة للفوز برضى الله – تعالى – وجنته، وهب نفسه وحاله وحياته لنصرة الإسلام، ناضج عقائدياً وسياسياً وتنظيمياً وأمنياً وجهادياً... يدرك جوهر العدو وأسس الصراع معه.

معركة التحقيق: التحقيق شكل من أشكال الصراع بين المجاهدين والأعداء، له أدواته وخصائصه وأساليبه، وهدف التحقيق هو إثبات التهمة من وجهة نظر العدو على المجاهد الذي يتعرض للتحقيق أو انتزاع الاعترافات والمعلومات التي تشكل صيداً ثميناً لأجهزة المخابرات، وطرفا الصراع هما: المجاهد الأعزل سوى من عقيدته وإيمانه وقدرته على الصمود، والمحقق الذي يملك آلة قمعية مجهزة بكافة وسائل التعذيب الجسدي والنفسي والمعلومات المسبقة، ولكنه لا يملك العقيدة والقدرة على الصمود أمام عناد المجاهد وصبره وتضحيته إذا احتمل حتى النهاية، لذلك وصفنا التحقيق بأنه معركة، لأنه يتصف بما للمعركة من شراسة ومراوغة وأساليب مبادلة واستعمال فنون الحرب النفسية.

إن إيمان المجاهد بالله –تعالى– وتمثله بسيرة الأبطال السابقين في تاريخ الإسلام وفي تاريخ الجهاد المعاصر، وتمثله بالهدف العظيم الذي يحتمل المحنة من أجله هو سلاحه في مواجهة المحقق، وسبب صموده، بينما يعتمد المحقق على الوظيفة، ورغبته في أداء عمله بنجاح، وهذا ليس دافعاً كافياً للقدرة على الصمود في معركة التحقيق حتى النهاية لذلك فإذا تمكن المجاهد من اجتياز معركة التحقيق، دون أن يعترف أو أن يدلي بمعلومات تضر إخوانه المجاهدين فإنه هو البطل المنتصر والمحقق هو المنهزم...

مدة التحقيق: لا يمكن الجزم بمدة محددة لعملية التحقيق، حيث يعود هذا الأمر لنوع القضية ومدى خطورتها وسير عملية التحقيق وطبيعة الأخ المجاهد وصلابته على التأثير في اختصار مدة التحقيق، والتجارب تشير إلى أن فترة التحقيق قد تقتصر على أسبوع وقد تمتد لتصل إلى عدة شهور....

أساليب التحقيق:

يتبع جهاز الأمن الصهيوني عدة أساليب في التحقيق، ولكل أسلوب وسائله وأدواته التطبيقية والتقنية، ويعمل على أن يكون هناك تناسقًا وترابطًا بين الأساليب، لذلك لا يمكن فصل أسلوب عن الآخر كما أن عدد الأساليب التي يستخدمها والمدة الزمنية لاستخدام أسلوب معين تطول حسب حالة المجاهد أو حسب حجم القضية والتهمة...وسنحاول فيما يلي عرض أهم أساليب التحقيق وهي كالآتي:

أولاً: أسلوب التحقيق الافتراضي:

وهو أسلوب قائم على معلومات افتراضية غير مؤكدة لدى المحققين، وتستند إلى كميات كبيرة من المعلومات العامة التي استطاع جهاز المخابرات جمعها من خلال

حالات سابقة شبيهة بحالة المجاهد المعرض للتحقيق، وبعض المعلومات الخاصة عن المجاهد نفسه، ويعمد المحقق إلى تركيب صورة معينة بواسطة أجزاء متناثرة من المعلومات الافتراضية التي يسعى إلى تجميعها وتوثيقها عن طريق الأسئلة المباشرة أو غير المباشرة التي يوجهها للجاهد، وكل سؤال يفضي إلى السؤال الذي يليه، وكل إجابة تؤدي إلى توضيح الصورة أكثر.

لذلك فإن أسلوب التحقيق الافتراضي في التحقيق يقوم على إتقان لعبة ماكرة من الخداع والمراوغة والإيهام بمعرفة كل شيء، وهنا تبرز قدرة المجاهد وذكاؤه في فهم اللعبة وتجنب المنزلقات، فإذا استطاع التغلب على خداع المحقق نجا بجلده ، وإذا وقع في أحابيل الأسئلة الافتراضية والإيهام بأن جهاز المخابرات يعرف كل شيء أثبت على نفسه التهمة، وعرّض نفسه، إلى السجن ومزيد من التعذيب لتقديم أكبر قدر ممكن من المعلومات والاعترافات.

وغالباً ما يستخدم الأسلوب الافتراضي في الحالات التي لا يملك جهاز المخابرات معلومات أكيدة حول موضوع معين أو التهمة التي يتعرض بسببها المجاهد للتحقيق، ولكنه يشك فقط بسبب ظروف معينة في أن للمجاهد علاقة بتنظيم ما أو علاقة بعملية ما، والحالات القادمة من الخارج عبر نقاط العبور هي أكثر الحالات تعرضاً لأسلوب التحقيق الافتراضي، كما أن هذا الأسلوب يفيد جهاز الأمن في تجميع أو تراكم قدر أكبر من المعلومات التي تصلح لتكوين صورة أشمل حول التنظيمات والمجاهدين، وتفيد في حالات التحقيق مع مجاهدين آخرين.

إذ إن أهم عنصر في أسلوب التحقيق الافتراضي هو زرع الشك في نفس المجاهد والعمل على إفقاده الثقة بإخوانه وقادته عن طريق توظيف هذه المعلومات ليظن أن قيادته باعته لجهاز المخابرات.



في عام ٢٠٠٢م تم اعتقال مجموعة من جرحى الانتفاضة قادمين من إيران بعد تلقيهم العلاج هناك، وبعد انتهاء التحقيق معهم، أفرج عن قسم منهم، وتم تحويل قسم آخر إلى أقسام السجناء الأمنيين، وعند سؤالهم من قبل السجناء الآخرين عن قضيتهم وملابسات اعتقالهم ،قالوا :لقد وجدنا كل شيء أمامنا، إنهم يعرفون كل شيء حتى أدق المسائل التي لا يعرفها أحد، وجدناها معروفة لدى المخابرات، كل الذين في الخارج عملاء وقد باعونا للموساد.

ترى هل هذا الاستنتاج صحيح؟! هل هذه القصة صحيحة...؟! هل هذه المجموعة صادقة أم أنها مجرد تبريرات لتغطية العجز والانهيار والاعتراف أمام المحقق؟! أم أن هناك وجهاً آخر للمسألة..؟!

إن تفسير ما حدث هو: إن ضابط المخابرات المختص بالساحة الإيرانية قد تراكمت لديه كمية كبيرة من المعلومات العامة فقد كان ضابط المخابرات يعرف أن كل جرحى

الانتفاضة الذين توجهوا إلى إيران التقوا بشخصيات إيرانية، وأخرى فلسطينية ولبنانية، جاءت لزيارتهم والاطمئنان على سلامتهم، وبالتأكيد سيحاول بعضهم إظهار مساعدته لهم أو حرصه عليهم والتودد إليه من أجل كسبه في التنظيم، ومن المعلومات المسبقة لدى رجال المخابرات التي توصلوا إليها من خلال التحقيق في قضايا مصابين سابقة، تبين لهم أن مجموعة تابعة لحزب الله تنشط في مجال تنظيم وتأطير جرحى الانتفاضة، وتكليفهم ببعض المهمات وشرح إليه التواصل مع الحزب في لبنان.

تكررت نفس المعلومات، ومن عدة أشخاص عن الطريقة التي تمت بها عملية التجنيد والأماكن التي نقلوا إليها، والبيوت الخاصة التي دخلوها، والسيارات التي أقلتهم وأرقام الهواتف التي تم تزويدهم ،بها والأسلحة التي تدربوا عليها، وقد توصلت المخابرات من خلال ما سبق إلى معرفة ضابطي الاتصال من قبل حزب الله وهما السيد محمد وأبو علي.

إن هذه المعلومات التي حصل عليها المحقق إذا ما ركبت تركيباً كاملاً فإنها تعطي وصفاً للأشخاص، وطريقة تفكيرهم، ونمط تعاملهم، بحيث يستطيع جهاز المخابرات وضع فرضية معينة، مثل أن الجريح (س) الذي خرج للعلاج في إيران، ومكث فيها فترة من الزمن سيكون صيداً ثميناً لِ السيد محمد وأبو علي، وأنه سيتم تجنيده على أيديهم بذات الطريقة التي جند بها أ+ب+ج.....الخ من الجرحى، وبذلك سيرتب المحقق معلوماته ويعد أوراقه ومقدماته ويواجه بها (س) بطريقة ذكية واعية ومدروسة ليثبت من خلال التحقيق أن (س) جند كما جند غيره.

ومن جهته (س) الذي كان يظن أن كل ما حدث معه منذ لقائه بالسيد محمد وأبو علي، وتجنيده وتدريبه والمهمات التي كلف بها، كل ذلك كان سراً من الأسرار التي لا يعرفها أحد سواه والسيد محمد وأبو علي، وعندما يواجه المحقق يعتقد أنه سيسأله بعض الأسلة الروتينية التقليدية التي تتعلق برحلة العلاج والحالة الصحية ثم يخلي سبيله، ولكنه يفاجأ بأسئلة أخرى تجره إلى فخ منصوب بعناية وذكاء وسيسأله المحقق أين نمت الليلة الماضية..؟

(س) الذي نام تلك الليلة في بيت محمد، وراجع معه خطة العمل وكيفية الاتصال، وركز عليه في المسائل الأمنية والتنظيمية وأوصله في الصباح إلى المستشفى وودعه هناك... سيشعر أن السؤال اخترقه كسهم، وهزه هزاً عنيفاً، ظهر على ملامحه وحركة عينيه ونبرة صوته، سيحاول استيعاب المأزق بسرعة وامتصاص الدهشة والتظاهر بالعفوية وربما أجاب على السؤال بنوع من التلعثم «نمت في المستشفى»

ولكن المحقق يعالجه بالسؤال الثاني «من أوصلك في الصباح إلى المستشفى؟» سيحاول (س) أن يخفي ذلك مرة أخرى ولكن عندما يسأله عن مبلغ النقود الذي أعطاه إياه السيد محمد وعن نوعية السلاح الذي دربه عليه أبو علي؟؟ إن المحقق يحاول توجيه صدمات قوية بأسئلة يشعر (س) من خلالها بأنه يعرف كل شيء، وفي

اللحظة التي يصل فيها (س) إلى أقصى درجات التوتر، الداخلي يسأله المحقق أنا كنت معكم....!!! إذن كيف عرفت؟! هل فكرت جيداً أنك مسكين أنت ضحية، باعك الذي في الخارج، إنهم يعملون معنا....!!

وفي هذا الجو المتوتر يروي (س) قصته وبإسهاب كبير، إذ إنه بعد أن اهتزت ثقته وصدق أن قيادته عميلة للموساد، سيروي كل شيء مر به، وسيعيد كل ما سمع وشاهد وحدث معه، وستكون قصته فصلاً جديداً ومهماً لجهاز المخابرات لمعرفة معلومات جديدة حول التنظيم وحول عمل ضابطي الاتصال.

إن على المجاهد أن يعلم أن هناك كمّاً هائلاً من المعلومات العامة التي يمكن أن تعرفها المخابرات بكل سهولة، كما يمكن أن يعرفها أي إنسان عادي ومتتبع، وهناك معلومات خاصة يستنبطها المحقق من خلال اعرافات المعتقلين، وهناك معلومات سرية جداً لا تعرفها أجهزة المخابرات، مثل الاسم الحركي -الشيفرة- المهمات....الخ، ولكن جهاز المخابرات يركب المعلومات العامة والمعلومات الخاصة في مقدمة منطقية لإيصال المعتقل إلى نتيجة حتمية وهي: أنه مكشوف لجهاز المخابرات الذي يعرف عنه كل شيء.

ومن جهة أخرى فإن المخابرات الصهيونية تعرف وكما هو معروف للجميع أن الوجود التنظيمي لقوى المعارضة الفلسطينية موجود ومتركز حتى الآن في بيروت ودمشق وطهران، لذلك فإن وجود ختم دخول أو خروج إلى تلك الدول ومنها على جواز السفر والمدة الزمنية التي قضاها والتي تكشف عندها تلك الأختام. تشكك أن الشخص حامل هذا الجواز قد دخل تلك البلاد لغرض التواصل التنظيمي أو نقل وسائل أو للتدريب العسكري.

وعندما يعود الشخص من سفره في الخارج ويسلم جواز سفره على نقاط العبور فإن ضابط الأمن يقلب أوراق الجواز بحثاً عن أختام الدخول والخروج.... فإذا وجد أختام الدول المذكورة تلك يحتجز الشخص للتحقيق فإذا كان ذلك الشخص يدرس أو يعمل في دولة غير تلك الدولة فإنه يصبح عرضةً للشك ويتعرض عنها للتحقيق المطول الذي يغلب عليه طابع أسلوب التحقيق الافتراضي وفي هذه الحالة يجب على أي شخص يتعرض لهذا الموقف أن:

١- يكون موقناً يقيناً قاطعاً أن جهاز المخابرات من لا يعرف عنه شيئاً خاصاً أو سرياً على الإطلاق.

٢- يعرف أن معرفته لأسلوب التحقيق الافتراضي سيحصنه من التأثر بصدمات المحقق ويجنبه التعرض للاهتزاز والتوتر.

٣- أن عليه من أن لا يظهر ردود فعل غير طبيعية، وأن يحافظ أمام المحقق على رباطة جأشه وعفويته، وعندما لا يجد المحقق نجاحاً لأسلوبه على نفسية المجاهد سيخيب ظنه، وتطيش سهامه وسيقتنع أن يحقق مع الشخص الخطأ...وأن المجاهد

لا علاقة له بالتهمة المفترضة وسينتهي التحقيق بسؤاله حول قضايا عامة.

ثانياً: الكيس والنظارة:

الكيس هو أحد أساليب التحقيق التي تستهدف الضغط النفسي على المجاهد، بواسطة تعذيبه جسدياً باستعمال كيس عادة ما يكون من قماش الشادر الذي لا يكاد يسمح للهواء بالدخول عبر مساماته ولا للضوء بالنفاذ من خلاله، وعندما يوضع رأس المجاهد في الكيس فإنه لا يستطيع أن يرى شيئاً، ولا يستطيع أن يعرف ليلاً أو نهاراً، ويفقد الإحساس بالوقت الموضوعي ويعيش في الزمن الذاتي الذي تصبح فيه الدقيقة ساعات بالإضافة إلى فقدان الإحساس بالمكان الواقعي لعدم معرفة المكان، وعدم رؤية أي شيء حوله مما يحصر التفكير في الذات والنفس.

في داخل الكيس تتوقف كل الحواس عن العمل، وتنشط حاسة السمع حيث يسمع المعتقل في الغالب أصوات صراخ المحققين وأصوات الأبواب الحديدة وهي تفتح وتغلق بضجيج عالٍ، وأصوات مفتعلة، ولكنها تصل إلى المعتقل بشكل مضخم جداً بسبب الكيس، ويتولد لديه إحساس قاسٍ بالعزلة التامة عن العالم، وأن العالم كله قد انكمش واختزل في الأصوات وفي لحظات الترقب «متى سيأتي دوري؟ متى سأتلقى رفسة من الخلف أو ركلة في البطن أو ضربة على الرأس؟» وهي ضربات يتلقاها المعتقل عادة من الحارس لتصعيد توتره ودفعه إلى الانهيار، وللكيس رائحة كريهة، رائحة العرق أو التقيؤ، فهو لا يغسل، مما يسبب صعوبة شديدة في التنفس، وضيقاً في الصدر، ويستمر وضع الكيس في الرأس لأيام وأسابيع وفي الأغلب طوال فترة التحقيق، وإليك هذه الإرشادات في آلية التعامل مع الكيس:

١) على المجاهد البدء فوراً بالمعركة مع الكيس، وألا يبقى صامتاً متسلماً ينتظر قدره.. عليه أن يحاول عمل ثقب في الكيس مهما كان صغيراً سواء بقرضه بأسنانه أو بحكه في الحائط، لكي تتوسع بعض مساماته وتخف سماكته ويظهر ثقب صغير، وهذا الثقب مهم جداً في المعركة إنه نافذة للروح والنفس قبل كل شيء، ومن خلاله يستطيع المعتقل مراقبة الجندي الحارس ومعرفة مكانه وفترة غيابه للتعرف على المعتقلين الذين بجواره أو لأخذ غفوة أو قسط من الراحة...

٢) إن الكيس يولد ضغطاً شديداً على المجاهد، يدفعه للتقيؤ وثقب الكيس يخلق لديه إحساساً بالحيوية والنشاط مما يساعده على الصبر والصمود.

ومنذ أواخر العام ١٩٩٩م بدأت طواقم المحققين في كافة مراكز التحقيق باستبدال الكيس الذي تحدثنا عنه بنظارة وذلك على أثر الدعوة التي تقدمت بها مؤسسات حقوقية وإنسانية ضد أسلوب الكيس وعدم إنسانيته.

والنظارة قطعة من البلاستيك والمطاط الأسود، على شكل نظارة كبيرة تغطي كامل العينين وجزءاً من الوجه والأنف، وما ينطبق على الكيس، والهدف من استخدامه،

ينطبق على النظارة باستثناء أنه باستخدام النظارة يمكنك التنفس بشكل جيد، ودون معاناة، ولكن مع تصاعد وتيرة انتفاضة الأقصى عادت المخابرات لاستخدام أسلوب الكيس وخاصة في القضايا التي تصنفها على أنها عسكرية...

ثالثاً: المحقق الذي يعرف كل شيء....

وهو أحد أساليب الخداع أو يقوم على الإيحاء القوي والتأثير النفسي بقصد إيهام المجاهد أن المحقق يعرف كل شيء عنه، ويحاول السيطرة عليه نفسياً، ويقوم هذا الأسلوب على مجموعة ثوابت تشكل آليات العمل، و مصطلحاته النظرية ووضعها في إطار تطبيق عملي يتألف من مقدمات ونتائج للوصول إلى طرف خيط أو الاعتراف، عادة ما يكون المحقق الذي يطبق هذا الأسلوب متخصصاً في علم النفس، ويدرس ملف المجاهد المعتقل بشكل كامل من الناحية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، مستنداً إلى المعلومات التي جمعها جهاز المخابرات ومجموع هذه المعلومات يشكل أرضية ينطلق منها المحقق، ويبدأ في دراسة نقاط القوة والضعف لدى المجاهد ويوظفها في آلية التحقيق.

وغالباً ما يلجأ المحقق لإحداث شعور بتفوقه وعلمه الغزير لدى المجاهد، فبعد أن يسأله عن اسمه وعمره و أحواله الخاصة، يبدأ بحديث فكري وتاريخي، ويطرح على المجاهد أسئلة تندرج من سهلة معروفة إلى أخرى تتطلب إجابات من له إلمام أو معرفة عميقة بالموضوع، فيسأله عن التاريخ الإسلامي وعن المذاهب الإسلامية، ثم يتوقف ويطرح سؤلاً عن المعتزلة، والقصد من هذا الحوار المتعمد أن يكون أعلى من المستوى الفكري للمجاهد لخلق حالة فوقية، ويركز المحقق خلال الحوار بصره بقوة وثبات في عيني المجاهد ليضع حالة من التأثير المباشر والسيطرة، وليوحي أنه شخص قوي يعرف عنه كل شيء وليغرس في المقابل في نفس المعتقل إحساساً بالضعف وقلة المعرفة وقد يتكرر هذا الأسلوب في عدة جلسات متوالية، وعندما يظن المحقق أنه حقق قسطاً من السيطرة على المعتقل، يدخل في صلب الموضوع أي يدخل في التحقيق الذي يهدف إلى انتزاع معلومات واعترافات.

يحاول المحقق أيضاً أن يغرس في نفس المعتقل قناعات تتناقض مع رسالته الجهادية التي اعتقل من أجلها، وأن يغسل بعض القناعات الموجودة لديه من أجل تحقيق إنجاز يدوم أثره بعد التحقيق، وبعد مرحلة السجن أيضاً.. انجاز يؤثر على محيط المجاهد الاجتماعي كله، فقد يكرر بشكل مباشر أو بواسطة الإيحاء بالقوة والمعرفة والتفوق، أن الكيان الصهيوني قوي جداً، وأن العرب ضعفاء، ولا مجال لكسب المعركة، وأن الأفضل تقبل الهزيمة والركون إلى المصالحة مع الأمر الواقع، ويحاول التأكيد على أن اليهودي بطبعه أفضل من العربي، وأنه يفكر بعقله بينما العربي أو المسلم شخص عاطفي يفكر بطريقة غير سليمة، والدليل على ذلك التقدم الصناعي

والتكنولوجي الهائل لدى الكيان الصهيوني، بينما العرب ما زالوا في بيوت الشعر، وأن جهاز الموساد هو أقوى استخبارات في العالم «نحن نعرف كل شيء، ألا ترى بنفسك؟!» وأنهم يعرفون كل التفاصيل وأدق الأمور عن القيادات وطبيعة العمل... بل وكثير من القيادات نتعامل مهم، وقد يقطع المحقق مجرى حديثه فجأة ويوجه كلامه مباشرة للمعتقل ليقول مثلاً «طالما تركت دراستك رغم أنك ذكي...؟! أنا أقول لك السبب.. نحن نعرف عنك كل شيء ويبدأ بسرد كل المعلومات التي يعرفها أمام المجاهد موحياً أن التنظيم مخترق منذ سنين، وأن إخوته من المجاهدين قد اعترفوا بكل شيء، وأن المسألة برمتها باتت مكشوفة تماماً للمخابرات، ويقول المحقق «المهم أريد أن أعرف فقط هل تريد أن تكذب علينا» لأن ذلك مهم بالنسبة لي كونك تشكل خطراً أم لا ؟ وهل تريد العودة إلى مثل هذه الأعمال أم لا ؟ وصدقك وكذبك هو دليل ذلك...

ويقوم فجأة ويفتح ملفاً ويسحب ورقة ويقرأ فيها الاسم الرباعي للمعتقل، وأنه منظم في حركة (....) ونظمه (...فلان) ثم يحدق في المجاهد بشكل مركز ويقول «ها أنت ترى لقد نظمك فلان، نحن نعرف كل شيء، وأعضاء مجموعتك هم فلان وفلان، وإنك لا تنوي العودة للعمل في صفوف الإرهاب الفلسطيني، نحن نعرف كل شيء، لا نريد منك معلومات فهي مكشوفة لنا، ولكن ما يهمنا هو المستقبل، وكيف ستتصرف فيه؟؟ نريد منك أن تكون صادقاً معنا، ثم إن اعترافك لمصلحتك حتى تستطيع إغلاق الملف بسرعة وانهيار التحقيق وفي حال اعترافك لن ينالك منا أذىً وسنخفف عليك في الحكم، لأننا سنقتنع حينها أنك لا تريد العودة إلى العمل مرة أخرى، ولكن إن أنكرت فستتعب كثيراً وستنال حكماً قاسياً وطويلاً، لأن ذلك معناه أنك إرهابي ومخرب ولا تريد أن تتخلى عن سفك الدماء....الخ.

وإذا استغل المحقق المجاهد وخدعه بحيلة، واستطاع أن يوهمه أنه يعرف كل شيء، فسيقع المجاهد في الفخ، وتبدأ الإجابات تتوالى كالسلسلة.... وعبر سلسلة الإجابات قد يجد المحقق ثغرات وارتباكات في أقوال المعتقل فيلجأ للتهديد باستخدام القوة، وقد يتعرض المجاهد هنا للضرب في هذا الأسلوب، ولكنه لا يتعرض له إلا من باب الإرهاب، بحيث تضعف إرادته كلما أعطى معلومات وأصبح استعداده بالتالي أكبر لإعطاء معلومات جديدة.

يظهر مما تقدم أن الأساس في نجاح عمل المحقق هو استجابة المجاهد للخدعة التي يحاول تمريرها عبر هذا الأسلوب، فإذا تغلبت إرادة المجاهد ويقظته انهزم المحقق وباء أسلوبه بالفشل.

رابعاً : الكرسي والشبح :

سعيا لانتزاع المعلومات من المجاهد تسعى المخابرات الصهيونية إلى تطوير أساليبها

وابتكار أساليب حديثة توفر الجهد والوقت، وتكون آثارها سريعة المفعول غنية النتائج، لذلك فقد استخدمت لسنين طويلة الوقوف المستمر أو الجلوس على رؤوس الأصابع «القرفصاء» لساعات طويلة ولعدة أيام أو عدة أسابيع، إن هذا الأسلوب له وقع قاسٍ ومؤلم، ويحتاج إلى شجاعة وإرادة فولاذية، وإيمان صلب وما عليك أخي المجاهد حين تشعر بالإرهاب إلا الارتماء على الأرض سواء كنت واقفاً أو جالساً القرفصاء، وذلك حتى تأخذ قسطاً من الراحة واعمل ذلك كل فترة قصيرة وحاول التظاهر بعدم القدرة على الوقوف، ماطل قدر الإمكان لكسب الوقت فدقائق الراحة غالية، وتشحنك بالطاقة اللازمة لاستمرار الصمود.

وبالرغم من الواقع القاسي والمؤلم لعمليات الشبح إلا أن المخابرات الصهيونية طورت هذا الأسلوب باتجاه وضع كرسي البلاستيك، يجلس عليه المجاهد لفترة طويلة، وهو مكبل اليدين، والكيس أو النظارة على رأسه، ومن المعلوم أن لفظة الكرسي لها وقع مريح على النفس، خاصة إذا جاءت في فترة التحقيق، ولكن الحقيقة عكس ذلك إذ أن الآثار السيئة للكرسي أكثر وقعاً على النفس من الوقوف المستمر أو جلوس القرفصاء، وهذا راجع إلى مسألة أساسية وهي أن الجلوس المستر لمدة ساعات يؤدي إلى تصلب وآلام في حلقات العمود الفقري، ويزداد هذا التصلب والآلام مع ازدياد وقت الجلوس على الكرسي، حتى يصبح وسيلة ضغط شديدة على الجهاز العصبي والنفسي لكي ينهار وبمزيد من الإيمان القوي المتجدد والخبرة يمكن للمجاهد تجاوز هذا الأسلوب ولكن المخابرات وجدت أن هناك نقاط ضعف في هذا الأسلوب، تتمثل في قدرة المجاهد على الاستراحة على الكرسي إذا ركز الألم على فخذ واحدة لفترة طويلة ثم يرتكز على الفخذ الآخر حتى لا يتعب كل الجسم.

وقد ابتكرت المخابرات أسلوبًا أكثر سوءًا منه ذلك باستخدام كرسي خشبي صغير، الجلوس عليه غير مريح بتاتًا ارتفاعه حوالي ٢٥سم وقاعدته ٢٠×٢٠ تقريباً، وله مسند خشبي خلفي ٢٠×٢٠، وقاعدة الكرسي مائلة بانحراف للأمام، لأن رجلي الكرسي الأمامية أقصر من الخلفيات، بحيث أن أي جسم يوضع عليه يسقط للأمام ويجبر المجاهد على الجلوس عليه، وتقييد يديه إلى مسند الكرسي، ولأن الكرسي مائل للأمام فإن جسد المجاهد لا يستطيع أن يثبت عليه ولذلك يحتاج إلى قوة يرتكز عليها لكي يمنع سقوط الجسد عن الكرسي ويصبح الجلوس على الكرسي مزعجاً بحيث يرتكز ثقل الجسد على نقطتين هما نهاية العمود الفقري وعقب القدمين، مما يؤدي إلى تخشب الظهر وتصلب العمود الفقري، وازدياد الآلام وتخدر الجسم، وحتى لا يغفو المجاهد يقوم بعض الحراس بضرب المجاهد أو تحريك رأسه بشدة أو ضرب الكرسي بعنف.

١) اعلم أخي المجاهد أن أسلوب الكرسي والشبح وإن اختلفت تصاميمه وتعددت أشكاله هو أداة ضغط وابتزاز، وهو وسيلة إنهاك وإضعاف لطاقة جسم الإنسان وتحمله،

وهو قاعدة يعتمد عليها مناخ التحقيق لأجل تدمير أسس المقاومة الداخلية لدى المجاهد طوال فترة وجوده في أقبية التحقيق، ودفعه لمواجهة جلسات التحقيق وهو منهك الجسد متعب الأعصاب ضعيف القوة، إن ضغط الألم الزائد من الجلوس على الكرسي يدفع المجاهد على المستوى النفسي إلى القبول بخيارات التحقيق هرباً من الألم، والقبول بالمعركة الخاسرة والاستسلام.

٢) إن المحقق يعتمد على انهيار المجاهد أمام ضغط الألم المتصاعد مع الجلوس المستمر على المقعد، وهو يراهن على الوقت لكي يحضر إليه المجاهد مستسلماً، وعلى المجاهد أن يدرك تماماً أن آلام الجلوس على الكرسي هي طريقة جديدة يعتمدها المحقق لدفع المجاهد للاعتراف أو القبول بالهزيمة أو الحل الوسط، وإن أحداث هذه الأيام المتصاعدة هو أسلوب خطر، وأن المشكلة ليست بمقابلة المحقق بل بالثبات والصمود وعدم الاندفاع باتجاه المحقق إلا إذا كان هذا الاندفاع هو نوع من المناورة لتخفيف الألم واكتساب مزيد من الراحة والوقت حتى يتمكن المجاهد من إكمال التحقيق دون خسائر.

٣) إن عدم استسلام المجاهد لآلام الشبح، وصبره على تحمل هذا العذاب يدفع إلى الخروج من قلعته المختبئ داخلها بانتظار الفريسة ... ويذهب للمجاهد لكي يحاول الضغط عليه نفسياً وتهديده والإيحاء بأنه سيبقى مشبوهاً سنين طويلة، وذلك لاستفزاز المجاهد ودفعه لليأس والقبول بخيار المعركة الخاسرة والاعتراف...!!

٤) واعلم أخي حفظك الله أن إخوانًا لك قد أمضوا في الشبح سواء بالوقوف أو جلوس القرفصاء أو الجلوس على الكرسي أو غيره من الأساليب أسابيع بل أشهر، وما نال ذلك من عزيمتهم وما استكانوا لضغوط الألم بل تسلحوا بالصبر، وأدركوا أنهم في معركة مقدسة وأن طريق النصر في هذه المعركة هو الصمود والتحمل في سبيل الله، وأنت لست أقل من هؤلاء، فكن صنديدًا وسجل اسمك في سجل الشرف، من هزموا جهاز المخابرات عبر الصمود في معركة التحقيق.

إرشادات في آلية التعامل مع الكرسي :

أ) إذا أحسست أنه لا يوجد حركة من المساجين تستطيع قلب الكرسي على الأرض وأخذ قسط من الراحة والنوم.

ب) تستطيع لف الكرسي إلى جهة الحائط في المكتب ووضع القدمين عليه ويمكن أن تغفو قليلاً.

ت) عدم اعتماد المجاهد على الجلوس لفترة طويلة بنفس هيئة الجلوس بحيث تصيبه بعض الأوجاع والاعتماد على تغيير الجلسة كل فترة.

ث) استغلال الوقت بقراءة القرآن والدعاء والإكثار من قول لا حول ولا قوة إلا بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل، وقراءة سورة يسن.

ج) هناك نماذج نسائية برزت وكانت مثلاً يُحتذى في الصمود والإباء فكيف بنا نحن معاشر المجاهدين.

خامساً: التشكيك...

لعلك أخي المجاهد تلاحظ أننا نركز بشكل كبير على أسلوب الضغط النفسي أكثر من الضغط الجسدي، وذلك أن أغلب التحقيق اليوم يقوم على أساليب الضغط النفسي وقد أثبتت هذه الأساليب نجاعتها، لذلك ستجدنا نركز على هذا الأسلوب في دراستنا هذه.

يقوم أسلوب التشكيك على حيلة نفسية تعتمد على معلومات موجهة، مثل الحكايات والأمثال الشعبية والمقدمات الخاطئة التي يستخدمها المحقق من أجل تشكيك المجاهد بعقيدته وتاريخه وانتمائه وقضيته وحركته وإخوته المجاهدين ليجره إلى هاوية الانهيار والاعتراف.

وقد يبدأ المحقق بتضخيم اليهود، وكيف أنهم شعب الله المختار، وأن الله فضلهم على العالمين ،كما يؤكد القرآن أن الله مع اليهود وينصرهم ويؤيدهم، وأن جذور عقيدتهم تقوم على الأسس الدينية كالخروج والشتات والوجود التاريخي لليهود في فلسطين أرض الميعاد، وأن الأنبياء كلهم من نسل اليهود، وأن المسلمين متزمتون متعصبون يريدون في عصر الذرة إعادة عصر العبيد، وأن اليهود أقوياء ويتحكمون بالعالم وأن جميع الزعماء والقادة والحكام عملاء لهم، وأن إسرائيل عبر تقدمها الحضاري والتكنولوجي أصبحت تتحدى العالم وأن العرب لا يملكون أي قوة، وأن اليهود هزموا جميع الجيوش العربية في ساعات قليلة، فإذا كانت جيوش العرب كلها لم تهزم إسرائيل فهل يستطيع مئات من المجاهدين أن يؤثروا فيها بشيء....؟إن هؤلاء المجاهدين المساكين يظنون أنهم يلحقون الأذى بإسرائيل وهم في الحقيقة لا يلحقون الأذى إلا بأنفسهم وأهليهم وذويهم ومستقبلهم، ولابد لهذه التضحيات التي لا تخدم الشعب بل تخدم القادة الذين يتاجرون بدمائهم وحياتهم وهم يعيشون بأمان في أماكن شتى وأن إسرائيل ترغب بالسلام مع الجميع، وأن ذراع جهاز المخابرات طويلة تصل إلى كل مكان في العالم، وأنهم يعرفون كل شيء.

كانت التقارير تصلنا فقط، نحن أمهلناكم وانتظرنا حتى اعتقلناكم جميعاً ولم يفلت من قبضتنا أحد، فلا فائدة من الإنكار وعليك أن تعترف كما فعل باقي زملائك الذين اعترفوا وانتهى التحقيق معهم، وسواء اعترفت أم لا فنحن لا نريد اعترافك، المعلومات التي لدينا تكفي لسجنك وحكمك، لذلك عليك أن تفكر، ساعدنا ونحن نساعدك، ومائة أم تبكي ولا أم تبكي والدجاجة إن حفرت على رأسها عفرت، وأنا كدليل على معرفتي بكامل قصتك أقدم لك واقعة حقيقية ففي يوم كذا وكذا «يذكر تاريخاً» كنت أنت وفلان وفلان في سيارة لونها كيت، وذهبتم إلى المكان الفلاني وأكلتم في المطعم الفلاني...الخ. نحن لم نكن هناك ولكننا نعرف كل شيء، والآن تعال لترى

المجاهدين الذين يعترفون كيف يعاملون، هنا يتم اصطناع مسرحية بحيث يتم وضع شخص أو اثنين في الأغلب في وضع مريح، وهم يشربون الشاي وأمامهم أطباق من الفواكه، وتجالسهم مجندة، ويتندر معهم ضابط آخر مجموعة من النكات لكي يضحكون ،ويسمح المحقق للمجاهد بمشاهدة ذلك من خلال العين السحرية، للباب وعلى المجاهد في هذه المرحلة الانتباه إلى التالي:

١) إن المحقق يستجمع كل طاقاته ويقدم كل أوراقه لكي يفقده الثقة في كل شيء حوله، ولكي يخدعه عبر ألاعيبه بأن إخوانه اعترفوا، وأن المخابرات تعرف كل شيء عنه، وأنه وقع، وعليه أن ينقذ نفسه فالمحقق يضخم العدو ويمش المجاهدين، ويشكك بهم، ويضع للمجاهد في سلم الأولويات مصالحة الذاتية ويحاول دفعه للتفكير بها ويحاول أن يصرفه عن التفكير بالمثل العليا والمصلحة العامة مؤكداً أنها مجرد سراب.

٢) على المجاهد أن لا ينخدع بهذا الأسلوب الذي تشترك فيه طاقة المحقق وعقله ونظراته وتقلصات وجهه وجديته وحركة يديه، لكي يوجد حالة تأثير نفسي وحالة سيطرة على المجاهد، يمرر من خلالها كل ما يريد أن يوصله إلى المجاهد لكي يسقطه في فخ الاعتراف... بعض المعتقلين خدعوا بهذا الأسلوب، وصدموا عندما شاهدوا قادتهم في أوضاع مريحة يحتسون فيها القهوة بحضور مجندة، فانهاروا واعترفوا بكل شيء، لكن المجاهد كيّس فطن لا يخدع لأنه يدرك أن التخيلات التي يحول أن يمررها ضابط المخابرات أمام أعين المجاهد هي تخيلات خادعة كاذبة، وإن كان لها مظهر منطقي.

٣) إن المجاهد الذي تبدأ الشهادتان عنده بحرف «لا» عليه أن يتعود رفض الهيمنة والسيطرة في أقبية التحقيق كما تعودها ورفضها في الخارج.

٤) على المجاهد أن لا يكترث لأسلوب المحقق، وأن يحيل بصره واهتمامه عنه إلى أي شيء آخر، وليشرع في تلاوة القرآن وتذكر سيرة الأبطال، فهذا مدعاة لسكون القلب وإفشال لخطة المحقق.

٥) عليك أيها المجاهد أن تقاطع المحقق دائماً، ولا تسمح له بأن يكمل فكرته، فأنت لم تأت لأقبية التحقيق لتسمع محاضرات تافهة من محقق أخرق ،لذلك قاطعه تفشل أسلوبه وانفِ أي صلة لك بالقضية التي يحققون معك فيها وأكد للمحقق أنه مخطئ ،وأنك إنسان عادي، ولا دخل لك في هذه المسائل....الخ.

٦) أسلوب التشكيك هو نوع من لعب الخداع التي يمارسها محاور ماهر يحاول من خلال تجميعه لمجموعة جزئيات صغيرة صحيحة أن يقدم حقيقة كاذبة كما يخدع الساحر الحواس يحاول المحقق بمهارة ولكن لا ليخدع الحواس بل ليخدع العقل. إن المحقق الذي يمارس دور المحاور البارع تهتز شخصيته المزيفة كلما وجد أن المجاهد لا يكترث له ولحديثه، ويبدأ بالفشل كلما قاطع المجاهد حديثه وأبدى

عدم الاستجابة والتأثر به. وعندما يشعر أن أسلوبه أصبح فاشلاً وغير مجدٍ تثور أعصابه ويتوتر ويأخذ بالصراخ والشتم، وهي علامات الفشل والضعف والهزيمة، لقد جرب ذلك أخوة مجاهدون فشل الجلاد وانهار أمام رفضهم وتعنتهم ومعرفتهم بهذا الأسلوب الذي – اسمحوا لنا بالقول إنه – لا ينطلي إلا على الجهلة ومهزوزي الثقة وضعيفي الإرادة.

سادساً: التبسيط:

فخ ينسجه اللئام للسذج الذين ينزلقون في أساليب الخداع والوهم، قلنا سابقاً إن أسلوب التحقيق وكيفيته ومدته مرتبط بنوع القضية وخطورتها، وبنوعية المقاتل وثقافته وخبرته ودرايته وأسلوب التبسيط –أي تبسيط القضية وتبسيط، الشخص وتبسيط خطورته– هو أحد الأساليب التي تستخدمها المخابرات الصهيونية وينحصر استخدامها تقريباً بنوعية من المناضلين والمجاهدين البسطاء، وخاصة صغار العمر، وأصحاب التجربة الأولى الذين من السهولة التأثير والسيطرة عليهم، وهم أشخاص في الغالب أدوارهم محدودة.

لهذه المصيدة عدة سيناريوهات، أن يجلس ضابط المخابرات وراء طاولة وأمامه كمية كبيرة من الملفات ويتظاهر بالإرهاق والتعب، وهنا يدخل عليه محقق مصحوباً بالمعتقل، وعندما يشاهدهم الضابط يصرخ بغضب «من هذا؟» أنا مرهق ٤٨ساعة وأنا أعمل أريد أن أستريح، أريد أن أعود إلى أولادي وزوجتي، لا أريد أن أرى أحدًا هنا، يتدخل المحقق قائلاً: سيدي الميجر، هذا شاب بسيط وقضيته بسيطة ولا تحتاج إلى تعب هنا يدقق الميجر ببصره إلى الشاب، ويتحرك من مكانه، ويسحب ورقة بيضاء وقلماً ويقول للشاب: خذ اكتب قصتك، وينظر إلى الساعة ويتمتم «يوجد وقت كافٍ» ويوجه حديثه للمحقق بعد أن يكتب قصته «سلمه هويته وأطلق سراحه، واضح أنه شاب مسكين وليس مخربًا» وفجأة يوجه حديثه للشاب «اسمع هذه أول مرة وآخر مرة أراك هنا...سامع» «دير بالك على حالك».

طبعاً يسبق ذلك تحضير من قبل المحقق الشاب، بأن يخبره بأن هذا هو الضابط المسؤول عن التحقيق، وهو الذي يقرر تحويل المعتقلين إلى قضايا أو إداري أو الإفراج عنهم.

يقول الشاب «ف» مكثت في التحقيق عشرة أيام كان المحققون خلالها يسألونني عن قضية صغيرة ولم يضغطوا عليّ في ذلك، كنت أخشى الاعتراف لأني لا أريد أن أذهب إلى السجن، وفي اليوم العاشر جاءني محقق وقال لي: نحن مقتنعون أن قضيتك لا تستحق أن تسجن لأجلها، وأنك لست خطيراً بل على العكس، أنت شاب طيب ،لذلك سآخذك إلى الميجر «نداف» المسئول عن التحقيق في سجن الجلمة، وعليك أن تخبره قصتك، لأنه سيقرر إطلاق سراحك إذا عرف أنك لست إرهابيًا ومخربًا أما إذا فعلت

عكس ذلك، فسيغضب الميجر، وأنت تتحمل النتيجة بعد ذلك، أخذني المحقق إلى مكتب كبير يختلف عن ما شاهدته سابقاً، كان بداخل المكتب عدة أجهزة كمبيوتر، وتلفزيون وفيديو ورفوف مليئة بالملفات والوثائق، وكان يجلس محقق كبير في السن على كرسي ضخم، قال لي المحقق هذا هو الميجر وقال للميجر: هذا هو الشاب الطيب الذي حدثتك عنه وعن ضرورة الإفراج عنه قال الميجر أنا لا مانع عندي من الإفراج عنه، لكن عليه أن يثبت أنه ليس إرهابيًا ولا مخربًا صحيح أن مظهره يدل على أنه طيب، وقضيته بسيطة إلا أن عليه أن يثبت ذلك، تقدم مني الميجر وأعطاني ورقة وقلمًا وقال لي: اذهب مع المحقق واكتب كل قضيتك وجهز حالك للشحرور الحرية بالعربي.

دخلت غرفة المحقق، وجلست على الكرسي، وأمامي الطاولة، فكرت ماذا أكتب، لم أجد عندي أي شيء، فقلت أكتب أي شيء حتى يفرج عني، وفعلاً كتبت أني قمت بإلقاء زجاجة حارقة في إحدى المظاهرات....طرقت الباب وقلت للمحقق لقد كتبت شيئًا، أخذ المحقق الورقة وسلمها للميجر الذي غرق في الضحك، وقال: جيد سيفرج عنك...لم يفرج عني بل حكمت بالسجن لمدة ثلاث سنوات...!

وهناك شكل آخر لأسلوب التبسيط: وهو أن يجلس المحقق مع المجاهد، ويبدأ بعملية الإيحاء للمجاهد أنت طيب وابن ناس، لماذا تحمل نفسك هذا العذاب والألم؟ العناد لا يخدمك، قضيتك بسيطة وتافهة، والذين معك قضاياهم أكبر، من قضيتك أنا أعرف أنهم ورطوك، وأنك لست مثلهم، وهناك قضايا أكبر من قضيتك، اعترفوا وأطلق سراحهم، الآن عند أهلهم فرحون، ويبدأ بسرد بعض قصص أصحاب القضايا الذين أفرجت عنهم المخابرات بعد اعترافهم وبعد أن اقتنعت المخابرات أنهم ليسوا مخربين أنت قضيتك أصغر من قضيتهم، اعترف حتى تعود لأهلك، وهذه غلطة وأنصحك أن تتعلم من هذه الغلطة، وحافظ على نفسك، أنا سأساعدك وأكتب عنك تقريرًا بأنك بريء وأنك لن تعود، لهذا العمل عدني لن تعود إلى هذا الطريق.

ولكن معنى عدم اعترافك أنك مشترك مع مجموعتك، وأنك مخرب مثلهم، وأنه إذا أفرج عنك فستعود لهذه الطريق مرة أخرى، وستكتب عنك المخابرات تقريراً سيئاً، وسيبقى ملفك إلى الأبد، لذلك ساعدني وساعد نفسك بالاعتراف حتى أستطيع إقناع بقية طاقم التحقيق بأنك طيب وبسيط ولست مخرباً.

فإذا تجاوب المجاهد واعترف سيكتشف أنه خدع وأنه لن يرى لسنوات طويلة ضوء الشمس ولا أهله، وإن لم يتجاوب مع المحقق فسيخلع المحقق عن وجهه قناع البراءة...ويستخدم معه سياسة العصا، ويبدأ بشد المجاهد بين العصا والجزرة لكي يختار بين عصا التحقيق وجزرة الاعتراف فإذا أصر المجاهد على الإنكار، وتمسك به ورفض الاعتراف حتى لو كان ثمن ذلك التحقيق والتعب، هنا يجد المحقق أن أسلوبه لم يعد له جدوى، فيبحث عن أسلوب جديد.

سابعاً: التضخيم:

وعكس التبسيط، وهو كأسلوب للتحقيق يعمد على استفزاز الجانب الشعوري للمجاهد لتحريك الآليات الدفاعية اللاشعورية داخله، وجعله يعيش حالة هروب من تهمة مضخمة كاذبة إلى تهمة صغيرة، وذلك للحصول على طرف خيط من الاعتراف يؤدي من خلال مبدأ التدرج إلى انهيار المجاهد واعترافه الكامل.

التضخيم كأسلوب هو حيلة لوضع المجاهد في حالة قلق نفسي وتوتر عصبي وعدم التوازن على مستوى التفكير من خلال تضخيم المعتقل أكبر مما هو ووضع هالة مضخمة حول نفسه وقضيته وتهمته وأعماله بحيث تبدوا أعماله الجهادية شيئاً تافهاً وشيئاً صغيراً، وتصبح مسألة الاعتراف بها شيئاً ممكناً على المستوى المنطقي والواقعي، كعامل هروب من حالة التضخيم التي يواجه بها من قبل المحققين، وهو أسلوب يستخدم مباشرةً أحياناً مع حالات من المجاهدين وأصحاب التجربة الاعتقالية السابقة، وأحياناً مع المجاهدين الذين قضوا فترة طويلة في أقبية التحقيق ولم يفلح المحققون في نزع اعتراف منهم، وهو كأسلوب لا ينفصل عن الأساليب الأخرى، وقد تستخدم معه عدة أساليب مساعدة لتحقيق هدف الاعتراف.

يقدم المجاهد عبر مسيرته الجهادية خارج أسوار المعتقل من خلال التزامه بحركته مجموعة خدمات،، اتصال نقل عتاد مهمات بسيطة، وقد تكون عمليات عسكرية ومجموع هذه الخدمات هي خدمات عادية وواجبات طبيعية، وعندما يعتقل الأخ المجاهد يستقبل في أقبية التحقيق بمسرحية مفبركة لغرس حالة من الهلع في نفسه، فما أن ترفع النظارة عن عينه في أول لقاء له مع المخابرات بعد اعتقاله حتى يجد نفسه في مكتب كبير، فيه محقق أو اثنان، ينظرون إليه وكأنهما يريدان أن يفترسانه وتبدأ المسرحية «أهلاً بالبطل» «شكراً لله لأننا مسكناك» وقعت أخيراً، كنا نتصور أنك تعمل اشتباكًا مع الجيش وتستشهد، أنت تنظيم حماس، أهلاً وسهلاً بالقتلة، أنتم مجرمون إرهابيون مخربون، أنتم أخطر أشخاص على أمن إسرائيل، وأنت يا مجرم، أخطر واحد في التنظيم، نحن نعرفك من زمان ،أنت أبو البلاوي، أنت أخطر من فلان الذي اغتلناه، وفلان وفلان، أنت أكبر واحد فيهم، وأنت أنشط واحد بتفكر، إحنا تاركينك الآن، وقعت في الفخ يا قاتل يا مجرم، قيادة المخابرات كلها شكرتنا لأننا تمكنا من اعتقالك، تقارير القيادة تقول أنك خطير جداً، لذلك سمحوا لنا باستخدام كافة أساليب التحقيق القانونية وغير القانونية لانتزاع الاعترافات، وحتى لو وصل الأمر إلى موتك، فأنت قاتل وتستحق أن تقتل، شوف هذا الملف الضخم ملفك، ولن تخرج من هنا حتى تنهيه كله وإلا ....؟! سنجتث حركة حماس التي نظمتك، لأنكم قتلة وسفاكي دماء تقتلون الأطفال والمدنيين وتقولون عن أنفسكم مجاهدين، نجحتم في تنفيذ العملية، ولكن الآن سنأخذ ثأر الذين قتلتموهم، فدم اليهود لا ينهب هدراً ....الخ من هذه المقدمات المفبركة.

في هذا الجو المشحون بالتضخم، والذي يكون فيه عقل المجاهد متوقفًا عن العمل، بسبب الصدمة تدخل مجموعة كبيرة من المحققين إلى الغرفة وهم غاضبون ويمثلون دوراً مسرحياً «أين هو تاع العمليات؟» أين القاتل المجرم؟ ويحاولون بنظراتهم القاتلة وتصرفاتهم المقصودة افتراس المجاهد، ونهش لحمه، ويصرح أحدهم أنت قتلت أحد أقاربي أو أخي أو صديقي..إلخ سأقتلك، ويحاول أن يهجم على المجاهد بينما جميع المحققين يمسكونه ويسحبونه من المجاهد بقوة إلى الخارج، بعد أن يكون أصابه بعدة ضربات غاضبة بعد هذه الجولة من التضخيم، والتي يرى المحقق أثرها على وجه وملامح المجاهد ينتقل إلى دور المساومة والابتزاز.. «أتركك لهم حتى يأكلوك ولا يبقى فيك شيء أو تعترف وأحميك رغم أنك لا تستحق ورغم أن يديك ملطخة بدماء اليهود»

إذا كان المجاهد يجهل هذا الأسلوب سيحدث في داخله صراع كبير، وسيحاول عبثاً أن يقاطع المحقق «كذب» وسيحلف بالله وبالقرآن وبكل مقدس بأنه كذب، وسيعيش في حالة من الشعور بأنه مظلوم، وسيدافع عن نفسه ويبرر «غير صحيح» وسيصل التوتر في داخله إلى أقصاه، وعندما يصل توتره إلى هذا الحد، يسمح له المحقق بالحديث ،حيث سيقول أنا مظلوم وهذا كلام كذب أنا لم أقتل، صحيح أنا شاركت معهم ونقلت الأسلحة، والله العظيم أنا لم أشارك في القتل أنا بريء، فقط طلبوا مني مساعدة، وأنا ساعدتهم... المجاهد الذي يجهل هذا الأسلوب، سيقدم هذا الاعتراف الصغير كمخرج من هذا التضخيم، وسيعتقد أنه بهذا الاعتراف الصغير قد أنقذ نفسه من عدة مؤبدات، ومن قضية لا يعرف آخرها إلا الله، نعم سيعتقد أنه سيخرج من الأزمة، وسينتهي التحقيق، ولكنه متأخراً سيكتشف أنه خدع وأنه قدم طرف الخيط.

عندما يعترف المجاهد هذا الاعتراف، البسيط سيواصل المحقق الابتزاز وسيحاول تبهيت وتهميش هذا الاعتراف، وسيبدأ بالصراخ في وجه المجاهد أنت تريد أن تضحك علينا، نحن نعرف كل القصة، ويبدأ بشكل عصبي بالضرب على الطاولة ومحاولة قلبها بصورة عصبية جداً، لإيهام المجاهد بجديته، وإشعاره بقوته ومن ثم يجلس غاضباً ويقول: اسمع يا ولد، نحن نعرف كل ما ذكرته، وعارفين كل شيء، اعترف بكل شيء أفضل....

فإذا اعترف المجاهد سيواصل المحقق محاولة الابتزاز باستخدام كل الأساليب، وإن أصر على الإنكار سيجر المجاهد للاعتراف من باب التدرج من الذين شاركت معهم؟! وأين؟ وكيف؟...؟؟!!

وكل سؤال من هذه الأسئلة سيفتح ثغرة كبيرة وبابًا واسعًا يدخل منه المغفلون باب الانهيار...أما المجاهد الرسالي الواعي، فسيدرك أن التهويل في جوهره كذب وأن

التضخيم في مضمونه شرك، وأن التهديد ومظاهره مسرحية، وأن دور المحققين هو دور تمثيلي غير واقعي، وأن من يسلم لأعدائه طرف الخيط فقد هوى....لذلك:

١) على المجاهد في سبيل الله أن يدرك أن أسلوب التضخيم هو حيلة خداع تمارسها المخابرات على المجاهد الأكثر مسؤولية والأكثر صبراً وصموداً وتحدياً، وعليه أن يواجه التحدي الصهيوني بتحد مقابل، وليس بالصبر والصمود فقط، فالتحدي لجهاز المخابرات هو أول السبل لإفشاله...

٢) عندما يقدم المحقق افتراءاته وتضخيمه يجب على المجاهد عدم الاستماع له أو الاهتمام بحديثة بل عليه أن يواجه المحقق وبصوت حاد «كذب ...افتراء..ليس لي علاقة» ولا تجعل المحقق يكمل فكرة من أفكار التضخيم.

٣) على المجاهد أن يواجه المصطلحات التي يستخدمها المحققين قتلة، مجرمين، سفاحين، سنقتلك كما قتلت الأبرياء....الخ بثبات لا يلين وتذكر قول الله تعالى:﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾.

يقول المجاهد أبو أنس: استخدمت معي المخابرات في أثناء التحقيق أسلوب التضخيم عندما بدأوا بالتضخيم وتكبير القصة، تذكرت هذا الأسلوب فابتسمت لا إراديا، وعندما استمر المحقق به بدأت بالضحك، فاستفز ذلك المحقق وصرخ بغضب لماذا تضحك يا قاتل؟ قلت له: أضحك على ثوبك الكبير الذي تفصله لي، لم يفهم كلامي جيداً، غضب بشدة وقال ماذا تقصد؟؟ قلت له وأنا أضحك: أقصد ما قلته فاستفز جداً، وانهال علي بالشتائم والسباب وتركني وخرج.

هكذا أفشل هذا المجاهد أسلوب التضخيم بثبات وثقة وسخرية ومقاطعة وجرأة جسدتها ابتسامة وضحكة ومقاطعة المحقق الذي فشل في أسلوبه فخرج يجر أذيال الخيبة.

ثانياً: العدو والصديق:

عندما تحاصر شخصاً وتضيق الخناق عليه وتغلق في وجهه كل منافذ الخلاص، عندها يفقد الأمل تماماً، وسيكون من غير الممكن أن يبدي تجاوباً معك.....وسيكون أكثر عناداً، فإذا فتحت له بعدها باباًصغيرًا أو منفذاً للنجاة، فسيفرّ بجميع حواسه وعقله إلى هذا المنفذ ويرى فيه باب الأمل المتاح... على هذا الأسلوب، يقوم أسلوب العدو والصديق، وهو من أشد أساليب التحقيق خداعاً، لأن الأمل هنا ليس سوى مصيدة ومحاولة لاستدراج المجاهد ليعترف.....

توزع الأدوار في هذا الأسلوب على اثنين من رجال التحقيق، يمثل الأول دور السفاح القاسي الذي يتلذذ بضرب المعتقل وتعذيبه، ويمثل الثاني دور الشخص الطيب الرقيق الذي فيه نزعة إنسانية بالغة... تبدأ المسرحية بعد جولة من الإقناع والإغراء والتهديد يمارسها رجال التحقيق مع المعتقل، فإذا فشل التحقيق في انتزاع أي معلومات يدخل المحقق الشرير «فجأة» متظاهراً أنه دخل إلى غرفة التحقيق خصيصاً من أجل انتزاع

اعتراف بأي شكل، ويسأل المحقق الذي يمثل دور «الطيب» بقسوة هل اعترف...؟؟ وهنا يجيب المحقق الطيب متظاهراً بالخوف والضعف أمام «الشرير» لا ...فيرد «الشرير» بغضب: هذا بسببكم، أنتم تشفقون عليهم، أنتم تضيعون وقتنا، اخرج من هنا...و أمام صراخ الشرير يخرج المحقق الطيب متظاهراً بالانكسار والضعف، هنا يخلو الجو للشرير، وتغلق أمام المعتقل أبواب النجاة من التعذيب، ويبدأ الشرير بالصراخ وضرب الطاولة وقلبها، ثم يهجم على المعتقل ويمسك به ويهزه بعنف «بدك تعترف ولا بدك تموت» وقد يقوم الشرير بضرب المجاهد بعض الضربات المحسوبة وهو يصرخ ويشتم، وقد يبدأ المجاهد بالصراخ أمام هذا الوضع وهروباً منه... وفي هذه اللحظة يفتح الباب بقوة ويدخل المحقق الطيب متظاهر بالانفعال ومحاولاً تهدئة الشرير وتخليص المعتقل من بين يديه، ثم يخرج الشرير، ويبقى الطيب الذي يقدم المساعدة للمعتقل، ويحضر له كأساً من الماء ويعرض عليه فنجاناً من القهوة أو الشاي ويتظاهر بالإشفاق عليه، ثم يبدأ بالحديث الودي معه، ناصحاً إياه في تمثيل مسرحي بارع، فيقول للمعتقل: «ارحم نفسك، يكفيك هذا العذاب، لو لم أخلصك من يدي هذا المجرم لقتلك أو تركك مشوهاً، الأفضل لك أن تعترف ولو بأي شيء...قل لي من نظمك؟ ومتى تم تجنيدك ....؟ أعطني معلومات حتى أستطيع أن أقنع الوحش أنك طيب وتريد أن تنهي القصة، وأعدك أنه لن يحصل لك عذاب بعد ذلك...

فإذا أصر المعتقل على الإنكار، حاول المحقق الطيب أن يستثير في نفسه الشعور بالعرفان ورد الجميل قائلاً »هل هذا جزاء المعروف؟! أنت تعرضني لموقف محرج أمام ذلك الشرير وأنا أنقذتك، ويستمر في هذه اللعبة مستخدماً الضغط النفسي والتخويف من عودة الشرير وأمام إصرار المجاهد على الإنكار، ينفتح الباب بعنف ويطل الشرير برأسه صارخاً: ألم يعترف بعد؟ ماذا تنتظر هنا يدخل المحقق الطيب ويقول إنه يعترف، فقط أعطينا عشر دقائق وينغلق الباب بقوة، ويبدأ الطيب جولة جديدة من الضغوطات وإظهار الحرص والشفقة، فإذا انطلت الحيلة على المجاهد واعترف يظهر الطيب على حقيقته وينزع عن وجهه قناع الوداعة وينتهي دوره في التمثيل فإذا هو أحد المحققين ولا فرق بينه وبين الشرير.

وإليك أخي المجاهد هذه التوجيهات لتستحضرها في ذهنك إذا ما تعرضت لمثل هذا الأسلوب:

١) إن أسلوب العدو والصديق هو فخ ماكر، وعلى المجاهد أن يعي هذا الأسلوب جيداً وأن يدرك أنه لا فرق بين المحقق الشرير والطيب بل إن الذي يمثل دور الطيب أشد خطورة.

٢) لا تنسَ أن هذا المحقق الذي يمثل دور الطيب ما هو إلا ثعلب ماكر فهو نفسه أوقع بإخوانك وزج بهم خلف القضبان لعشرات السنين، وهو جزء من هذا الكيان الذي يقتل أهلنا ويشرد شعبنا فكيف يكون حريصاً عليك وعلى صحتك.

٣) هل ترضى لنفسك أن تبيع إخوانك وأسرار دعوتك بكلمات معسولة وطيبة تسمعها من محقق مجرم...؟؟؟

٤) إن إفشال مثل هذا الأسلوب هو بعدم ثقتك بأي صهيوني حاقد في أقبية التحقيق، فهم لا يسعون إلى خيرك بل إلى بقائك لأطول فترة داخل السجن.

يقول المجاهد «ك» وهو صاحب تجربة أولى في التحقيق: خضعت للتحقيق في قضية إلقاء «أكواع» على دورية عسكرية، ولم أعترف بشيء، واستمر ذلك حوالي أربعة أيام.... بعدها دخل عليّ محقق أراه لأول مرة، كبير الحجم، ومفتول العضلات، وسأل المحقق المسؤول عن قضيتي هل اعترف؟؟ قال له حتى الآن لم يعترف... فأخذ يصرخ ألم أقل لكم أن تستدعوني من إجازتي إذا لم يعترف، وسألني كم يوم إلك في التحقيق؟؟ قلت هذا اليوم الخامس. قال مفكر حالك بطل خمسة أيام، وأنت تضحك عليهم، وصرخ في المحقق المسؤول عني أخرج ودعني أريك كيف يعترف في عشرة دقائق، وأمسك بيد المحقق وأخرجه من الغرفة، وبقيت أنا وهذا الوحش البشري، وبدأ يصرخ ويشتم يا مخرب: ماذا تنتظر مني أن أتحدث معك طبعاً؟ لن أفعل ذلك، لأن لي أسلوبي الخاص في التحقيق، وأخذ بإزاحة الطاولة من وسط الغرفة، وقال لي: بدك تعترف ؟فقلت ليس عندي شيء، وعندها هجم عليّ وأمسكني من أكتافي، وأخذ يهزني وهو يقول اعترف اعترف ستموت، ثم قام بصفعي مرات متوالية قد تكون أربع مرات، لم أدر ماذا يدور حولي لأني سقطت عن الكرسي، كل ذلك وهذا المحقق يصرخ ويشتم.



عندها دخل المحقق المسؤول عني ودفع المحقق المتوحش، وأخرجه من الغرفة، ثم رفعني عن الأرض وأجلسني على الكرسي، وفك يدي وأحضر لي كوباً من الماء البارد، وقال لي لا أدري لماذا هذا العناد وإلى متى....؟؟ أخشى إن عاود الوحش التحقيق معك مرة أخرى أن تخرج معاقاً أو مشلولاً نتيجة الضرب..أنا سأساعدك ولكن عليك أيضاً أن تساعد نفسك، فأنا لا أستطيع أن أضع هذا المحقق المجرم عنك إذا بقيت على موقفك الحالي... إذا اعترفت عندي فأنا أقبل منك أي شيء، أما هو فلن يقبل منك إلا كل شيء، وسيبقى يعصرك حتى تعترف على ما لم تفعله... واستمر في محاضرته لي كشخص ويحرص على مصلحتي وسلامتي...الخ. ودام ذلك حوالي ثلاث ساعات، كنت خلالها مصراً على أني لم أفعل أي شيء... عندها غضب المحقق وخرج، ورأيته يعطي إشارة للمحقق المتوحش كي يدخل إلى وفعلاً خلال ثوانٍ كان كالثور الهائج يصرخ، ويحطم ويريد أن يقتل وغيره من أساليب الهمجية وبعد خمسة دقائق عاد صديقي المحقق الناصح الشفيق على حالي وعاد إلى محاضرته التافهة مرة أخرى، فقلت له اسمع: أنا عارف كل أفلامك، وسيبك من هالمسرحية، عندها جن جنونه وكشر عن أنيابه وبدل أن يكون حملاً وديعاً أصبح ذئباً شرساً، فقلت له: الآن عدت إلى طبيعتك، فقال أنتم تريدون قتل اليهود، وإزالة دولة إسرائيل فهل تريد أن

أدللك أو أن ألعب معك وهكذا أصبح الصديق أعدى الأعداء.

تاسعاً: السهر والحرمان من النوم:

هذا الأسلوب يترافق دائماً مع أسلوب الشبح، سواء وقوفاً أو على الكرسي وهما أسلوبان سبق الحديث عنهما، ويعتبر هذان الأسلوبان من الأساليب التي ترافق المجاهد طوال فترة وجوده في أقبية التحقيق، سوى بعض التسهيلات التي تعطى في فترات متقطعة، للذين يقدمون اعترافات كاملة.

فالمجاهد منذ لحظة دخوله إلى أقبية التحقيق وبدء التحقيق معه، يتم شبحه على الكرسي، وطالما هو مشبوح ممنوع عليه النوم بسبب أسئلة المحقق أو لأن الشرطي يمنعه من ذلك، إن هذا الإرهاق العصبي للمجاهد متعمد وكلما طال أمد الوقوف أو الجلوس على الكرسي زادت نسبة الإرهاق وزاد الألم بحيث يصبح صمود المجاهد أمراً بحاجة إلى شجاعة كبيرة وصبر عميق، وكما يحتاج الإنسان إلى الهواء لكي يعيش، فهو كذلك يحتاج إلى النوم، لأن النوم ضرورة من الضرورات الحياتية، لذلك تستخدم المخابرات الصهيونية في معركة التحقيق كل ما تستطيع من أسباب لإجبار المجاهد على الاعتراف... فيأتي الحرمان من الراحة والنوم ليضغط على المجاهد بقسوة.

وضغط التعب والسهر يؤثران تأثيراً سلبياً داخلياً على أعصاب المجاهد ونفسيته، إنما يؤثران على إرادته من الداخل بينما المحقق يواصل ضغطه من الخارج ليلتقي الضغط الداخلي والخارجي، لأنه عدو واضح وصريح ومكشوف، فإن قدرته تقل وهو يواجه ذاته من الداخل، إن النوم يوجهه كل لحظة وتمنى أن ينام ولكن كيف ينام والمحقق يمنعه من ذلك.

لعلك تلاحظ أخانا المجاهد أننا تحدثنا عن أسلوب الحرمان من النوم بطريقة مغايرة قليلاً فلعلك تلاحظ أننا ركزنا على الآلام والضغوط وذلك لأن هذا الأسلوب أصبح شائع الاستخدام، خاصة بعد قانون منع التعذيب الجسدي الذي صدر عام ١٩٩٩م.

١) لمواجهة هذا الأسلوب عليك أخي المجاهد أن تستخدم وتستحضر إيمانك واستعدادك وتحشد كل طاقة الصبر والتحمل عندك لكسب هذه المواجهة.

٢) إن الإيمان بالقضية يغرس في قلب المجاهد قوة روحية كبيرة أكبر من قوة الألم... لذلك ينتصر الصبر على الألم ويغرس في قلب المجاهد دوافع قوية أقوى من ضغط السهر والوقوف، وضغط المحقق المجرم لذلك ينتصر التحمل على الإرهاق وينتصر المجاهد على المحقق.

٣) إن تهديد المحقق وحديثه حول كون المعتقل يصاب بالهلوسة بعد اليوم الثالث أو بعد ٨٠ساعة ما هو إلى محض كذب وافتراء، وهي محاولة لكسر شوكة المجاهد فهناك مجاهدون سهروا أكثر من ذلك ولم يحصل لهم شيء، لا على المائة ساعة ولا على أكثر من ذلك.

٤) اعلم أخي المجاهد أن الله معك ولن يتركك، واستمع إلى قول المجاهد »محمد« فلحظات الإرهاق القاتل والسهر المضني كان الله-تعالى- يرحمنا بسنة من النوم قد لا تتجاوز دقائق أو ثوانٍ وعندما نستفيق نجد أن طاقتنا وحيويتنا ردت إلينا وكأننا نمنا نوماً عميقاً لساعات نستطيع أن نواصل السهر بعده لساعات أخرى.

٥) تذكر أن كل كلمة تخرج من فمك على شكل اعتراف معناها سنوات طويلة في السجن فتعب بضعة أيام لا يقارن بسجن سنوات طويلة.

يقول المجاهد «صالح» استمر التحقيق معي لمدة أربعين يوماً ولم أذق فيها النوم إلا لفترات قصيرة جداً طلبوا مني الاعتراف بتفجير عبوة ناسفة، الحكم عليها مدى الحياة في حالة الاعتراف، وعندما كنت أجد نفسي على حافة الانهيار، كنت أتذكر وجه أطفالي الصغار فتصيبني هزة من الداخل، أتركهم مدى الحياة أم أصبر أياماً أخرى؟! عندها كانت تسري في جسدي روح جديدة وكنت أتجلد بقوة صمود جديدة تدفعني للصبر والتحمل حتى لو استمر الشبح والسهر شهوراً طويلة.

فإذا كان دافع عدم ترك الأطفال دفع لصالح تحمل أكثر من ٤٠يومًا أفلا يكون دافع الإيمان بالله وبالقضية والحرص على إخوانك ودعوتك محفزاً أكبر لك.

عاشراً: الشرك:

يقوم أسلوب الشرك على خلق جو متعمد من الانفراد لعدة دقائق أو أكثر لاثنين من المجاهدين في مكان ما، حيث يخبأ بالقرب منهم جهاز تسجيل للحصول على معلومات بصورة غير مباشرة فعندما تتأكد المخابرات الصهيونية أن اثنين من أعضاء الحركة تجمعهما روابط تنظيمية وإن هناك شكوكًا أنهما اشتركا بفعاليات عسكرية أو غيرها، وإن فرصة السيطرة عليهم والحصول على معلومات بصورة مباشرة من خلال الضغوط الجسدية أو النفسية غير واردة، فماذا يمكن لجهاز المخابرات أن يعمل؟؟ هل يستسلم ويغلق ملف القضية نتيجة عناد وإصرار الأخوة؟ أم أنهم يبحثون عن أسلوب ما لتحقيق أهدافهم...؟!

هنا يتقدم جهاز المخابرات لاستخدام أسلوب الشرك، ففي أقبية التحقيق يعمد جهاز المخابرات إلى عزل أبناء القضية الواحدة عزلاً كاملاً، بحيث لا تتوفر له فرصة اللقاء أو الاقتراب من بعض. والمجاهد في ظروف التحقيق يبدأ باكتشاف نقاط ضعفه، ونقاط ضعف إخوانه ويخشى أن تكتشف المخابرات هذه النقاط، لذلك يكون حريصاً على أن يستدل على إخوته لتحذيرهم وتذكيرهم لكي لا يؤخذوا من هذه النقاط على حين غرة.

والمخابرات تدرك أنه إذا ما تم ترتيب خلوة مصطنعة لاثنين من المجاهدين في جو غير مشبوه، فإنهما سيتناجيان وسيذكر كل مجاهد أخاه إن لا يعترف على الأسلحة أو العمليات مثلاً، أو إذا سألوه عن قضية معينة وإن ينكرها وأن ينفي أي علاقة مع «س أو ص» وهناك عدة سيناريوهات لذلك منها:

●● يتم التحقيق مع المجاهد الأول، وبعد أخذٍ وردٍ حول قضيته قد يستمر لعدة أيام يكون فيها المحقق قد ركز له خلالها على بعض الأسماء أو العلميات أو النشاطات، وأثناء تحقيق روتيني يتم استدعاء المجاهد الثاني إلى المكتب، وأثناء الحديث معهما عن القضية يتظاهر المحقق بأنه يحتاج إلى قهوة أو يحتاج ملفاً فينادي على الشرطي أو على محقق آخر فلا يستجيب أحد وكأنهم لم يسمعوه، وهذه عملية مصطنعة فيستشيط المحقق غضباً ويخرج من المكتب لمحاسبتهم وإحضار حاجته بحيث يخلو الجو للأخوة، وهذه فرصتهما التي يتمنيان من الله أن يحققها لهما وهاهي تتحقق فلا أحد في المكتب سواهما ولا بأس من تحذير بعضهما بعدم الاعتراف على بعض القضايا والأسماء....فإن فعلا ذلك فإن كل شيء سيكون مسجلاً بجهاز تسجيل وبناء على هذه المعلومات سيتم اعتقال أخوة جدد والحصول على طرف خيط جديد.

●● قد يرتب هذا الشرك في حجرات الزنازين: حيث يوضع الأخوة في زنزانتين متجاورتين وبينهما كوة صغيرة بحيث يسمح لهما الظرف بعد ابتعاد السجان بالحديث الطويل وقد يستمر وجودهم في تلك الزنازين يوماً أو يومين وذلك راجع لمدى استفادة المحقق من خلال جهاز التسجيل.

●● وقد يرتب هذا الشرك في سيارة عسكرية حيث تحملهم وهم معصوبي الأعين ويستلمهم ضابط عسكري وينادي كل أخ باسمه وتذهب بهم السيارة العسكرية إلى منطقة بعيدة بحجة نقلهم إلى أحد مراكز التحقيق، وفي الطريق تتوقف السيارة، بصورة متعمدة بحجة تعطل السيارة أو غيره، وينزل الجنود ويتركون الأخوة في السيارة بينما يذهبون لإصلاح الخلل أو العطل، ونفس السيناريو يحدث، ولكن بفارق أن الأخوة ينزلون من السيارة ويتم إجلاسهم على جانب الطريق أو بجانب شجرة ويقف جندي من بعيد حارساً عليهم وأمرهم بعدم الكلام «وكأنه يستفزهم للحديث» بحيث ما إن يلهو عنهم بشيء أو يتركهم لمعاينة السيارة أو إحضار شيء ما... يقتنص الأخوة غياب الحارس وابتعاد الجندي للحديث عن ما لا يجب الاعتراف عليه، وعن مخاوفهم بأن تكون المخابرات تعرف عن عملياتهم أو الأسلحة، وهل تم اعتقال غيرهم من الأخوة أم أن الضربة طالتهم وحدهم...الخ. ظانين أنهم بعيدين عن سمع المخابرات وجهاز التسجيل.

قد تستغرب أخانا المجاهد هذا الأسلوب، لكن اعلم أنه حدث مرات عديدة وفي بعضهن كانت نتائجها كارثية، وكانت المخابرات تنجح في الحصول على معلومات وعلى أسماء إخوة جدد لم يكن تم اعتقالهم.

●● وهناك أساليب كثيرة أخرى لنصب الإشراك جميعها يقوم على مبدأ لقائك مع أحد أبناء قضيتك خلال فترة التحقيق، علّ ذلك يساعد المخابرات في الكشف عن عملك وجهادك أنت وإخوانك ولكي تحافظ أخانا المجاهد على نفسك وتصون دعوتك

وإخوانك عليك بالآتي:

١) على المجاهد وهو يواصل معركته الجهادية في أقبية التحقيق ألا يغفل عن جوهر صراعه وعن طبيعة عدوه وعن الكثير من أشكال الشرك التي يمكن أن تنصب له ولإخوانه، وألا يخدع كما خدع غيره، وأن يضيع الفرصة على المحقق ويفشل أسلوبه، وعليه أن يحذر إخوته من الحديث والثرثرة والغفلة عن ذاتهم، وعليه أن يتذكر دائماً أن غياب المحقق كشخص لا يعني غياب أجهزته.

٢) إن هذه اللقاءات التي يمكن أن تحدث ليست وليدة الصدفة، بل هي متعمدة ومقصودة لأجل الحصول على مزيد من المعلومات ولا يسقط في هذا الشرك إلا المتهورون والانفعاليون الذين يفكرون بعاطفتهم.

٣) عندما يلتقي المجاهد مع أخيه في أي ظرف من هذه الظروف عليه أن يضبط نفسه وأن يتعامل بشكل طبيعي كأنه يجلس مع غريب ، وإذا ما اضطر لمخاطبة زميله فليكن ذلك بالإشارة، وعند الحاجة فقط، ولا بأس من بعض هذه الإشارات المطمئنة بأنه ليس عنده شيء.

٤) بعد ذلك ننصح بعدم الحديث عن أي موضوع له علاقة بالقضية، وليكن موضوع الحديث بأن المخابرات الإسرائيلية ظالمة، وأنها تحاول تلفيق التهم الباطلة لك، وأنه لا علاقة لك بالقضية التي يسألون عنها، لذلك لو استمر التحقيق ألف عام فلن يجدوا عندي شيئاً.

الحادي عشر: الشاهد والمواجهة:

أحياناً في ظروف العمل السري تحدث عبر الممارسات بعض الأخطاء لأخوة مجاهدين في الحركة أو الجهاز العسكري، مما يوجد لدى المخابرات طرف خيط دقيق تتمسك به بصلابة كمفتاح لتحل به باقي حلقات السلسلة، وأحياناً يلتحق بمسيرة الجهاد والمقاومة بعض الأخوة الذين لم يتم إعدادهم إعداداً كاملاً على المستوى الإيماني أو التنظيمي أو الأمني أو السياسي أو العسكري، لذلك فهم يفتقدون للنضوج ويحملون في داخلهم قابلية للانهيار أو الاعتراف، لذلك تستخدمهم المخابرات كرأس حربة عبر أسلوب الشاهد لتحقيق أهدافها، ويقصد به ضرب مجاهد بمجاهد لدفعه إلى الاعتراف، فقد يتم اعتقال مجاهد وتحت وطأة التعذيب والضعف الداخلي يعترف بأنه شارك بفعاليات تنظيمية أو عسكرية، ولكن اعترافه لا يتوقف عند هذا الحد، فالأسلحة التي استلمها يجب إن يسلمها أن كان قد خزنها عنده، وسيضطر للاعتراف على مجاهد آخر إن لم تكن عنده وإن كان قد شارك بفعاليات مع مجموعة فربما يكون قد اعترف عليهم جميعاً أو على واحد على الأقل، وهذا يدفع المخابرات إلى اعتقاله والتحقيق معه... ترى كيف سيكون موقف المجاهد في أقبية التحقيق، والمخابرات تواجهه بمعلومات صحيحة بأنه في اليوم الفلاني في

الساعة التاسعة مساءً في المكان الفلاني استلمت سلاحًا أو شاركت مع آخرين في تنفيذ هجوم ضد سيارة عسكرية أو مدنية....الخ.

إن المخابرات الإسرائيلية ستسعى بكل الحيل وأساليب الخداع لتضليل المجاهد وإيهامه بأنهم يراقبونه منذ فترة طويلة، وأنهم قد استطاعوا اختراق التنظيم منذ فترة ليست بالقصيرة، وأن اجتماعاتهم وحركاتهم مرصودة ومتابعة، وأن التقارير تصل يومياً عنهم حتى نفذوا العملية العسكرية بعد أن استلموا السلاح في يوم كذا في نقطة كذا وساعة كذا... وسيوهمون المجاهد بأنهم يعرفون كل أفراد الخلية وكل أعضاء الجهاز، وأنهم جميعاً معتقلون الآن في السجن، وأنه من الأفضل له بدل الشبح والتحقيق والبهدلة أن يعترف كباقي زملائه الذين اعترفوا على كل شيء وكتبوا ذلك على الورق، وهم الآن مرتاحون.

المجاهد بدوره سينكر ويصر على الإنكار وعدم الاعتراف... المخابرات تضغط عليه لكي يعترف بمحض إرادته وبنفسه وعندما تجده مصراً تهدده إذا أحضرنا من يشهد عليك وأنت تعرفه جيداً ...هل تعترف؟؟ سيصمت المجاهد في هذه اللحظة ولعله لا يدري بماذا يجيب، عند ذلك سيعمد المحقق إلى إخفاء المجاهد تحت الطاولة ويطلب منه أن لا يتحرك ولا يتكلم ويحضر المحقق الشاهد وهو لا يعرف أن أخاه المجاهد موجود تحت الطاولة في نفس الغرفة... يسأله المحقق اسمك؟! يجيب »عادل« في أي تنظيم أنت »حماس« هل تعرف خالد »نعم« ما هي علاقتك به؟؟ سلمته أسلحة في اليوم الفلاني والمكان الفلاني وشارك معنا في تنفيذ هجوم على سيارة عسكرية »شكراً« أخرج.

المحقق يعلم أن المجاهد رغم أنه اعترف إلا أن عوامل داخلية تدفعه إلى التراجع، مثل وخز الضمير وأنه إذا تقابل مقابلة مباشرة مع أخيه ربما يتردد وينكر لذلك فهو يعمد إلى الشاهد لكي يدلي باعتراف بدون مواجهة المجاهد الذي تحت التحقيق وجهاً لوجه، ومن ثم يخرج المجاهد من تحت الطاولة ويقول له: سمعت كل القصة بأذنيك... دورك أن تعترف فإذا أصر المجاهد على الإنكار، يمارس معه جولة من التحقيق القاسي نوعاً ما بالاشتراك مع مجموعة من المحققين لإجباره تحت ضغط اعتراف الشاهد، وتحت التحقيق للاعتراف، أو تقديم طرف خيط جديد، فإذا استمر على صموده يحضرون الشاهد لكي يدلي بشهادته بشكل مباشر وجهاً لوجه وبشكل مكرر لإقناع المجاهد بالاعتراف وسيركز المحقق على بعض العبارات، مثل: هل يكذب صديقك عليك، هو قد اعترف عليك وانتهى الأمر لا فائدة من الإنكار لماذا يشهد ضدك؟ لماذا لم يشهد على غيرك هل بينكم ثأر أو مشاكل؟ وكل ذلك في حملة منطقية لإقناع ودفع المجاهد للتفكير الواقعي بالاعتراف حسبما يريد المحقق.

■ إذا وقعت في مثل هذا الموقف فكيف تتصرف:

١) على المجاهد إذا وجد ثغرة في أقبية التحقيق يمكن أن يستغلها المحقق كمنفذ لضرب الدعوة والحركة، فيصبح من الواجب الشرعي عليه أن يسد هذه الثغرة بجسده ودمه مهما كلف الأمر، فإذا كانت هذه الثغرة انهيار أخ وسقوط مجاهد، فعليه أن يفدي دينه وحركته بنفسه ويغلق هذه الثغرة ويوقف توسعها.

٢) عليه ألا يفكر بذاته ولا يفكر برد الفعل، وألا يبني موقفاً عاطفياً من اعتراف أخيه، بل عليه أن يتحمل ضعف أخيه وأن يضع نفسه في هذه المعركة في خندقين، خندق لنفسه وخندق لأخيه ويديرُ معركة الصمود في هذين الخندقين.

٣) إن الذين يعترفون تحت مبرر أن أخاً قدم شهادة أو اعتراف عليهم، عليهم أن يتأكدوا أن هذه الشهادة ليست مبرراً للاعتراف بل الاعتراف ناجم عن الضعف أو الجبن والاستعداد للاعتراف، وأنت أخانا المجاهد لست كذلك، فهل بدل أن تدافع عن نفسك وعن أخيك تخذل نفسك وتخذله وتخذل دعوتك وحركتك؟

٤) على المجاهد المعترف في أقبية التحقيق ألا يكون مطية بيد المحقق بتقديمه الاعتراف، وبشهادته على أخوانه، أفلا يكفي اعترافك وانهيارك حتى تشهد على الآخرين.

٥) على المجاهد الذي يواجه باعتراف، عليه وبشهادة ضده، عليه أن ينكر، وعليه أن يصرخ في وجه الشاهد »كذاب أنا لم أعمل معك، راجع ضميرك، حرام عليك تخرب بيتي....الخ.

تم اعتقال أحد الأشخاص بسبب وصول معلومات لدى المخابرات تفيد بأن في حوزته أربع قطع سلاح، حقق معه حول الموضوع فاعترف أنها كانت عنده ولكنه أعطاها لأخ مجاهد اسمه «سعيد» تم اعتقال سعيد بسرعة، وبدأ التحقيق معه حول الأسلحة ولكنه أنكر. مورس معه تحقيق قوي شديد استخدمت فيه أساليب شتى، ولكنه أنكر القصة، أحضروا الشاهد في مقابلة مباشرة مع سعيد، سأل ضابط المخابرات هذا الشخص: من هذا؟ قال سعيد. هل تعرفه؟ «نعم» ما هي علاقتك به؟ أعطيته أربع قطع سلاح. هل أخذها منك؟ نعم. متى؟ يوم الجمعة . هل أنت متأكد؟ نعم «أخرج». جهاز المخابرات متأكد أن الأسلحة موجودة عند سعيد، لذلك استمر التحقيق معه بشكل متواصل، وأحضر هذا الشخص ليشهد على سعيد عدة مرات حتى انهار سعيد واعترف بأن الأسلحة عنده. قال له المحقق «أين هي»؟ قال ليست عندي أخذها مني شخص «من هو»؟ لا أعرفه، وبعد تحقيق شديد قال أعطيتها للأخ «حسام» وعلى الفور أحضر حسام، وحقق معه قال: لا أعرف سعيداً ولم أستلم أسلحة. أحضر الشخص وسعيد عند حسام، وبدأ التحقيق مع الشخص، من أخذ منك الأسلحة؟ «سعيد» فسئل سعيد هل أخذت الأسلحة؟ نعم. من أخذها منك؟ «حسام». أخرجوا. وبدأ فصل من التحقيق المكثف الذي كان يداوم عليه فريق كامل على مدار ٢٤ ساعة...



أحضر سعيد ليشهد من جديد ولكن بالضرب...المجاهد حسام صرخ في وجهه كذاب... حرام عليك...خاف الله ربما سرقت منك... ربما ضاعت مع صراخه انهالوا عليه بالضرب.. المجاهد سعيد اهتز وصرخ وأنكر لا لا لم أعطه الأسلحة، لم يأخذ مني شيئًا وبدأت المخابرات التحقيق الشديد مع المجاهدين سعيد يقول: لم أعطه وأنه اعترف تحت التعذيب، وحسام يقول لم أستلم...استمر ذلك فترة غير قصيرة من التحقيق ولكن مابين صمود سعيد وثبات ورجولة حسام يئس المحققون وأفلسوا، وبعد فترة زمنية خرج سعيد وحسام من السجن، وبقيت الأسلحة أمينة بانتظار مجاهد جديد يحملها ويكمل مسيرة الجهاد.

الثاني عشر التشويه والحرق السياسي:

إن دور القائد أو الرمز في التنظيم دورٌ أساسيٌ فهو المركز الذي تتمحور حوله البنية التنظيمية، وهو الشخص الأكثر معرفة بأسرار التنظيم وأفراده، كما أن له قيمة معنوية كبيرة حيث يشكل القدوة لعناصر التنظيم الذين ينظرون إليه على أساس غير عادي، إنه البطل الذي لا تلين له قناة.

لذلك يهتم رجال الأمن الصهاينة بإلقاء القبض على القيادات التنظيمية، ويبذلون من أجل ذلك جهداً كبيراً وإذا حدث وتمكنت أجهزة المخابرات من اعتقال قائد تنظيمي، فإنهم يحاولون الحصول منه على المعلومات بشتى الأساليب ولكن أخبث أسلوب يعمدون إليه هو محاولة حرق القائد سياسياً أو تشويه صورته و إظهاره بمظهر الضعيف الخائف الذي يقدم لهم المعلومات بسهولة، وينشرون حوله الإشاعات من أجل إضعاف معنويات أفراد التنظيم الذين كانوا يكنون له احتراماً وتقديراً بالغين، إنهم يستعملون هذا الأسلوب من أجل تحطيم الثقة التي تجمع أفراد التنظيم ومن أجل تشويه المعاني النبيلة والمبادئ السامية التي تمثلها وتجسدها الرموز والقيادات الحركية في شخصيتها وسلوكها ومن أجل الحصول على معلومات أكثر عن التنظيم.

يحاول جهاز المخابرات إظهار القائد المعتقل بمظهر الإنسان الجبان الضعيف أو بمظهر الإنسان الأناني الذي تهمه مصلحته، ويستخدمون لذلك عدة مسرحيات منها:

■ نشر الإشاعات في الزنازين عن طريق العملاء بأن الشيخ أو القائد الفلاني قد اعترف من أول يوم ومن دون ضغط وقد قدم اعترافًا موسعًا حتى أنه كتب أكثر من ١٠٠صفحة وكم سمعنا في التحقيق أن الشيخ فلان قد انهار واعترف حتى أنه كان يبكي من أجل وقف التحقيق...وسيردد المحققون نفس الأكاذيب وذات القصة على مسامعك وقد يحضرون لك أوراقاً كثيرة عليها اسم الشيخ أو ذاك القائد من أجل إقناعك بأنه اعترف، وإظهار هؤلاء القادة على أنهم ضعيفين ويعترفون في أول مواجهة، والمخابرات ترمي من وراء ذلك إلى تحطيم صمودك وصلابتك، وإذا ما خدعت

بهذا الكلام فستجد عندما تخرج من السجن أن هؤلاء لم يعترفوا، وأنك أنت معترف أو الخاسر، وأن كل ما سمعته ما هو إلا مسرحية اشتركت فيها المخابرات مع العملاء في الزنازين.

يقول المجاهد «ماجد» اعتقلت أنا والمجاهد «أ.إسلام» وهو قائد الجناح العسكري في منطقتنا. من لحظة وصولنا بدأ التحقيق المكثف حول علاقتي ب أ.إسلام، أنكرت وجود أي علاقة لي به، وأن تواجدي معه لحظة الاعتقال كان محض الصدفة ليس إلا. كنت متيقناً أن أ.إسلام لا يمكن أن يعترف، لذلك لا يوجد شيء يدينني فبقيت مطمئناً حتى نزولي إلى الزنازين في اليوم الثامن حيث وجدت هناك شاباً تبدو عليه علامات التدين، سلمت عليه وجلست، وكما هي العادة دار حديث بيننا كالذي يجري عادة في الزنازين، وكنت أريد سماع أخبار أ.إسلام فقد كنت أتصور أنه يتعرض لتحقيق قاسٍ جداً، فسألت رفيقي في الزنزانة عمن التقاهم خاصة إن كان قد أنهى التحقيق وبذلك يتم تنقيله بين الزنازين دائماً، فبدأ بسرد أسماء الذين التقاهم ولم يكُ أ.إسلام من ضمنهم، إلا إن هذا الشاب قال سأحدثك بأمر غريب رأيته في الزنازين، فقد أدخلوني قبل أربعة أيام إلى زنزانة وجدت فيها شيخاً معه دفتر وقلم فشككت أنه عصفور، وخفت منه، إلا أنه قال لي اجلس فأنا معتقل مثلك، ولست عصفوراً قلت له وما هذه الأوراق التي في يدك قال إني أكتب اعترافاتي فقلت له أن شكلك يدل على أنك شيخ صاحب دين، ولكن لماذا تكتب اعترافاتك ولماذا لا تصمد وتصبر..؟ قال لي اسمع أن كل ما يحدث هو لعبة سياسية وسوف نخرج من السجن خلال أشهر قليلة سواء بالتبادل مع حزب الله أو في إفراجات عامة بعد انتهاء بناء السور والانسحاب من غزة ،فلماذا نزهق أنفسنا بالتحقيق؟أنا أفضل أن أخرج من التحقيق معافى دون إعاقات ما دام الأمر كذلك فأنا المسئول العسكري للمدينة الفلانية وإسرائيل وكل الناس تعرف دوري في الانتفاضة ولا مجال للإنكار.

يقول الشاب: وعبثاً حاولت ثنيه عن الاستمرار في الاعتراف، إلا أنه كان يكتب اعترافاته في الليل، ويناقشها مع المخابرات في النهار، دون ضغوط ولا مشاكل، حتى أنهم يوفرون له كل ما يريد في زنزانته مقابل ذلك... سأل «ماجد» الشاب عن اسم هذا الشيخ الجبان الذي يعترف دون ضغوط فقال الشاب إنه لا يذكر اسمه إلا أنه يعرف المسؤول العسكري للمنطقة الفلانية ومواصفاته كذا وكذا وكانت هذه الأوصاف تنطبق على الشيخ أ.إسلام وكذلك المنطقة التي ذكرها هي نفس منطقتنا فجن جنوني وحاولت أن أتأكد من الشاب هل هو أبو إسلام أم غيره وعندما حدثني عن قصة اعتقال هذا الشيخ التي رواها في زنزانته أيقنت أن الشيخ ما هو إلا أبو إسلام، ولكني لم أظهر أي معرفة لي به، واستمررت أنا وهذا الشاب في الزنزانة حتى يوم الأحد حيث، طلبتني المخابرات بعد راحة الجمعة والسبت خرجت إلى التحقيق وأنا

أشك في كلام هذا الشاب فقد يكون صحيحاً وقد يكون كذباً.

كان المحقق على غير عادته هادئاً ومبتسماً، وقال لي: هل تشرب قهوة أو شايًا قلت شاي فأحضره لي ومعه بعض البسكويت والحلويات، وكان لا يسألني عن القضية ولا يحقق معي إنما كانت أسئلة عن حياتي وعملي وإخوتي، بعد أن أنهيت شرب الشاي، أحضر لي ساندويش جبنة وقال لي: تفضل كل وبعد انتهائي من الأكل سألت المحقق: شو المناسبة السعيدة لهذا الكلام؟ فقال لي مش معقول بتعرفش، قلت للأسف لا فقال: هذا حلوان إنهاء «أ.إسلام» التحقيق، وأخرج لي ملفًا كبيرًا من الأوراق المكتوبة بالعربية وقال لي هذا ملف أ.إسلام فقلت للمحقق أنا لا أصدقك، فقال أنت تعرفه، قلت: نعم، فأراني توقيعه في نهاية بعض الصفحات. صدقت الموضوع، ومع قليل من حديث المحقق اعترفت وبعد خروجي إلى السجن سألت عن أبي إسلام فقالوا إنه لا يزال في التحقيق وبعد حوالي ٣شهور خرج أبو إسلام لأكتشف أنه لم يعترف وإن الشاب المتدين ما هو إلا عصفور وأني قد أدنت نفسي بسجن لا يقل عن خمس سنوات.

- قد يحضر المحقق القائد المعتقل وهو في زي مدني نظيف ومرتب، بعد أن يعطيه إياه على أنه جاء من الأهل ويجلس على مقعد مريح، وحوله بعض ضباط المخابرات وهم يتبادلون الأحاديث معه كأنهم في جلسة ودية، ومن خلال العين السحرية للباب يحضر المجاهدون الآخرين ويجعلهم يشاهدون قائدهم وهو في وضعية تبعث على الشك بعدها يتوجه المجاهد الذي يشعر أنه خدع ألم أقل لك لقد اعترف بكل شيء ،لقد باعك وباع تنظيمك وقد اعترف دون أن نمسه بأذى.

أسلوب آخر قد تلجأ إليه المخابرات نذكره عبر هذه القصة التي عايشها كاتب هذه السطور:

دخلت إلى إحدى الزنازين لأستريح من التحقيق فقد كنت قد انتهيت منه تقريباً وبعد ذلك بحوالي الثلاث ساعات أدخلوا عندي شاباً في الثامنة عشرة من عمره وقد جلس في طرف الزنزانة وأخذ يبكي، حاولت الحديث معه والتخفيف عنه لكن دون جدوى فتوقعت أنه وقع في مصيدة العصافير، وأنه تحت تأثير صدمة الاعتراف وبعد العشاء كان قد استراح قليلاً بعد أن نام، وعندما استيقظ تحدثت معه حول سبب بكائه، فقال: إن مسؤوله باع التنظيم، وإنه اعترف على كل شيء، حتى أنه قال لي بأن مسؤوله قد ارتبط مع المخابرات أخذت أهون عليه واخفف عنه، وقلت له إن هناك خدع كثيرة تستخدمها المخابرات للإيقاع بالمجاهدين، فما الذي دفعك إلى اتهام مسؤولك بكل ما قلت؟ قال لي أن المخابرات أحضرت لي أوراقًا عليها «أي اسم محدثي» وتوقيع مسوؤله أخبرته أن مسؤوله اعترف بكل شيء ،عندما لم يصدقهم، قالوا أن مسؤوله الآن يحدثهم ويشرح بصورة تفصيلية ما ذكره من معلومات، وأنهم سيرونه إياه إن أراد قال لهم نعم أريد أن أراه ويا ليتني لم أره فقد شاهدته من العين السحرية



للباب وهو يجلس على كرسي كبير وأمامه فتاة ملابسها غير لائقة، وشاب آخر يضحك، أظن أنه محقق، وقد كان أمامه صحن كبير من الفواكه، وكان يشرب العصير. يقول الشاب عندما شاهدت ذلك، قلت للمحقق أريد أن أعترف، وقد كتبت كل شيء أعرفه ووقعت عليه عند الشرطة. وهاهم قد أحضروني إلى هذه الزنزانة بعد انتهاء ذلك. كانت قضية هذا الشاب بسيطة جداً تنظيم وفعاليات، وكم بذلت من جهود لإقناعه بأن ما رآه هو مجرد خدعة من المخابرات لكن كل ذلك كان بدون جدوى. إلى هنا انتهى الجزء الأول من القصة، ولكن بعد أشهر من وجودي في السجن اكتمل الجزء الأخير، حيث التقيت بالمجاهد «مالك» مسئول صاحبي في الزنزانة، بعد أن تعارفنا تحدثت معه أني التقيت فلاناً من أشبالك في الزنازين بعد تقديمه الاعتراف وعمل لي مشكلة كبيرة في البلد قلت له وما هي حقيقة ما رأى...؟! أخبرني مالك بأن ما رآه الشاب هو صحيح ١٠٠٪ لكن الذي كنت أجلس معهم هما طالبان من الجامعة العبرية يتعلمان اللغة العربية والأمثال الشعبية والعادات والتقاليد العربية والفواكه والعصير كانت لهما وهما من قدماهما لي حتى لا يبدوان كمحققين....!! هذه هي قصتي.

■ الإفراج بعد الاعتراف هو احد أساليب الحرق والتشويه السياسي الذي تعمد المخابرات إلى استخدامه، حيث إنه وبعد أن يقدم المسؤول اعترافاً حول قضية معينة يتم الإفراج عنه وأبناء قضيته في التحقيق حيث يتم إيهام الأخوة أن المسؤول ارتبط أو عمل صفقة مقابل الإفراج، وأنه باع إخوانه من أجل النجاة بنفسه وهنا نود التأكيد على أن مثل هذه الحالات لا تحدث إلا في القضايا الصغيرة التي لا تشكل خطراً أمنياً على الاحتلال.

أ.أحمد مسؤول في أحد التنظيمات العاملة في وطننا المحتل، تم اعتقاله، وبعد تحقيق قاسٍ اعترف على أخوة له تم اعتقالهم، وبعد ذلك بوقت قصير تم الإفراج عنه، وعندما سمع أبناء مجموعته وإخوانه نبأ الإفراج عنه، اتهموه وشككوا في وطنيته واعترفوا بكل ما يعرفونه، مع العلم أن هذا المسؤول كان قد اعترف بأمور بسيطة، بينما هم لم يبقوا في جعبتهم أي شيء، فكانت النتيجة تشويه صورة هذا المسؤول، واعتراف الأخوة وبعد فوات الأوان علم الأخوة خدعة وشركاً من أشراك المخابرات ولكن بعد فوات الأوان...!!

وهناك العديد من أنواع الخدع التي تلجأ إليها المخابرات فلا تقبل لنفسك أخي المجاهد أن تكون أضحوكة أو ألعوبة بيد المخابرات، تمرر عليها وعبرها ما تريد من حيل وخدع.

الثالث عشر: الصفقات:

إن نسبة ٨٥٪ من الحالات تعترف نتيجة ضغوط نفسية بأشكالها المتعددة، وبعض المساومات المعنوية والمادية، واستخدام المحقق بعض المناورات الذكية الناتجة عن

التجربة والقدرة على اللعب على المتناقضات، ونحن بدورنا نؤكد أن من بين هذه المناورات والحيل التي يتبعها ضابط التحقيق مؤخراً «الصفقات»، كأحد الأساليب لنزع الاعترافات، بالمقابل ١٥٪ من المعتقلين حسب هذه الدراسة قد أدلوا باعترافاتهم نتيجة ممارسة بعض الضغوط الجسدية المتفاوتة من حالة لأخرى حسب الحاجة،

الصفقة: هي إتقان خداع ينسجه المحقق مع المعتقل الضعيف للإدلاء باعتراف كامل مقابل تسهيلات أو إطلاق سراحه أو تخفيف حكمه...إلخ يقابله بعد ذلك المحقق بالتنصل الكامل من اتفاقه ليعود المعتقل بخفي حنين.

مميزات هذه الصفقات:

١) تعتبر الصفقات من أخطر الوسائل في نزع الاعترافات، حيث إن المخابرات لا تعترف بالصفقة إلا بعد أن تأخذ من المعتقل كل صغيرة وكبيرة في أعتراف مفصل غير منقوص.

٢) تجمع المخابرات من خلال هذه الصفقات أكبر كمية من المعلومات، تفوق ما تجمعه من غرف العار أو العملاء والاعترافات في المكاتب.

٣) يسعى ضابط المخابرات بعد انكشاف أمر الصفقة إلى ربط هذا المعتقل مع المخابرات بابتزازه وتهديده بكشف أوراق الصفقة لتنظيمه، إلا أننا نعتبر أصحاب الصفقات مشبوهين وخصوصاً إذا ما صارحوا تنظيمهم بذلك.

٤) تبقى الصفقات أسلوباً متطوراً لا تلجأ إليه المخابرات إلا مع المعتقل الضعيف الذي تبدو عليه أمارات الاضطراب والخوف الشديد، ولا يمكن أن تنطلي مثل هذه الأساليب على المعتقل الكيّس الذكي، ولذا فهي محدودة في فئة من النفسيات المهزوزة.

٥) لا يمكن أن تبقى الصفقة سرية بين المعتقل والمخابرات وسرعان ما تنكشف للتنظيم من خلال لوائح الاتهام والاعتقالات.

أنواع الصفقات:

١) الاعتراف الكامل مقابل تخفيف الحكم، حيث يقدم المعتقل كل ما لديه من معلومات عن نسفه وحركته وإخوانه على أمل أن يخفف عنه حكمه ولكنه يعود بلا شيء ويقضي حكمه وزيادة.

٢) الاعتراف مقابل إنهاء التحقيق والتخفيف من حدته بحيث يجد ضابط المخابرات مفتاحاً لنفس الأخر بأن يقدم ما لديه مقابل إنهاء التحقيق معه وما أن يستجيب ويعطي جزءاً مما لديه حتى تبدأ جولات من جديد، ففقد عرفت المخابرات مفتاح الاعتراف.

٣) الاعتراف مقابل إخفاء بعض الملف أو كله عن الآخرين «أبناء القضية»، حيث يعترف الأخ على أمور معينة، وتعرض عليه المخابرات إخفاء أقواله إن أعطاهم كل شيء، ويخدع البعض وتستغل المخابرات ذلك ويصبح الأخر أمام اعتراف مفصل.

٤) الاعتراف مقابل إخفاء التاريخ الحقيقي للاعتراف، كأن يضعف المعتقل لدرجة أنه يريد أن يعترف بما عنده لكنه يخاف من معرفة أبناء قضيته فيدلي بما عنده على أن يقوم المحقق بوضع تاريخ مزيف لإفادته، كأن يكون بعد شهر من اعتقاله، وهذا ما قد تلتزم به المخابرات إلا أن وقائع التحقيق ستكشف كذبه.

٥) الاعتراف مقابل تقديم تسهيلات حيث تعرض المخابرات الاعتراف مقابل إخراج المعتقل من الزنازين وتوقيف الشبح أو زيارة المحامي أو الاتصال بالأهل وتوفير الدخان وتحسين الأكل، وهذا ما تلتزم به المخابرات أحياناً لتحصل على اعتراف مفصل ثم ما يلبث المعتقل أن يعود إلى وضعه السابق دون تسهيلات.

٦) الاعتراف مقابل خدمات كأن يهدد المخابرات المعتقل بحرمان والده من التصريح الذي بحوزته، وأن تمنعه من الحصول على تصريح أو أي خدمة أخرى، ويمكن أن يكون التصريح في يده أو في جيب أبيه إذا أبدى استعداده للاعتراف، وهنا قد يضعف المعتقل أمام هذه العرض ويدلي باعترافه مقابل خدمة الحصول على تصريح أو لم شمل.

٧) أن تكون الصفقة بين المعتقل والمخابرات على أساس أن لا يواجه المعتقل من اعترف عليهم، وهذه من أخطر الصفقات حيث تطلب المخابرات كل التفاصيل لكي لا يضطر إلى مواجهة الآخرين فيعطي وللأسف ما لديه، ولكن المخابرات تفاجئه بالمواجهة، وبالتالي تضع أسفيناً بينه وبين إخوانه وتعرض عليه الحماية وهكذا تبدأ طريق الهاوية.

٨) الاعتراف مقابل الإبعاد: حيث تبدأ المخابرات بتخويف المعتقل من أن قضيته خطيرة، وأن حكمه كبير، وأنه إذا ساعدهم بكل صغيرة وكبيرة لديه فتستجيب المخابرات له بالإبعاد سواء إلى الخارج أو إلى غزة لفترة محددة، وهنا يطمح المعتقل بالعرض الخاص ويدلي بما لديه ولكنه يرمي بنفسه في ظلمات السجن سنين.

٩) لعل من أخطر الصفقات تلك التي يعرضها المعتقل على المخابرات ظناً منه أنه لديه القدرة على خداعهم وتحقيق ما يريد وأهمها:

أ) الاعتراف على الآخرين مقابل عدم اعتقالهم، ولكن المخابرات لا تلتزم وتعتقل الجميع.

ب) الاعتراف والموافقة على التعاون في محاولة لاختراق المخابرات وتنفيذ أعمال ضدهم، وكم من الأخوة فكر في ذلك، وحرفتهم المخابرات وأصبحوا عملاء لديها، وما قصة عبد المنعم أبو حميد وماهر أبو سرور إلا قصص نادرة بجانب القصص الأخرى السلبية.

ت) الاعتراف وتسليم الأسلحة مقابل تخفيف الحكم وعدم هدم البيوت وتتم هذه الصفقات عادة بحضور عدد كبير من رجال المخابرات يوقع خلالها على أوراق وغير

ذلك ويظن المعتقل أن لديه ورقة إثبات ولكن وبعد أن ينفذ ما عليه تتنصل المخابرات من كل شيء وتتركه بين نار الخزي والارتباط.

أمثلة على الصفقات:

١) أشهر الصفقات التي حصلت هي الصفقة التي حصلت مع «ر.ب» أحد مسؤولي التنظيمات الفلسطينية في بداية التسعينات، وكانت تقتضي بتسليم المجموعة التي نفذت إحدى العمليات والتي قتل فيها مستوطن، وتسليم أسحلة المجموعة، مقابل عدم هدم البيوت ،والإفراج عن «ر.ب». التزم «ر.ب» بكل ما طلب منه في الصفقة، بينما التزم الطرف الثاني بالشق الأول فقط وكانت ردة فعل الحركة الأسيرة عنيفة على هذه الصفقة بحيث لم يستقبل «ر.ب» في سجن جنيد، وبقي في العزل الانفرادي لمدة ستة أشهر، وتم استقباله بعد التدخل من قبل العديد من القيادات في ذلك التنظيم، وتم استقباله بشرط عدم ممارسة أي عمل تنظيمي داخل السجن.

٢) صفقة الشهيد عبد المنعم أبو حميد وكانت كالتالي: شطب قضيته بالكامل والإفراج عنه مقابل تسليم مطاردين والعمل مع المخابرات، وبالفعل تمت هذه الصفقة ونجح الشهيد باستدراج ضابط مخابرات وقتله وكان هذا النجاح درساً قاسياً للمخابرات بحيث لم تعد تأمن لمثل هذه الصفقات.

٣) أحد المعتقلين عقد صفقة مع المخابرات بأن يدلي بكل قصته في اعتراف كامل ليتم وضع اسمه على رأس صفحة أسماء الأسرى المنوي الإفراج عنهم في تبادل الأسرى مع حزب الله.

٤) أحد النشطاء العسكريين عقد صفقة مقابل الاعتراف على خليته وذكر أسماءهم، وأن لا يحكم أكثر من ٧سنوات واعترف في هذه الصفقة على أكثر من عشرين نشيطاً ورغم أن هذا الأخ احتفظ بورقة تعهد من المخابرات بأن لا يحكم أكثر من سبع سنوات إلا أن المخابرات تنصلت من ذلك ليحكم ١٨ عام، أما أفراد خليته الذين اعترف عليهم فمنهم من حكم بالمؤبد وأقلهم حكم عليه بالسجن أربع سنوات ونصف.

ملاحظات على الصفقات :

١) عادة ما تعطي المخابرات هالة كبيرة لعقد الصفقة ليعطوها نوعاً من المصداقية، وأن الأمر ليس لعبة مخابرات، ففي بعض الصفقات الكبيرة كانت تتم بحضور أحد قادة المخابرات ورئيس الإدارة المدنية وأحد مسؤولي الشرطة وأحياناً كثيرة محامٍ من طرف المتهم، وذلك كله من أجل إقناع المعتقل بالصفقة وجديتها.

٢) تلجأ المخابرات إلى إيهام المعتقل بأنها قد عقدت صفقات مع أغلب القيادات مثل الشيخ أحمد ياسين والشهيد عادل عوض الله والشيخ محمد أبو طير ويقوم ميجر التحقيق بإحضار دوسية ملفات وفيها صورة للشهيد عادل عوض الله واتفاقية كاذبة يبرزها للمعتقل من باب تطمينه أن قيادات حماس قد عملت مثل هذه الصفقات

سابقاً، وإذا سأل المعتقل المخابرات لماذا أظهرت الصفقة الآن؟ يجيبه الميجر نحن التزمنا بسرية الصفقة حتى مات عوض الله ويؤكد له أن مثل هذه الصفقات لا تحفظ إلا عند ميجر التحقيق المركزي وليس لأي من المحققين حق الاطلاع على مثل هذه الأسرار طبعاً، هذا كله هراء من أجل إقناع المعتقل بالصفقة.

٣) في الصفقة ممكن أن تقوم المخابرات ببعض التسهيلات أو تخفيف سنة من حكم المعتقل مقابل اعتقال خمسة آخرين يأخذ كل منهم مؤبدات، ففي لغة المخابرات «اعتقال خمسة إرهابيين جائز مقابل تخفيف سنة من حكم واحد».

الرابع عشر: الإفراج أيضاً من الصفقات:

إن أسلوب الإفراج هو حيلة ابتزاز يمارسها المحقق على المجاهد، بعد انقضاء فترة أسابيع أو أكثر على المعتقل في أقبية التحقيق من خلال إيهامه بأنهم سيطلقون سراحه دون مقابل سوى وعد منه أن يترك هذه الطريق وأن يعيش حياته الطبيعية مع الناس وأن لا يمس أمن الكيان الصهيوني بضرر، بعد أن يخرج من المعتقل وذلك لأجل إهاجة مشاعر الشوق وأحاسيس الحنين داخله لأهله وذويه وللدنيا وللحرية وللسعادة والخروج من ظلمات السجن كمقدمة لإحياء ذاته وعواطفه الشخصية، إحياءً ل «أنا» داخله وتضخيمها لتصبح مركز استقطاب واهتمام أفكار وعقل المجاهد، لإحياء الإنسان الغريزي الذي يفكر في نفسه ومصلحته وينفصل عن الموضوع والفكرة والقضية والصراع والتحدي لأجل غرس ضعف، مصطنع بداخله للحصول على معلومات إضافية منه من خلال تهييج هذا الضعف ومن خلال المساومة والابتزاز.

فالمحقق الذي يشرف على قضية المجاهد يبلغه أن هناك خبيرُ قياديٌ خصيصاً من أجله، وأنه يمكن أن يساعده لذلك عليه أن يكون صادقاً معه، بعد دقائق يدخل محقق جديد، وسماته توحي بأنه خبير ويبدأ الخبير بالسؤال عن صحة المجاهد وعن حياته الشخصية وعن إخوته وعددهم وأسمائهم ووظيفته ودخله المادي ووضع أهله وعائلته بعد اعتقاله من يصرف عليهم؟! من يساعدهم؟! بعد هذه الدراسة المقصودة يقول الخبير نحن قررنا إطلاق سراحك، ممتاز «يفتح شنطته ويريه القرار بالعبرية، وقد يخرج من جيبه بعض الأوراق النقدية ليعطيها للمجاهد تأكيداً على جديته، ويسأل المجاهد: هل أنت نادم على هذه الغلطة؟ فإن أجاب بنعم يضيف الخبير وهو ينظر إلى الساعة: الآن لا يوجد وقت لإطلاق سراحك، ولكن غداً صباحاً سيفرجون عنك، ولكن هل تعدني أنك لن تعيد هذا الخطأ؟؟ نعم، ماذا ستعمل عندما تخرج؟ سأكمل دراستي...سأعيل عائلتي.... إذن اهتم بدراستك ومستقبلك وعائلتك ولا تلتفت إلى من يريد توريطك.

ويخرج الخبير تاركاً المجاهد في غيبوبة من الأفكار: أحقاً سيفرج عني وأنا يوجد علي اعتراف؟ أحقاً سأخرج بدون مقابل؟ وما بين الغيبوبة وأحلام اليقظة والسراب

الذي يحسبه طريق الخروج يدخل المحقق ويقول: أترى كيف أن حكومة إسرائيل عادلة؟ أنت مسكين ووقعت ضحية، ولأنك مسكين فإن الله يرى حالتك وحالة أهلك وستفرج عنك غداً....ولكن هناك بعض المسائل أنت أخفيتها عنا وهي الآن لا تضرك في شيء لأن قرار إفراجك قد أصبح جاهزاً وقد أرسلناه إلى إدارة السجن حتى يفرجوا عنك صباحاً....ويظل يراوغ في هذه الدوائر فإن خدع المجاهد بهذه الحيلة، فإنه يعترف بأي شيء يضاف إلى معلومات المخابرات لضرب هذا المجاهد أولاً، ثم لضرب حركته ودعوته، فإن أصر المجاهد على نفي أي علاقة تنظيمية له، وأنه شخص عادي لا علاقة له بالمشاكل فإن المحقق يتظاهر بالغضب ويقول بلهجة متوترة: نحن نحب أن نساعدك لكن أنت لا تحب أن تساعد نفسك بإمكانك أن تبقى طول عمرك في السجن ولن تخرج إلا إلى القبر، خلي أصحابك ينفعوك يا بطل، ويخرج من الغرفة وهو يدرك تماماً أن أسلوبه فشل ولم يحصل على أي شيء.

الخامس عشر جهاز كشف الكذب:

لقد عمدت المخابرات الصهيونية ومنذ فترة ليست بالقصيرة إلى إدخال عنصر التكنولوجيا على عملها المخابراتي أملاً في تحسين طرقها ووسائلها، والنتائج المترتبة ذات الطابع الصحيح والعلمي المنبثق عنها، والحصول على اعترافات ومعلومات سريعة وصحيحة وذلك بجهد أقل ووقت أسرع، وكذلك بتجميل صورتها أمام الرأي العام. وتعمد المخابرات الصهيونية إلى الإيحاء للمجاهدين بأنها تملك القدرة على معرفة تفكير الإنسان ومعرفة الصدق من الكذب في الحديث، وإن الكذب لا يمرر عليها وأنهم يملكون جهازًا حديثًا ومتطورًا جداً بحيث إنه يميز نقاط الكذب في حديث أي شخص، وهم يهددون كل من يتعرض للتحقيق بأنهم سيعرضونه على الجهاز إذا أصر على الإنكار، وأنه في حالة ما أصر على الإنكار وأنه في حالة أثبت الجهاز أنه يكذب فيضطر للاعتراف أو سيعرضها للعقاب.

وجهاز كشف الكذب هو جهاز «البوليغراف» وهو يستخدم كأي جهاز طبي في قياس الخصائص الفيزيائية مثل ضغط الدم، الحرارة، دقات القلب، ميزات ارتفاعها وانخفاضها، سرعتها وبطؤها وآلية عمله تقوم على تسجيل التغييرات التي تحدث للمجاهد على مستوى النبض والحرارة وميزات الصوت والنفس خلال أسئلة الفاحص أو الخبير، حيث إن التغييرات التي تزيد أو تنقص تحت المعدل الطبيعي تعطي مؤشراً بأن ردود فعل المجاهد الداخلية قد تغيرت تحت تأثير اللجوء إلى جهاز كشف الكذب لأحد الأسباب التالية:

١) في حالة عدم توفر معلومات كافية عن القضية التي يراد التحقيق فيها بحيث إن كل ما تملكه المخابرات هو مجرد شكوك ضعيفة لا تصلح كأساس لفتح تحقيق، فتلجأ المخابرات إلى جهاز كشف الكذب الذي تحاول من خلاله استنطاق المعتقل بما

يدين فيه نفسه، أو على الأقل بإعطاء مدخل للمخابرات لتبدأ التحقيق منه، وعادة ما يتم عرض المجاهد في مثل هذه الحالة على جهاز كشف الكذب من بداية التحقيق وخلال الأيام الأولى.

٢) في حال وصول التحقيق إلى طريق مسدود لا يتجاوب فيها المجاهد مع أي من أساليب التحقيق، عندها تلجأ المخابرات إلى أسلوب جهاز كشف الكذب للتقدم في التحقيق وللخروج من المأزق المتمثل بحالة الصمود من قبل المجاهد.

٣) في حال انهيار المعتقل واعترافه حيث تعرضه المخابرات على جهاز كشف الكذب، من أجل ابتزاز المزيد من المعلومات منه مستغلة حالة الضعف والانهيار التي يمر بها المعتقل بعد الاعتراف.

يقول «م»: بعد أكثر من أربعين يوماً في التحقيق وصلنا خلالها إلى طريق مسدود، دخل غرفة التحقيق محقق لم أره من قبل، عرفني على نفسه وتعرف علي وعن مدة مكوثي في التحقيق، وقال: لقد قرأت ملفك وأظن أنك صادق ولا علاقة لك بالتهمة الموجهة إليك، وأنا أقترح أن تنهوا مشادة كلامية سرعان ما تحولت إلى صراخ، ثم هدأ الاثنان فقال الجديد أنا عندي اقتراح، ما رأيكم أن نستخدم جهاز كشف الكذب فإن نجح «م» كان به وانتهى التحقيق معه، وإن فشل فمعناه أنه يكذب وسيستمر التحقيق معه لكن بصورة أعنف.

رفض المحقق المسؤول عن ملفي ذلك وخرجا من المكتب ثم عاد الجديد وقال لي لقد أقنعته فما رأيك أنت، فقلت: أنا موافق، وكنت فعلاً موافقاً بشكل جدي لأنني ظننت أن ذلك نهاية التحقيق، وجاء المحقق المسؤول عني وسألني عن رأيي فقلت له أني موافق، فقال سيكون موعدنا غداً، وقال لي سأعرفك على طريقة عمل الجهاز، وأهم شيء أن تكون أعصابك هادئة، وسيسألك مختص الجهاز هذه الأسئلة وكتبها لي على ورقة، وكان عددها سبعة، وقال لي: ستبقى الأسئلة معك كي تفكر، فيها ومن ثم سألني الأسئلة وقال لي ستكون إجابتك نعم أو لا فقط، وجرب ذلك معي مرتين كان الوقت قريبًا من المغرب، أخبرني أنه سينزلني إلى الزنازين حتى أجهز نفسي ليوم الغد، وخرج وتركني في غرفة التحقيق أكثر من ساعة ثم أنزلوني إلى الزنزانة، وهناك حاولت نسيان أمر تلك الورقة التي كتبت فيها الأسئلة إلا أنني لم أستطيع وقرأت الورقة والأسئلة لعشرات المرات، وأخذت أفكر فيها وكانت جميعها تتمحور حول موضوع قضيتي، حاولت النوم إلا أنني لم أسطع إلا بعد وقت طويل.

وفي اليوم التالي استدعوني وأدخلوني غرفة قد رأيتها من قبل، وكان فيها كرسي كبير أسود له مسند للظهر وأماكن توضع الأيدي عليها، ويبدو من شكله أنه مريح جداً...وضع المحقق الكرسي الأسود أمام المكتب مباشرة وأجلسني عليه دون تقييد يدي وتركني لأكثر من نصف ساعة، بعدها دخل عليّ أحدهم فحياني وعرفني على

نفسه قائلاً: «أنا خبير الجهاز» ليس لي علاقة بالتحقيق ولا أعرف عنك ولا عن قضيتك أي شيء، وقال لقد تم استدعائي إلى هنا لأن هناك شابًا يريد أن ينهي التحقيق عبر جهاز كشف الكذب، ويريد أن يثبت صدقه ليعود إلى بيته، وقال إنه يتقاضى مبلغ ٢٥٠ دولار مقابل الجلسة الواحدة، وبدأ يعرفني على طبيعة الجهاز حيث قال:

إن هذا الجهاز أشبه بجهاز القلب، وله ثلاثة أسلاك، الأول: يربط حول عضلة اليد لقياس التغييرات في ضغط الدم، والثاني له طرفان يربطان حول الصدر، أحدهما فوق القلب وهو لقياس سرعة التنفس، والثاني تحته لقياس سرعة ضربات القلب، والثالث له طرفان، يربطان في العادة حول رأس أصبع البنصر في كلتا اليدين وذلك لقياس إفراز العرق...وهذه الأسلاك الثلاثة موصولة بعلبة نحاسية موصولة هي بدورها بجهاز كمبيوتر محمول.

ثم سألني إن كنت أريد أن أشرب شيئاً فطلبت الشاي، أحضر لي شايًا وتركني بعدها مع شرطي حراسة لأكثر من نصف ساعة شعرت خلالها بالاضطراب وهذا ما كان يريده أن يحدث، بعد ذلك عاد وأخذ يركب الأسلاك على جسمي فطلب مني أن أنظر إلى موضوع محدد وأن لا أتحرك وقال سنعمل تجربة، أنا أسألك وأنت تجيب بنعم أو لا فقط، وذلك لمواءمة الجهاز على جسمي، وأخذ قياسات الجسد قبل البدء بالعمل.

سألني بضعة أسئلة مثل هل يوجد كرسي في المكتب؟ هل هنالك طاولة في المكتب؟ هل أنت «م»؟ هل تكذب بعد ذلك؟ قال لي: انتهت التجربة، جسمك ملائم جداً لهذا الجهاز، لذلك لن نبذل جهداً كبيراً في الحصول على النتيجة، وقال لي سيبدأ الفحص الآن. سأسألك عن أشياء موجودة ومعروفة لديك تكون إجابتها نعم أو لا ثم أسألك الأسئلة السبعة وبعض الأسئلة الشخصية التي أخبرني بها قبل بدء العمل، ومن ثم بدأ العمل كالآتي:

١) هل يوجد طاولة في المكتب؟ نعم.

٢) هل يوجد كمبيوتر في المكتب؟نعم.

٣) هل أنت «م»؟ نعم.

٤) عن تريد أن تكذب؟ لا

٥) هل أنت متزوج؟ لا

ثم سألني الأسئلة السبعة وكان جوابي في جميعها لا وهي تتمحور بالنشاط في حماس، والنشاط العسكري، ومن ثم سألني (٣) أسئلة شخصية، بعد ذلك قال لي: انتهى الفحص، استرخى وفك الأسلاك عني، ثم أخذ يعمل على جهاز الكمبيوتر، بعد ذلك قال لي: سنكرر ذلك مرة ثانية للتأكد من دقة الفحص، لكن هذه المرة سوف أغير ترتيب الأسئلة، وأضيف سؤالاً جديداً، وهو هل أنت خائف من أن أسألك سؤالاً

خارجاً عما اتفقنا عليه، وافقت على الفحص مرة ثانية وكرر الأسئلة السبعة بترتيب مختلف وبعد الانتهاء قال لي: عندك مشكلة؟ أنت عندك رسوب في سؤال، وكان هذا السؤال يتعلق بصلب القضية التي يحققون معي من أجلها، فقلت له هذا يعني أني لم أنجح وأني كاذب، فقال: أنت ناجح في كل الأسئلة عدا هذا السؤال، وإذا أخبرني ما هي المشكلة في هذا السؤال، وما هو الذي تخفيه عني، فسنكمل الفحص، وستنجح إن شاء الله، فقلت له اسمع يا كابتن، عامل حال خبير أنا صار إلي أكثر من ٤٠ يوم علشان هالسؤال، وأنا ليس عندي شيء أخبرك به، فغضب وقال أنا مش مخابرات ولا علاقة لي بهم فقط أنا أعمل على هذا الجهاز، وهو آلة لا تعرف الكذب فقط هي تنقل لنا صورة صحيحة تماماً لما في داخل نفسك، فقلت له ما دمت واثقًا من جهازك إلى هذا الحد فلماذا لا يتم فحصنا ونحن في البيوت أو في مراكز التوقيف بدل الاعتقال والتحقيق ولماذا لا تعتمدونه في المحاكم بدل الاعترافات فقام وأراد الخروج ورأيته يعطي إشارة لأحدهم وما هي إلا ثوانٍ حتى دخل عليّ عدد من المحققين الغاضبين لأني كاذب حسبما أشار الجهاز وبدؤوا يشتمون ويتهددون، وقالوا لي في البداية لم يكن عندنا دليل قطعي على قضيتك أما الآن فإن جسمك أقر بالقضية، ولسانك فقط هو الذي يكذبها.

وبدؤوا معي جولة تحقيق نفسي، تركزت حول أن اللسان عضلة إرادية يمكنك أن تتحكم فيها وأن تكذب، أما القلب والرئتين والغدد العرقية فيه عضلات لا إرادية لا تعرف الكذب، فليس هناك من يستطيع أن يوقف أو يخفف نبضات قلبه أو يمنعها من قول الحقيقة، وكان أكثر شيء يريدونه لقد اعترف عليك جسمك ونحن لا نأخذ الاعتراف من لسانك أو عقلك بل من جسمك، لأن الله خلق الجسم لا يعرف الكذب، أما اللسان والعقل فأنت كعربي ملأتها كذباً، وقالوا لي: إن التحقيق قد بدأ معي من جديد وإن الأمور الآن تختلف عن ما مضى، وستأخذ منحنىً أشد من ذي قبل، لأن هناك شاهد لا يكذب وهو جسمي، وقد اعترف عليّ، وظلت الأسئلة تدور حول لماذا نجحت في كل الأسئلة وفشلت في هذا السؤال بالذات؟؟ وماذا يعني هذا غير أنك متورط؟؟؟...الخ.

بقيت صامتاً حوالي ساعة وأنا لا أعرف بماذا أرد عليهم، وهم يقولون لي أعطنا تفسيراً علمياً لفشلك في هذا السؤال، ثم صرخت بهم قائلاً إن هذا الجهاز جهاز كذب وليس كشف الكذب إذ لو كان كذلك لما كان هناك داعٍ للتحقيق معنا، ويكفي أن نجلس مرة واحدة مع الجهاز حتى يحكم ببراءتنا أو غير ذلك ثم إني لم أشاهد النتائج، وإن الشخص الذي يعمل على الجهاز هو ضابط مخابرات مثلكم وإن أفلامكم هذه محروقة، وما بتمشي عليّ، واستمر المحققون في الضغط عليّ حتى آخر الليل، وبعدها ذهبت إلى الزنزانة لأرتاح وظهر اليوم الثاني أخرجوني مرة أخرى للمحقق،

وحاول اللعب على نفس الأسئلة، وعندما رفضت إجابته استمر بإقناعي لأكثر من ساعتين ولما لم يجد نتيجة تركني أنزل إلى الزنزانة وانتهى بذلك التحقيق معي....

وإليك أخي المجاهد التوجيهات :

١) إن المخابرات لا يمكن أن تجبر أحدًا على الجلوس أمام الجهاز كونك يطلبون منك هدوء الأعصاب.

٢) التحقيق له مراحل وكلما انتهت مرحلة ابتدأت مرحلة أخرى وجهاز كشف الكذب هو أحد هذه المراحل.

٣) موضوع الجهاز والجلوس للفحص عليه أمر مرفوض تماماً، وعليك مقاومة تهديدات المحقق والإصرار على عدم المثول أو الخضوع للفحص عليه.

٤) إن تهديدات المحقق بتحويلك للتحقيق العسكري في حال رفضك الجلوس للفحص ما هي إلا تهديدات ستتحطم على صخرة صمودك وإرادتك.

٥) لقد تم اعتماد نتائج فحص الجهاز في المحاكم المدنية الإسرائيلية وحتى الآن لم يعتمد بشكل رسمي في المحاكم العسكرية، إلا أن نتيجة الفحص تعتبر قرنية أو دليلًا، وهي تكفي لتحويلك للاعتقال الإداري.

السادس عشر: تنوع الأساليب وتعدد المحققين:

وهو استخدام عدة أساليب متنوعة مع تعدد المحققين في حالة ما وفي فترة زمنية واحدة ،لإحداث مزيد من الآلام والإرهاق التي تفوق طاقة المجاهد لدفعه مرغماً إلى الاعتراف، ويستخدم هذا الأسلوب في القضايا الكبيرة كالعمليات والأسلحة، ومع المجاهدين الذين يشكلون مفاتيح العمل العسكري أو مخزن معلومات أو شارك في تنفيذ عمليات ضد العدو الصهيوني، ففي الحالات البسيطة تكتفي المخابرات باستخدام أسلوب واحد، وفي القضايا المتوسطة الخطورة تستخدم واحدًا أو اثنين، أما القضايا الخطيرة والأشخاص المهمين الذين يشكلون أعمدة العمل الأساسية، فتستخدم معهم عدة أساليب في فترة زمنية واحدة ومتواصلة بحيث يشارك فيه على مدار ال٢٤ساعة من ثلاثة إلى أربعة محققين، ويتناوب هؤلاء مع آخرين لعدم إتاحة فرصة للمجاهد ليلتقط أنفاسه أو ليأخذ قسطاً من الراحة.

ومن الأمثلة على هذا الأسلوب يستخدم المحققون أسلوب الكيس أو الشبح والسهر والتضخيم وإحضار الأهل والشاهد وجهاز كشف الكذب...الخ. لتشكل هذه الأساليب أداة ضغط وابتزاز وإنهاك لقدرة المجاهد الداخلية على التحمل، بحيث يعجز عن مواجهة الأخطار الخارجية القادمة من العدو فيستسلم ويصبح إيقاع المعاناة أكبر من حجم مقومات الثبات الداخلية فينهار المجاهد، وهذا ضمن الحسابات المادية والوضعية.

إن الكيس مؤذٍ، والشبح مؤلم والسهر مضنٍ والتضخيم مزعج، وإحضار الأهل

محطم للأعصاب، ووجود الشاهد مرهق، كل هذه الآلام تحاول المخابرات أن تغرسها في قلب المجاهد لكي تثمر في جولات التحقيق عن اعتراف هذا المجاهد وانهياره....إنهم يضغطون بكل قواهم، يضغطون بشكل متواصل على الجسد لكي ينهك ولا يبقي عنده قدرة على التحمل، يضغطون على الأعصاب لكي تنهار ولا يبقى عندها قدرة على الفاعلية، يضغطون على النفسية لكي تستسلم للأمر الواقع.....على العقل لكي يشل ويتوقف عن التفكير على الغرائز لكي تثور وتبحث عن البقاء والخالص والاعتراف.

المجاهد الذي قدره أن يدخل المعركة عليه أن يكون مؤهلاً على المستوى النفسي والعصبي والعقلي، عليه أن يكون مؤهلاً لها على المستوى الإيماني العقائدي، عليه أن يكون مؤهلاً على مستوى مقومات القوة والثبات وقدرات التحدي والمواجهة.... وكما أسلفنا فهذا الأسلوب لا يستخدم إلا مع مفاتيح العمل وأعمدته وهؤلاء الذين قال عنهم- الرسول عليه الصلاة والسلام- إنهم الرواحل....وما دمت ارتضيت لنفسك أخي المجاهد أن تكون من الرواحل فلا بد أن تكمل تلك المسيرة ،فلا يعقل ولا يقبل منك أن تكون قائداً مقداماً في الخارج ورجلاً ضعيفاً داخل الاعتقال.

ستكون جميع الأنظار عليك، أهلك وإخوانك وحركتك ودعوتك، كلهم ينتظر ثباتك وصمودك لتبقى كما أنت، المقاتل المقدام الذي لا يهاب الموت إلا في ساحات الوغى، ولا في أقبية التحقيق، وسيعمل أعداؤك على نزع الاعترافات منك لتحطيمك وإنهاء تاريخك الجهادي، فكم من مجاهد كان يشار إليه وإلى شجاعته بالبنان وكان بين الناس كالشامة، ولكنه عندما انهار واعترف سقط من القمة إلى الهاوية أو الحضيض؟ وهذا ما لا نرضاه لك فأنت كنت و ستبقى نسراً محلقاً في علياء، واعلم أن الكثير من إخوانك قد خافوا هذه التجربة وخرجوا منها أصلب عوداً وأقوى شكيمة وقلة هم الذين تهاودوا واعترفوا.

السابع عشر: أسلوب التنقيل بين السجون:

يستخدم جهاز المخابرات الصهيوني أسلوب التنقل بين السجون مع الأسرى والمجاهدين الذين يستعصون على ضباط المخابرات، وتوجد أدلة وقرائن تثبت أن لهم مسؤولية أو دوراً أو مشاركة في العمل العسكري، فالمحققون وهم في العادة طاقم متكامل عندما يعجزون عن انتزاع الاعتراف بالقوة من هؤلاء المجاهدين يلجؤون إلى التهديد والتلويح بالنقل إلى السجن السري.

ولكن الفرق بين السجن السري والسجون العادية هل بالإجراءات المظهرية التي يحاول جهاز المخابرات اصطناعها لغرس الرعب في قلوب المجاهدين..؟؟ هل هو بتغيير المكان والأجواء والمناخ والمحققين ووضع المجاهد في جو من الرهبة والهلع والخوف من السجن السري؟؟

إن سجون العدو الصهيوني جميعها ودون استثناء سجون عسكرية، وأساليب

التحقيق التي تمارس فيها نسخة مكررة لمدرسة عنصرية إرهابية نازية واحدة هي مدرسة المخابرات الصهيونية.. إن السجن السري لا يختلف عن باقي السجون حتى يخشاه المجاهد، وعلى المجاهد أن يعرف وهو يواجه هذا الأسلوب أن المحققين فشلوا وعجزوا عن كسر صموده وصلابته، وأنه قطع ثلاثة أرباع طريق الخلاص والثبات، ولم يبقَ أمامه إلا الربع الأخير، والفرق بين النصر والهزيمة صبر ساعة.

فلينقلوا المجاهد إلى السري أو المسكوبية أو بيتح تكفا أو إلى أي مركز تحقيق، وليسموا سجونهم بما شاؤوا سري أو حربي أو مسلخ، فالأمكنة والوجوه الجديدة لن تغير في حقيقة هذه المراكز شيئا، قال تعالى:﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾.

يقول المجاهد «محمد» بعد التحقيق معي لمدة ١٧ يومًا في سجن المسكوبية، جاءني المحقق المسئول عن ملفي وقال لي: جهز حالك، سوف تذهب إلى السجن السري، وهناك سترى كيف سيكون التحقيق، وستعلم أن كل ما شاهدته هنا ليس إلا فرحة، وأن التحقيق لم يبدأ بعد واستمر في هذه التهديدات لأكثر من ساعة، وقال لي: انزل الآن إلى الزنزانة وستنقل غداً إلى السجن السري، وفعلاً في اليوم الثاني أخرجوني من الزنزانة وقاموا بتقييد يدي ورجلي، وقاموا بربط يدي ورجلي مع بعضهما بواسطة كلبشة طويلة، وحضرت قوة كبيرة من الشرطة ووضعوني داخل سيارة مغلقة أشبه بالصنجوق، وساروا بي حوالي أربع ساعات حتى وصلنا إلى ما يسمونه السجن السري وهناك شاهدت في الداخل حركة نشطة للشرطة وما أن عرفوا اسمي حتى تجمعوا حولي، وقاموا بالعمل الروتيني من تفتيش، وعرض على الطبيب، وبعدها أدخلوني مباشرة إلى مكاتب التحقيق التي لم أرَ أنها تختلف عن المسكوبية في شيء إلا استقبال المحققين الذين يوهمونك أنك أتيت إلى هنا ولن تخرج إلا معترفاً أو ميتاً.



كان كل حديث المحققين يتركز على أن هذا السجن لا يأتي عليه إلا المخربون الكبار، وأن هذا السجن صمم خصيصاً لنزع اعترافات الذين لم يعترفوا وأن طاقم التحقيق في هذا السجن هو الأفضل على الإطلاق، وقد تم انتقاؤهم من جميع السجون لهذا الغرض!! المهم أنه وبعد عشرين يومًا في السجن السري لم أرَ أي شيء مختلف، فمكاتب التحقيقات نفسها، والمحققون يتبعون نفس الأسلوب وبنفس النهج، والزنازين لها نفس اللون، ونفس الإضاءة وذات الطعام إلا إن هناك قسماً من الزنازين معزولة تماماً بحيث إنك إذا دخلت في إحدى هذه الزنازين فإنك لا تسمع أي صوت، لا صوت معتقلين ولا صوت محققين ولا حتى صوت شرطة وذلك لإيهامك بأنك وحدك في هذا السجن، وهم يسمونه القبر، وهو يعتمد على الضغوط النفسية مع أني وجدت أنها مريحة، بعد ٢٥ يومًا تم إخراجي من السجن إلى أحد المعتقلات وهناك حكمت سبعة أشهر فقط، وأفرج عني ولله الحمد.«وحتى لو اختلفت تفاصيل الغرف والمكاتب

فهذا لا يعني في الحقيقة شيء».

الثامن عشر: الارتباط طريق الهاوية:

في ظروف التحقيق الصعبة وتحت وطأة التعذيب الشديد والإرهاق النفسي والجدي يحاول المعتقل أن يجد مخرجاً من هذا الجحيم.. الشيطان يسول له أن يعترف... لكن ضميره يصرخ لا وألف لا، ورغم كل ذلك يبحث عن الخلاص وإذا وجد المحقق أن أساليبه قد فشلت يبحث عن بدائل وكمائن جديدة، ينصبها للمجاهد لكي يفلت منه زلة لسان أو طرف خيط يؤدي إلى حل لغز القضية، والمحقق يدرك أن ظروف التحقيق تدفع المعتقل للبحث عن حبل نجاة، لذلك يحاول أن يتلون من جديد وأن يقدم فخاً جديداً داخل طعم حبل نجاة، جديد وهو الارتباط.

يجلس ضابط المخابرات مع المعتقل ويقول له نزيد أن نتحدث بصراحة أنا معجب بصلابتك ورجولتك وأتمنى أن يكون الجيل اليهودي الجديد مثلك وأن يقتدوا بك كرمز صلب، ولكن صلابتك وعدم اعترافك لن يخرجك من السجن، ستوقف إدارياً لسنوات طويلة حتى لو لم تعترف، المخابرات لا يوجد عندها مشكلة أو صعوبة في تلفيق عدة تهم خطيرة لك وتحاكم عليها مدى الحياة، والمخابرات هي الدولة وهي الحكومة، ولكن عندي رأي سأقدمه لك وأنت حر ولست مجبراً، المهم فكر فيه بعقلك جيداً وعندما تصل إلى قرار بلغني، والرأي هو أننا على استعداد لإطلاق سراحك غداً مقابل موقف منك. أن تتعامل معنا، نحن نضحي بكل شيء، وأنت عليك أن تضحي الشيء الصغير إذا شاهدت مسلحين أو أعمال شغب فقط بلغنا عنها، فكر في الموضوع ولا أريد رداً منك الآن وينادي المحقق على الجندي لينزل المجاهد إلى الزنزانة ليستريح.

ينزل المجاهد إلى الزنزانة وهناك تتزاحم الأفكار في رأسه، لقد صمدت ولم أعترف، هل يمكن أن أحول إلى الاعتقال الإداري لسنوات طويلة من دون اعتراف، ولو عشتها بماذا سأخدم الإسلام والوطن في السجن، سأكون مشلولاً لن أخدم ديني ولا وطني، هل اقبل فكرة التعامل... مستحيل... مستحيل.

وهنا تتوارد الأفكار في هذا الجو القاتل وتبرز فكرة الخلاص من السجن مدى الحياة، سأوافق على التعامل لحيلة مرحلية، وعندما أخرج أضحك عليهم، وستحاول النفس تأكيد هذه الوسوسات عندما أخرج أعيش مطارداً، أقتل منهم كل يوم واحد وأجعلهم يدفعون الثمن غالياً وأخدم قضيتي.

إن فكرة التحايل على المخابرات وقبول التعامل فكرة قد تقبلها بعض النفسيات في ظروف التحقيق الصعبة، وقد يستحضر المجاهد هنا قصة الشهيد ماهر أبو سرور والشهيد البطل عبد المنعم أبو حميد لكننا نؤكد هنا أن هذه الحالات نادرة وإمكانية تكرارها مرة أخرى مستحيلة، لأن المخابرات قد أخذت العبر والدروس من

ذلك، إن فكرة التعامل فكرة شيطانية، ورفض المجاهد لكل أضغاث الأحلام، ولكل وسوسة تأتيه من الشيطان، رفضه لفكرة التعامل تعني فشل هذا الأسلوب، لكن إذا ترددت نفسه وحاول إقناع ذاته بالخروج للعمل والجهاد وسحق المحتلين ووافق على فكرة التعامل فهذا يعني اهتزازاً داخلياً قد أصابه، ونجح الشيطان في الإيقاع به...عندما يجد المحقق أن المجاهد قد وافق على التعامل يسر بذلك ويشعر أن حيلته انطلت على المجاهد، وأن شباكه ستخرج مليئة هذه المرة، لذلك سيقول للمجاهد ممتاز جداً لقد أحسنت الخيار، وأنقذت نفسك، وأنا موافق، فقط أنا لا أملك قراراً، سوف أعرض ذلك على اللجنة، وأنا سأشجع الفكرة وخلال يوم أو يومين سأبلغك القرار، ويترك المجاهد طوال هذين اليومين يعيش في دوامة الحلم والخيبة، وبعد يومين يقول المحقق للمجاهد مبروك وافقوا..جهز نفسك. إفراج...؟؟ فقط طلبوا شرطاً صغيراً جداً وهو أن تبدي حسن نية حتى يثقوا بك، هنا يظهر التردد والقلق والتراجع على المجاهد، ولكن قبل أن يتفوه بكلمة يعاجله المحقق ما بك هم لا يطلبون شيئاً كبيراً..أي شيء تافه، أي شيء هامشي لا يؤثر عليك، أنا أباشر بإجراءات الإفراج وغداً صباحاً ستشاهد الشمس، وتستنشق نسيم الحرية، عليك فقط أن تقدم أي شيء صغير ولا تفكر فيه، انزل الآن وبعد ساعتين أريد أن أغادر وأريد أن أقدم لهم أي شيء قبل أن أغادر وسألقاك بعد ٤٥ يومًا في القدس..جيد..فإذا قدم أي معلومة ستبدأ رحلته إلى الهاوية، وإليك هذه القصة المؤلمة التي حدثت في السبعينات نذكرها هنا مع قدمها إلا أنها ستبقى مأساة يجب تمثلها حتى لا يسقط أحد في هذا المستنقع.

يقول العميل «م.ح» اعتقلت في بداية السبعينات وكنت مناضلاً متميزاً بشهادة العدو والصديق، وساومني ضابط المخابرات على التعامل والخروج وبعد تردد كبير وافقت وقلت أخدعهم..طلبوا مني إبداء حسن نية، اعترفت على مناضل كنت قد جندته ولم أعترف عليه خلال فترة التحقيق، وفي ساعة متأخرة من الليل أخذوني بسيارة عسكرية إلى منزل المناضل ولم يعصبوا عينيه لحظة اعتقاله، حاولت أن أخفي وجهي حتى لا يعرفني، ولكنهم أجبروني على الوقوف المباشر وما إن خرج المناضل مع الجنود من الباب حتى شاهدني أمامه ولا يوجد أحد يعرف أنه مناضل سواي، هنا صرخ المناضل علي وقال لي عملتها؟؟ ولم أدرِ بعدها ماذا حدث، كل ما أذكره أن مجموعة رشاشات فتحت، وفرق الرصاص جسد المناضل وترك مضرجاً بدمائه على الأرض وعادت بنا السيارات إلى المعتقل وضميري يصرخ قتلته...قتلته أنت خائن وبالفعل بعدها أصبحت عميلاً.

أصبحت مربوطاً بهم لقد ورطوني... تحولت تحت ضغط تهديدهم إلى أداة طيعة في يدهم، كلفوني أن أخترق الجهاز العسكري في التنظيم، وأن أقدم معلومات عن

المطاردين وملاجئهم، وتحت ستار سمعتي الجيدة والماضي النضالي الذي أحمله، خرجت من السجن لأحمل السلاح مع المطاردين منذ اليوم الأول خشيت أن أروي قصتي لإخواني، قدمت معلومات عن ملاجئ المطاردين وبعد أيام سمعت عن استشهاد قائد المنطقة، وبعده استشهدت مجموعة من المناضلين بدأ يبدون عدم ارتياح وعدم ثقة بي، وفي أحد الأيام أخذ الأخوة مني سلاحي وحققوا معي بعد يومين قررت الاعتراف فاعترفت بكل قصتي وأن ملجأ هؤلاء الأخوة كان الهدف القادم للمخابرات. في مكان ما في أحد مخيمات اللاجئين حفرت حفرة ووضع العميل بها حياً وهناك تم إعدامه وهذه نهاية كل من يفكر أن ينقذ نفسه تحت مبرر حيلة مرحلية للتخلص من التحقيق والخروج من براثن العدو.

إن أسلوب التعامل أسلوب قذر، والتفكير به كحيلة لخداع المحققين هو نزغ من الشيطان للإنسان الغريزي الذي يحمل داخله قابلية للانهيار والسقوط، أما إنسان الفكرة الذي يحمل في داخله مقومات عقائدية، فإنه مؤهل للصبر والصمود، وها نحن نؤكد للمرة الألف أن قصة الشهيدين ماهر أبو سرور وعبد المنعم أبو حميد هي قصص لن تتكرر بسبب الاحتياطات التي اتخذتها المخابرات.

التاسع عشر: إحضار الأهل.

عبر صراع الإنسان المسلم في الحياة، يكتشف بنفسه جوانب قوة وجوانب ضعف، وكذلك عدوه الطرف الآخر في الصراع، لديه نقاط قوة وجوانب ضعف، فإذا كان العدو يسعى لمحاربة نقاط ضعفنا بجوانب قوته فعلينا أن نحارب نقاط ضعفه بجوانب قوتنا، ولا نواجه نقاط قوته بجوانب ضعفنا، عدونا يدرك أنه عندما يعجز عن إخضاع مجاهد أو دفعه للاعتراف والانهيار فإنه يهدده بمسألة إحضار أهله إلى المعتقل: زوجته، ابنته، أخته، أمه، خطيبته وذلك لإدراكه أنها تمثل أكبر نقطة ضعف عند الإنسان، فهو يستغل المشاعر الحساسة لموضوع الشرف والعرض والسمعة كورقة ضغط، وكورقة تهديد يلوح بها في وجه المجاهد كلما أبدى معارضته ورفض الاعتراف، إنه يضع المجاهد أمام خيار الاعتراف مقابل إنقاذ شرفه وعرضه وسمعته، والاعتراف بهذا السبب خيانة لله -تعالى- ولرسوله صلى الله عليه وسلم- وللإسلام وللحركة والدعوة.

الشرف دين وعقيدة و حضارة وتاريخ و إخلاص ووفاء وتضحية... الشرف مقدسات وأوطان ووجود وكرامة و موقف وحياة وسلوك وجهاد، فعندما تتخلى عن كل هذه المفاهيم فإنك تعيش بلا شرف، والذي يخون ربه ودينه ويجبن ويقبل بالذل ويفر ويهرب وُيستبعد هو إنسان بلا شرف.. الشرف عفة وعزة تأبى أشكال الذلة. إن المحقق عندما يهدد بإحضار الأخت أو الزوجة أو الفتاة إنما يختبر المجاهد ليكتشف في داخله ثغرة أو نقطة ضعف يستطيع أن يتسلل منها لتوجيه ضربة للحركة وطعنة

للمجاهدين..فإذا وجد المجاهد خائفاً ضعيفاً متردداً فإنه يجبره على الاعتراف، ومن ثم يحضر أهله حتى يستنزفه أكثر وأكثر، ويحوله إلى ذليل، أما إذا وجد المجاهد قوياً غير مبالٍ ولا متأثر فإنه يستمر بالتلويح بهذه الورقة حتى تسقط من يده ولا يحضر الأهل.

ولنفترض أن المحقق أحضر الأهل كوسيلة تهديد وضغط وهدد بالنيل منهم فإن العدو غير جاد في تنفيذ هذا التهديد، ولم تسجل حتى الآن أية حالة من هذا النوع...أنه فقط يمارس أقسى أشكال التهديد بالاعتداء لكي يبتز المجاهد، ولكنه أمام إصرار المجاهد يعلن فشله ويترك هذا الأسلوب ويطلق سراح الأهل.

يقول المجاهد «أبو الفداء»: عندما عجز المحققون أن ينتزعوا مني اعترافاً - رغم أن القضية واضحة وأكيدة ولا يوجد فيها نقاش- هددوني بإحضار زوجتي، قلت لهم أحضروها وذلك بلهجة استهتار- استشاطوا غضباً وأحضروها وأدخلوني في غرفة مليئة بالمحققين وهددوني بالمس بزوجتي إذا لم أعترف- قلت لهم اعملوا ما تريدون أنا لا يوجد عندي شيء، تظاهر أحدهم بأنه سيهجم عليها وأخرجوني بسرعة وضربوها لكي تصرخ لأعتقد أنهم يحاولون الاعتداء عليها، «قلت حسبي الله ونعم الوكيل، أموت ليحيا ديني وأحمي إخواني» بعد عدة ساعات تم الإفراج عنها دون أن تُمس بأي أذًى، فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين.



العشرون: أساليب متعددة نعرج عليها بسرعة:

أ . أسلوب المحامي: وهو أن تلجأ المخابرات إلى تكليف أحد ضباطها أو عملائها بتقمص دور المحامي الذي يأتي لزيارة المعتقلِ أثناء وجوده في فترة التحقيق، وتهدف من وراء ذلك إلى:

١. الحصول على أية معلومة جديدة قد يدلي بها المعتقل للمحامي.

٢ . قد يبدي المحامي استعداده لنقل رسائل شفوية أو كتابية منك إلى أي من المجاهدين أو أصدقائك إن كنت تريد أن تبلغهم شيئاً ، وسيعلن استعداده للاتصال بهم وتحذيرهم.

٣. حدث وأن قام أحد ضباط المخابرات والذي كان يتقمص دور المحامي بإعطاء أحد المجاهدين بلفون لكي يتصل بأصدقائه بعد أن أقنعه بضرورة تحذيرهم.

٤. قد تسعى المخابرات من وراء تمثيل دور المحامي إلى زرع الشكوك بجدوى الصمود داخل المجاهد، وذلك بتبسيط قضيته وإيهامه بأن الآخرين اعترفوا، أو إشعاره بأن فترة التحقيق ستكون طويلة وقاسية.

ب. أسلوب التبصيم: قد يلجأ رجل المخابرات إلى خدعة التبصيم ،حيث يطلب من المعتقل التوقيع والتبصيم على أقواله مقنعاً إياه أنه انتهى من التحقيق وسيفرج

عنه الآن، وأن التبصيم، هو إجراء إداري لإنهاء التحقيق، فإذا ما قام الأخ بالتبصيم واجهه بأنه قد وقع أو بصم على اعترافات كبيرة جداً ويبدأ يلوح له بأنه قد وقع فريسة لحيل المخابرات، وأنه سيسجن ويحكم عليه بموجب هذه الاعترافات مدة طويلة قد تصل إلى مدى الحياة، في محاولة لعقد صفقة بتمزيق هذه الورقة التي تحتوي على بصمات الأخ المعتقل مقابل اعترافه بما عليه فقط، وهنا قد يقع المجاهد فريسة لهذه المصيدة على الرغم من أن مجرد توقيعه أو تبصيمه على أي اعتراف لا يكفي لإدانته بل لا بد من اعترافه أمام النيابة، وتسجيل ذلك بخط يده أمام مكاتب الشرطة.

الأساليب الخاصة:

١. أسلوب التجويع والتعطيش:

هو أسلوب ضغط وابتزاز ومساومة يقوم على الإرهاق العصبي، ودفعه للانهيار، ويكون مصحوباً بحملات ضغط نفسي وإيحاء مستمر بأن التحقيق أبدي والاعتراف صمتي.

إن حاجة الجسم للأكل حاجة عضوية، وعندما يحرم الإنسان أو المجاهد من الأكل تحت مسمى أسلوب التجويع فإنه يحس بأن هناك جفافاً في الحلق وتنبعث رائحة كريهة من الفم ويصاب بالدوار واصفرار في الوجه وضمور في البطن، وارتخاء في العضلات، وشعورٍ بالإرهاق العصبي، ورغم ما يسببه الحرمان من الأكل من تعب وإرهاق وآلام للمجاهد وخاصة عندما توزع وجبات الأكل يومياً وتفوح رائحته إلا أن الحقيقة التي يجب أن لا يغفل عنها المجاهد أن هذا الأسلوب لا يستمر إلا لأيام قصيرة، وتذكر أن إخوانك المعتقلين قد خاضوا تجربة الإضراب عن الطعام لعدة أسابيع، ولم نسمع أن الإضراب عن الطعام أو الحرمان من الأكل قد أدى إلى الموت. إن قدرة الإنسان على التحمل والصبر عظيمة خاصة إذا كان مسلماً بعقيدة ومؤمناً بقضية وهدف.

إن المحقق عندما يستخدم أسلوب التجويع فإنه لا يستخدمه من أجل قتل المجاهد، إنما يستخدمه كأسلوب ضغط وابتزاز لأجل أن يعترف، ويوحي له أنه سيبقى دون طعام حتى الموت، وعليك أخي بتذكر التالي إذا ما تعرضت لهذا الأسلوب:

١. على المجاهد أن يتذكر دوماً أن أسلوب التجويع أو الحرمان من الماء والمنع من قضاء الحاجة ليس منفصلاً في معركة التحقيق عن الأساليب الأخرى فهو مرتبط بها، فكلما صمد المجاهد وأفشل أساليب المخابرات ضغطوا عليه في جانب الحرمان من الطعام والماء وقضاء الحاجة، لكي يصل إلى حالة من الإنهاك والضعف التي لا تؤهله لمواجهة أساليب المخابرات بقوته وطاقته العادية والطبيعية.

٢. إن المحقق يلجأ إلى هذا الأسلوب حتى يضعف المجاهد، ويطلب الطعام والماء وقضاء الحاجة لكي تبدأ هنا المساومة، إنهم على استعداد أن يقدموا لك الأكل والماء

وكل ما تريد المهم أن تقدم وعداً بأنك ستعترف لأن هذا أول طريق السقوط وأول خطوات الاعتراف.

٣. إن الواجب على المجاهد أن يواجه كل الضغوط التي تمارس عليه من قبل المحقق أو من آثار أساليبه في معركة التحقيق بتحمل وصلابة وقوة وثقة بالله وتوكل عليه، لأن أسلحته هذه هي التي تفشل أسلوب المحقق وتجعله يغير جلده من جديد ويبحث له عن أسلوب آخر.

٤. تذكر أن المعتقلين في السجون المركزية قد خاضوا إضرابات عن الطعام، ليس آخرها إضراب عام ٢٠٠٠ الذي استمر أكثر من ٣٠ يومًا، ومع ذلك لم يحصل لهم على الصعيد الصحي شيء، وقارن نفسك مع هؤلاء المعتقلين الذين يضربون لأكثر من شهرين من أجل تحقيق بعض الإنجازات الحياتية، أفلا تستحق حياتك ودعوتك وإخوانك مثل هذا الصمود.؟

٢. تنقيط الماء على الرأس:

استخدمت المخابرات الإسرائيلية الصهيونية أسلوب تنقيط الماء على الرأس، وذلك من خلال وضع المجاهد في زنزانة صغيرة جداً لا تسمح للمجاهد بالتحرك فيها، ومن فوق رأسه صنبور ماء يتساقط منه الماء قطرة قطرة ومع تساقط القطرات يزداد وزن القطرات على الجسم حتى يشعر المجاهد مع إيقاع القطرات المنتظم والمطرد أن وزن القطرة على رأسه أثقل من جبل، وهذا يولد انقباضاً حاداً في صدر المجاهد وإحساساً بالأرق والإرهاق والإعياء، وعلى كل الأحوال على المجاهد أن لا يترك قطرات الماء تتساقط في مكان واحد وأن يحاول أن يوزعها قدر الإمكان على مناطق متعددة من جسمه، ونشير هنا أن هذا الأسلوب قد يطبق بفارق أن المجاهد لا يكون في زنزانة، وإنما مربوطاً على ماسورة ماء بارد والماء ينقط على الرأس، ونؤكد هنا أن هذا الأسلوب نادر الاستعمال، ويجب مقاومته بالصراخ والحركة والشتائم والتمرد المفتعل.

٣. التعذيب الجسدي:

القصد من استخدام أسلوب التعذيب الجسدي هو التسبب بالألم الشديد لدى المجاهد، وإرهاق جهازه العصبي ونفسيته إلى أقصى حد بحيث يضطر إلى الانهيار والاعتراف، ويستخدم المحقق في هذا الأسلوب الضرب على المعدة ضربات سريعة ومؤلمة وقوية، والصفع على الوجه، والضرب على المفاصل والعظام لإحداث ألم شديد، أو الضرب على مؤخرة الرأس لإنهاك الجهاز العصبي، وتحميل المجاهد كرسيًا على يديه لفترات طويلة، والتنقل من مكان بارد إلى مكان ساخن، والوقوف على القدمين أو الجلوس على رؤوس الأصابع فترات طويلة مما ينهك الأعصاب ويجعل الأقدام تنتفخ وتتورم.

إن المحقق عندما يستخدم هذه الممارسات التي لا يستخدمها مرة واحدة ولا

يستخدمها بالترتيب، ولكنه يستخدم بعضها بشكل تجريبي محاولاً العثور على نقاط ضعف المجاهد ولمعرفته أثرها عليه، فإذا تأكد أنها لا تسبب أثراً عظيماً ولم يعثر على نقاط الضعف يعمد إلى تجربة ممارسات أخرى، مصحوبة بحملة نفسية كتهديد المجاهد أنه سيصاب بالعجز أو الشلل أو العقم أو أنه سيموت بسبب التحقيق، وهكذا يتعرض المجاهد لامتحان شديد للنفس لحظة التحقيق.

ولكن المحقق لا يهدف إلى قتل المجاهد بل هدفه هو الحصول على المعلومات، وهو يلجأ للتعذيب الجسدي بقصد وضع المجاهد في حالة من الإرهاق والإنهاك، ولدفعه عبر الحيل النفسية للتفكير بحياته وإنقاذ نفسه من العجز أو الموت، لذلك على المجاهد أن لا يكون هدفه المحافظة على ذاته ،أو أن يضع في تفكيره الانهيار والإدلاء بالمعلومات المطلوبة منه، إنما أن تكون مرضاة الله – تعالى- وحماية دعوته وإخوانه هي هدفه، مما يمكنه من تحمل الألم والعذاب والقدرة على الصمود.

إن الإيمان الراسخ في القلب يولد في النفس طاقة روحية هائلة، وإردة صلبة لا تكسرها أساليب التعذيب ،وإن قانون الألم يقول إن الضربات متى ازدادت على الجسد يصبح أقل شعوراً بالألم، أو يقل حسب الوضعية النفسية التي يكون فيها الأسير، وتلعب الحواس والتجارب السابقة دوراً في هذا الصدد، ويتحمل الإنسان الألم إلى حد معين ثم يحصل الإغماء الذي هو نوع من أنواع الدفاع الذاتي عند الإنسان يحمي به نفسه تلقائياً.

٤. استغلال الجروح والأمراض:

قد يكون المجاهد قد أجرى خلال فترات حياته عملية زائدة أو عملية كلية، أو ربما يكون مصاباً بمرض مثل السكري أو القرحة أو ارتفاع ضغط الدم، أو قد يكون عنده بعض الكسور في عظامه، وقد يكون أصيب برصاص أو شظايا قنابل. الموقف الإنساني يقتضي أن يسعف المصاب والجريح، وأن يعالج المريض ولكن في أقسام التحقيق يستغل المحققون هذه الجوانب ويعملون على استثمارها لانتزاع الاعتراف. إن الجروح والأمراض تشكل نقاط ضعف في جسد المجاهد، ولكنها لا تشكل نقاط انهيار لروحه وإرادته، والآلام التي تحدث نتيجة ذلك لن تكون أكبر من ألم إمضاء بقية عمره في السجون... فصبر بضع ساعات وأيام خير لك ألف مرة من فراق الأهل والأحبة سنين طويلة.

وما نود الإشارة إليه هنا أن هذا الأسلوب لا يستخدم إلا في الحالات النادرة التي يكون صاحبها على قدر كبير من الأهمية، وقد استخدم هذا الأسلوب مع الأسير المجاهد حسن سلامة بعد إصابته بعدة رصاصات على أحد نقاط التفتيش واعتقاله بعدها.

٥. شد الكلبشات:

وهو أسلوب أصبح شائعاً فيما يعرف بالتحقيق العسكري، وبصورة مختصرة فإن أسلوب شد الكلبشات يقوم على وضع الكلبشة في اليدين ما بين كف اليد وكوعها في منطقة العضلة ثم إغلاق هذه الكلبشة وكبسها أو شدها إلى أقصى حد ممكن نتيجة الضغط عليها بقوة من قبل المحقق، مما يؤدي إلى انغراسها في عضلة اليد، مسببةً تحشر الدماء في كف اليد بشكل كبير جداً، مما يؤدي إلى ضغوط هائلة على اليد حتى تحس بأنها ستنفجر، والأسوأ من ذلك أن يقوم المحقق بثني وفرك الأصابع، فاليد في هذه الحالة تكون مثل قفازة الجلد المنفوخة فلا تتحمل أي فرك أو ضغط، واستخدام ذلك يؤدي إلى آلام شديدة تدفع بالمعتقل إلى الصراخ اللاإرادي.

ومما يجب الإشارة إليه هنا: أن شد الكلبشات مؤلم جداً لكنه لا يدوم لأكثر من دقائق ثلاث فقط، ولا يتم تجاوزها، والمحقق عندما يستخدم هذا الأسلوب تراه يراقب ساعته حتى لا يتجاوز هذه الدقائق فإذا ما قارنت بين صمود وتحمل خمس دقائق بسجن عشرات السنين فلا شك أنك ستقول أصمد ساعات ولا أسجن سنوات، وهذا حساب أي عاقل.

٦. خلع الأكتاف:

ويتمثل هذا الأسلوب بإجلاس المعتقل على كرسي وظهره إلى الطاولة، ثم يقوم أحد المحققين برفع يدي المجاهد على سطح الطاولة مما يؤدي إلى انحناءة الجسم إلى الأمام، ثم يقوم المحقق الآخر بوضع رجليه على كتفي المجاهد ويبدأ برفع جسد المجاهد إلى الخلف في ذات الوقت الذي يقوم فيه المحقق الأول بسحب يديه وهذا يؤدي إلى رفع اليدين إلى مستوى لم تعهداه، ويؤثر سلباً على قدرة تحمل الكتفين وقد تسمع صوت عظام كتفك وكأنها تتكسر، ولكنها في الحقيقة ليست كذلك، وهذا الصوت إنما هو صوت دوران الأذرع إلى مسافة لم تكن اعتادتها من قبل، وكذلك تشعر أن شرايين جبهتك تفتقت.

هذا الأسلوب يحقق الكثير من الألم حتى أنك قد تفقد الإحساس بيديك أو حتى حركتهما لبعض الوقت ولكن ذلك لا يؤدي إلى الشلل أو الإعاقة -لا سمح الله- كما يقول المحققون، وهذا كغيره من الأساليب التي تتسبب بآلام كثيرة محدودة بوقت قصير جداً لا يتعدى دقائق ثلاثة وبعد تجريب هذا الأسلوب لأول مرة يصبح عادياً، وآلامه أقل بكثير... ولا تنسَ أن صمودك لدقائق يغنيك عن إمضاء سنوات طويلة خلف قضبان لا ترى منها نور الشمس.

٧. كسر الظهر:

هذا الأسلوب يقسم إلى شقين:

الأول: هو أن يتم إجلاس المجاهد على كرسي خشبي لا مسند له، ويتم تقييد رجليه مع الأرجل الخلفية للكرسي بحيث يمنع ذلك حركته، ثم يقوم المحقق بحني ظهر المجاهد من زاوية قائمة إلى زاوية مائلة ١٣٥ درجة تقريباً، هذا طبعاً سيجعل كل ثقل

وضغط الجسم على أسفل العمود الفقري مما يسبب آلام ضغط كبيرة، كما أن هذا الأسلوب يرهق المعدة بشكل كبير كونها ستبقى مشدودة لحفظ الجسد من السقوط إلى الخلف، ونتيجة هذه الضغوط الناتجة عن الشد العضلي والعصبي والضغط الكبير على العمود الفقري، يبدأ الجسم بالتعرق الشديد، ويبدأ الوجه بالاصفرار، وبعد ذلك بدقائق تحس بكل جسمك وهو يرتجف من شدة الضغط والتعب، وقد يصاحب ذلك قيام المحقق بضربك ضربات محدودة على المعدة، بهدف إرهاق العضلات بصورة أسرع أو الصفع على الوجه أو الضرب على مؤخرة الرأس لإرهاق الجهاز العصبي بسرعة، والتسبب في حالة إعياء له، ويستمر هذا الوضع لعدة دقائق، ولكن عليك أخي المجاهد أن لا تكون أداة طيعة في يد المحققين، بل عليك رفض هذا الأسلوب ورفض الاستجابة له، ومحاولة التخلص منه بأي شكل سواء بالسقوط عن الكرسي أو الصراخ، أو ما تراه مناسباً من الوسائل.

الثاني: هو ما يعرف باسم الموزة... وهو نفس الأسلوب، ولكن بدل انحناءة الظهر بزاوية ١٣٥ درجة يكون بزاوية ١٨٠ درجة، بحيث يكون الرأس والأرجل على نفس المستوى ملامساً لأرضية الغرفة.. هذا يسبب بالإضافة إلى ما ذكر سابقاً ضغط دم كبير على منطقة الرأس والوجه وخاصة الأذنين والعينين، وستشعر بضيق في التنفس وقد يجلس أحد المحققين على بطن المجاهد من أجل الضغط عليه أكثر، وتصعيب عملية التنفس، وهذا الأسلوب يستمر لدقائق أيضاً، ولكن عليك الانتباه في هذا القسم والذي قبله إلى عدم إلقاء جسدك إلى الخلف مرة واحدة لأن ذلك سيتسبب بمشاكل صحية في منطقة الظهر ولكن عليك بثني ظهرك رويداً رويداً.

٨. إطلاق النار والتحقيق الميداني:

يعتمد هذا الأسلوب على وضع المجاهد أمام معادلة لها طرفان، القتل والإعدام فوراً أو الاعتراف... ويقوم المحقق بوضع المعتقل أمام خيار الموت وإيهامه بنهايته واقتراب أجله، فإذا راوغ المعتقل أو المجاهد ميدانياً أُطلِقَ النار عليه «حوله».

يقول المجاهد «أ.سياف» كنت مطارداً أو مطلوباً لقوات الاحتلال، وفي أحد الأيام وبعد عودتي إلى منزلي مساءً، حاصرت قوة كبيرة من الجيش المنزل، وطلبت من كل من في البيت الخروج وتسليم أنفسهم، وعندما خرجت كان عشرات الجنود يحاصرون المنزل وطلبوا مني خلع ملابسي، وبعد أن فعلت ذلك، انقض علي عدد منهم، قيدوني ووضعوني بجانب الجدار الخارجي للمنزل وبدؤوا بضربي، وهم يقولون مطلوب مطلوب... بعد أكثر من ساعة من الضرب حضر أربعة ضباط برتب عالية على حسب الإشارات التي على أكتافهم، اقتادوني بعيداً عن منزلنا إلى وسط حقل من الزيتون، قريب من مكان سكني.. هناك في وسط الأشجار قام بفك القيود من رجلي، وتقدم مني أحدهم، وعرف على نفسه على أنه الميجر «توم»، وهو المسؤول عن قضيتي، وقال

لي: أنت متورط في قضية كبيرة حكمها الموت، وأمامك الآن خيارين لا ثالث لهما فإما أن تسلمني الحزام الناسف والاستشهادي وتخبرني عن مكان وجود القائد المطارد «أبو عبد الرحمن» وإما القتل، فنحن ليس لدينا وقت لأخذك إلى المسكوبية والتحقيق معك، لأن الاستشهادي سيخرج إلى عمليته، والمطارد سيغير موقعه.
ارتجفت أعصابي في البداية، ولكني قلت: إنهم لن يفعلوا ذلك أو أي شيئًا ... وعندما قلت لهم أنا لا أعلم شيئًا عن الأمور التي تسألون عنها ولا أعرف أي شيء، ألقاني على الأرض، وقام بإطلاق الرصاص من حولي وشعرت بالتراب يتناثر على رأسي من جراء إطلاق الرصاص، شعرت بالموت وأحسست أن حياتي قد انتهت ،فأصبت بالانهيار، وأخذت أتدحرج على الأرض مودعاً الدنيا .. بعد لحظات أفقت على نفسي، ولم أصدق أني ما زلت على قيد الحياة، لقد كانت حياتي أعز عليهم من أي شيء، ولكني شاهدت الموت وعدت إلى الحياة من جديد ... عاود سؤاله مرة أخرى عن الاستشهادي والحزام والمطارد ...الخ، قلت له إني لا أعرف شيئاً، هدد بإطلاق النار هذه المرة بشكل حقيقي، لأن الأولى كانت من أجل التحذير وإظهار الجدية، وقال أنت قاتل ولا بأس من قتلك فلو أطلقت النار عليك هنا في وسط الأشجار، وقلت أنك حاولت الهرب فلن يسألني أحد، قلت له أنت تريد المعلومات التي عندي لذلك لن تقتلني، وفعلاً بعدها أعادني إلى السيارة العسكرية ونقلت إلى تحقيق المسكوبية.

تذكر:

إن كل من خاض أو شارك في القضايا العسكرية الكبيرة، الذين يشكلون دعائم الجهاد والمقاومة، والذين يكون الصمود في حقهم فرض لأنهم يمثلون الصورة المشرقة للمجاهدين الذين قاتلوا وكانوا أبطالاً في الخارج وجاؤوا ليكملوا معاركهم وانتصاراتهم هنا في أقبية التحقيق، وهؤلاء النفر هم الرواحل الذين يقودون الجيل، وهم فجر الأمة الواعد فلا تقبل منهم الأمة الهزيمة والانكسار في معركة التحقيق وكل ما ذكرناه من أساليب هي أساليب يتم استخدامها لدقائق أو ساعات أو أيام، فهل يعقل أن يبيع إنسان حريته بدقائق راحة؟؟ وهل يعقل أن يخذل نفسه وإخوانه وحركته من أجل لحظات تعب؟؟ من ذا الذي لا يشتري عمره وحريته بصبر ساعات؟؟ وتأكد أنك في اللحظة التي تفكر فيها بالاعتراف يكون المحقق يفكر بإنهاء التحقيق... وهكذا هو التحقيق كالعض على الأصابع الاثنان، يتألمان ويتعبان، والخاسر من يصرخ أولاً، وتذكر أن الصبر مفتاح الفرج.

توجيهات وإرشادات عامة:

١. خلال فترة التحقيق لا تحاول أن تظهر للمحقق أنك تعرف هذا الأسلوب أو ذاك، واعمل على الظهور بمظهر الذي لا يعرف شيئًا

٢. هناك مواقف تحتاج إلى حزم وحسم من اللحظة الأولى ودون التفكير فيها وهي:

الاعتراف والصفقات والارتباط، فليكن موقفك: أن هذه الثلاثة من المحرمات.

٣. عليك أن لا تكون أداة طيعة في يد المحققين، بل عليك أن تثبت بأسك وقوة شكيمتك خاصة في رفضك لأوامرهم، مثل الوقوف المستمر أو حمل كرسي أو الجلوس على رؤوس الأصابع...الخ.

٤. عليك التمرد على كل ما يطلبه منك المحقق، خاصة في موضوع الشبح والضغط الجسدي، وارفض أوامر المحقق، وليفعل ما يريد بعدها.

٥. هناك أساليب أخرى لم نذكرها، إما لأنها تشبه الموجود هنا من أساليب من حيث المضمون، وتختلف من ناحية الشكل، أو لأنها لا تستخدم أو لم تعد تستخدم.

٦. أساس الصمود وعدم الاعتراف هو إيمانك بالله-تجلت عزته- وبعدالة قضيتك واستماتتك في الدفاع عن نفسك وإخوانك ودعوتك.

٧. اعلم أن النصر صبر ساعة، وأن مع العسر يسرا.. وهيهات أن يستوي الرجل المجاهد الصامد مع المعترف، سواء في ميزان الله -عز وجل- أو في ميزان البشر.

٨. إن آلام التحقيق والتعذيب أهون ألف مرة من ألم الاعتراف.. فألم التعذيب يزول مع أول دقائق الراحة، وأسألوا المجربين، أما ألم الاعتراف فإنه لا يزول بل يبقى وصمة سيئة في سجل جهادك، وفي النهاية نقول: إن التحقيق يعتمد في أول خطواته على البحث عن ثغرة في نفسية المجاهد كي يدخل منها ويجعلها منطلقاً لمواصلة هجوم المحقق، ويلبس المحقق أقنعة مختلفة، ويحاول أن يبدو بمظاهر مصطنعة ليدخل إلى عمق هواجس المعتقل، وطريقة تفكيره، ويبدو كل شيء مدروساً في حركات المحقق وتصرفاته، فالنظرة والابتسامة والحركة والإغراء والغضب والضرب والحماية من محقق شرير والصراخ والشفقة والتهديد والعدو والصديق جميعها مظاهر تمثيلية مصطنعة، وليس لها جذور في نفس المحقق، وإنما يريد من ورائها أن يختبر أي الأشكال يجدي نفعاً مع نموذج المعتقل الواقف أمامه.

إن المعرفة الكاملة بهذه الأساليب وهذه الأدوار وبهذا الإعداد المسرحي لجو التحقيق، إن توفرت لدى المجاهد المعتقل فإنه لن يشعر بالوجل أو التخاذل، وليكن إيمانه بالله -تبارك وتعالى- وبقضيته ومهمته الجهادية قوياً، بحيث يجعله أكثر صموداً وأصلب عزيمة في مواجهة الأساليب الخبيثة للمحقق.

وليس جديداً القول إن إنسان العقيدة الذي يعتمد على بنية تنظيمية قوية، ويعرف أساليب المحققين معرفة كاملة هو المؤهل لأن يكون جداراً ساتراً لعمل إخوانه المجاهدين، مهما نصبت له الشراك ومهما تعرض له من التحقيق وشراسة الاعتقال.

الباب الثالث:

دور العملاء داخل الزنازين

لم تكن زنازين التحقيق يوماً مكاناً لراحة المجاهد المعتقل، إنما هي من أبرز وسائل عملية التحقيق، بل قد تكون أبرزها في بعض الحالات، والسؤال الذي ينبغي أن يكون ملحاً على فكر المجاهد داخل الزنزانة كيف أكون في مأمن وأنا لم أزل بعد في قلب مركز التحقيق...؟؟ كيف أكون في مأمن وهذه الزنازين بالتأكيد مزودة بأجهزة التنصت والمتابعة؟ كيف أكون في مأمن وهذه الزنازين تضج بكَمٍ من العملاء الذين يتقنون أدواراً رسمها لهم ضابط المخابرات، يحققون بها ما لم تحققه مكاتب المحققين وكراسي الشبح؟

إن ترديد المجاهد المتكرر لهذه الأسئلة هو ضمانة النجاة وسبيل الخلاص!! ولما كانت الزنازين بهذه الخطورة، ولما كان دور العملاء داخلها من الأهمية بمكان، كان لا بد من عرض موجز مكثف لوسائلهم داخل الزنازين، وآليات المواجهة لهذه الأساليب، والاعتماد أولاً وأخيراً بعد عون الله - تعالى- على همة المجاهد وإرادته وفطنته الأمنية وحسه المتحفز.

أساليب العملاء ووسائلهم ومخططاتهم داخل الزنازين:

١. التعرف على المجاهد وقدراته:

إن وسائل التحقيق بالدرجة الأولى هي وسائل نفسية، حتى الجسدية منها تتكئ على النفسية بشكل كامل، ولا يمكن لهذه الأساليب أن تحقق غاياتها دون أن تتوفر لدى المخابرات الصورة الكافية عن المجاهد من حيث:

أ. نقاط ضعف المجاهد «النفسية والجسدية».

ب. مشاكل المجاهد الأسرية والاجتماعية.

ج. أكثر أساليب التحقيق وأقلها تأثيراً على المجاهد.

د. مدى تأثير درجات الحرارة والبرودة على المجاهد.

هـ. قدرة المجاهد على احتمال البقاء في الزنزانة منفرداً.

د. التعرف على أصدقاء المجاهد ومعارفه.

ز. التعرف على ثقافة المجاهد الأمنية ومدى معرفته بالتحقيق ووسائله والسجون ومحطاتها وما شابه ذلك.

وتأمل أخي المجاهد عندما تتوفر هذه المعلومات لضباط المخابرات، كيف يمكن لهم استغلالها في كسرك ووأد صمودك في حفرة انتصاراتهم؟ إن هذه المعلومات قد يتوفر بعضها أو جزء منها عند المخابرات عن طريق الاعترافات وتقديرات العملاء

الذين في الخارج، لكنها تبقى منقوصة وغير كاملة، ولا تحظى بالثقة الكافية من ضباط المخابرات، لذا يلجأ المحققون لتحصيل هذه المعلومات عبر عملائهم في الزنازين.

٢. آليات الصمود:

١. أن يدرك المجاهد أن وجوده في الزنازين جزء من عملية التحقيق، وأن عين المخابرات لا تفارقه سواء تمثلت بأجهزة التصنت أو في العملاء.

٢. إن إخفاء المجاهد لهذه المعلومات وقدرته على جعلها مجهولة لدى المخابرات هو العامل الأساسي والأصح لإفشال عملية التحقيق، إلى جانب عنصر الصمود وقوة الإرادة بالتأكيد.

٣. إن مفتاح النصر وكلمة السر للخروج من التحقيق بأمان هي حفظ اللسان (عدم الاعتراف).

أخي المجاهد: إن شخصيتك ومشاكلك الاجتماعية وقضيتك وثقافتك الأمنية وحيثيات عملية التحقيق معك مغاليق مقفلة، وأي تسرب منها يعني بداية هزيمتك وانتصار عدوك.



المجاهد «س» بقي صامداً كاسراً لإرادة عدوه، حتى قال لأحد العملاء في الزنازين بعد أن وثق به واطمأن له: «إن والدتي تعاني حالة صحية سيئة وأمراضاً قاهرة، وليس من شيء يثقل كاهله ويحرق قلبه في التحقيق سوى الحزن والقلق على والدته... سحب المجاهد مرة أخرى إلى مكاتب التحقيق وإذا بسحنة المحقق قد تبدلت، فبعد أن تلونت سابقًا بألوان البأس هاهي معالم الرضى ترتد إليها!! «أنت لا تدري حال والدتك الآن، نظن أن هذا الأمر لا يعنيك فلنبق في أمرك أنت» هكذا قال المحقق للمجاهد «س»، حتى بدأ المجاهد يتوسل إلى المحقق أن يخبره بالذي جرى لوالدته، ولم تطل توسلاته حتى اعترف لكي يطمئن على والدته... اعترف المجاهد...!!

انتقل إلى السجن، اتصل بأهله وإذا بوالدته ترد على الهاتف معافاة قد برئت من آلامها، وخرجت من غرفة العمليات صحيحة سليمة... لم يبد في وجه المجاهد ولا في صوته فرحًا لشفاء والدته!!!

ولا تعجب فإن الشعور بالمرارة والإثم قتلا كل فرحة، لقد خُدع المجاهد «س» واعترف، وتسبب في اعتقال إخوانه، كل ذلك لأنه كشف عن قلقه على والدته لشريك الزنزانة الذي لم يكن أكثر من «عصفور».



المجاهد «باسل» بعد عشرة أيام من صموده في التحقيق يوضع في الزنزانة منفردًا لمدة يومين ثم تدخل عليه المخابرات فيما بعد واحداً من عملائها المحترفين والذي نجح في كسب ثقة مجاهدنا «باسل» في وقت قياسي، لم يمض وقت طويل حتى صارح المجاهد «باسل» شريكه في الزنزانة، إن بقاءه يومين منفردًا في الزنزانة كاد أن

يقتله، وأن ما شاهده من وسائل تحقيق يهون بالمقارنة مع الانفرادي وكان شريكه الذي دخل عليه قد نزل عليه من السماء.

التقطت المخابرات هذه المعلومة، وأبقت المجاهد ثمانية أيام في الانفرادي، كان لا يرى فيها سوى الشرطة الذين يأتون بالطعام، بعد مرور الأيام الثمانية سحب إلى مكاتب التحقيق: «هل تريد أن تعترف أم نعيدك إلى الزنزانة؟! نحن لسنا مستعجلين!! هناك قضايا أهم وأخطر من قضيتك!! ستبقى في الزنزانة شهراً أو اثنين أو ثلاثة، حتى نفرغ لك، هكذا قال المحقق، لم يطل تردد باسل ليبدأ سيل اعترافه بالتدفق... لماذا؟ فقط لأنه أفصح عن نقطة ضعفه لشريك الزنزانة الذي لم يكن إلا «عصفوراً».

٢. تضليل المجاهد بعدم جدوى الصمود والثبات:

إن المخابرات قد تستخدم عملاءها في الزنازين بهدف اختراق ذهنية الصمود لدى المجاهد وذلك من خلال الأساليب التالية:

١. تحرص المخابرات على إبقاء المجاهد، في حالة ذهنية تجنح نحو الاعتراف والخلاص منَ لتحقيق، وذلك باستعراض مجموعة من النماذج التي اعترفت، وتنتقي عادة من تلك النماذج الشخصيات البارزة الرمزية والمشهورة، ولكي تبقى هذه الأسماء والمواقف حاضرة في ذاكرته فإنها لا تكتفي بترديدها على مسامعه وإنما تستعرضها عليه مرة أخرى عبر عملائها في الزنازين.

٢. وحتى يسري الضعف في عروق المجاهد بشكل أسرع، ولكي يبقى المجاهد في حالة ذهنية محددة، هي ذهنية الهزيمة والاعتراف، تضع المخابرات المجاهد أمام نموذج منهار يتعرف إليه المجاهد مباشرة، عادة ما يكون هذا النموذج عميلاً يقدم نفسه للمجاهد على أنه اعترف بعد فترة طويلة من الصمود ذهبت هباءً.

٣. وحتى يبقى المجاهد في هذا الجو المسكون بالخور والضعف، قد يستعرض عليه العميل جملة من معارف المجاهد وأصدقائه الذين اعترفوا بعد صمود لم ينفعهم، وبطبيعة الحال فإن هذه المعلومات توفرها المخابرات لهذا العميل.

٤. يستمر العميل في نخر جدران الصمود لدى المجاهد، ويعلي من روح ضعفه ويسارع وتيرة جنوحه نحو الاعتراف من خلال عرض جملة من الأفكار أهمها:

أ. عظمة المخابرات وقدرتها الفائقة على الوصول إلى ما تريد من معلومات.

ب. قدرة المخابرات على تمديد المجاهد، وإبقائه في التحقيق لفترات طويلة.

ج. إمكانية إدانة المجاهد قانونياً، إذا اعترف عليه أبناء قضيته، وفق قانون تامير فلن يستفيد المجاهد من صموده سوى إطالة مدة بقائه في التحقيق.

تهدف المخابرات وعملاؤها من خلال هذا الأسلوب إلى وضع المجاهد تحت ركام هائل من الأفكار الهدامة والانهزامية والصور المتخاذلة التي تقوده في النهاية بعد صراع نفسي مرير إلى طريق الاعتراف.

●● آليات الصمود:

إن أساليب المخابرات في هذه المرحلة أساليب نفسية بحته، تعتمد على فتح كم من الصور والأفكار المحددة، في عقل المجاهد وإن آليات الصمود في المقابل نفسية تماماً كذلك، وهذه الآليات تتمثل في:

١. الربط الدائم بين كلام هؤلاء الذين في الزنازين مع كلام المحققين، سيكشف المجاهد حينئذ أن اللغة واحدة.. إن الصوت الذي يرن في مسامعه في الزنزانة هو صوت عدوه، ولكنه هذه المرة بلهجة عربية سليمة من صاحب سحنة عربية واضحة!!!

٢. أن الذي يتحدث هذه اللغة -أي لغة الاعتراف والانهزام- إلى المجاهد في الزنازين إما أن يكون:

أ. عميلاً: وهذا عدوه، فمهمة المجاهد إذن سهلة، إذ يحرم على المجاهد أن يسترسل مع طرح عدوه وهو في قلب المعركة..معركة التحقيق.

ب. معتقل حقيقي، لكنه منهار يحاول تبرير اعترافه بصورة مقززة، أو مخدوع بتلك الأفكار التي استعرضناها، وليس هذا مَثَلُ المجاهد وقدوته.

٣. على المجاهد أن يستدعي من ذاكرته صور الذين صبروا أو ضربوا الأمثلة في الثبات في مواجهة صور المعترفين التي قد تتداعى إلى ذاكرته أو قد تضخها المخابرات والعملاء في عقله.

٤. أن يتذكر المجاهد أسماءً اختصرت مدة التحقيق بصمودها، وأخرى أطالتها باعترافاتها.

٥. أن يتذكر المجاهد مجاهدين اختصروا مدة الحكم بصمودهم رغم إدانتهم بقرار أو قانون تامير، وآخرين يمضون باقي أعمارهم خلف القضبان بسبب اعترافاتهم.

٦.إن مُثُل المجاهد عالية، وطموحاته صاعدة فإن كان فلان أو آخر قد اعترف فَلِمَ لا يجعل من نفسه عنوان الصمود والتحدي، ويجعل من قصته حكاية بطولة تُروى، ومن ذاته صورة ينظر إليها بعين الإجلال والتقدير

٧.مهما كانت قضية المجاهد صعبة ومعقدة فإن رحلة التحقيق لا بد وأن تنتهي، ولا شك أن المجاهد يستعرض في ذاكرته أسماء أنهت التحقيق بالانتصار رغم صعوبة قضاياها ...!!

لم تخل جلسة من جلسات التحقيق من ترديد عبارات مكررة على ألسنة المحققين مثل «الشيخ فلان هل أنت مثله ؟؟» « هل أنت في مثل وضعه التنظيمي؟؟ » لقد اعترف ببساطه، اعترف لأنه يعلم أن الاعتراف المآل الحتمي لمسيرة التحقيق، ولأنه يعلم أن اعترافه لن يؤثر على موقفه المعنوي و التنظيمي أمام إخوانه، وها هو لم يزل قائدا يحظى بالتقدير والاحترام»

هكذا يحدثنا «أ خالد » عن تجربته الأولى مع التحقيق، ويستمر قائلا « لم تكن

تنقصني الإرادة ولا العزيمة ولا الإصرار، بل لعلي لا أكون مبالغا إذا قلت أنى كنت أشعر بالنشوة، والوقت يمضي، والمحقق ينهار، وأنا الشاب الصغير الذي يجرب التحقيق لأول مرة ،مضى الوقت ،وبعد ليلة مرهقة مرت ببطئ شديد، يوضع المجاهد أبو خالد في الزنزانة، وتدخل عليه المخابرات واحداً من خفافيش الزنازين، ساعات مرت وإذا بهذا العميل يكرر عبارات المحققين على مجاهدِنا في صورة متصاعدة متسلسلة .

حدثني عن فلان الذي اعترف وفلان الذي أنهى التحقيق سريعا ليخرج من السجن، حتى هو - أي العميل- لم يجد بداً من الاعتراف، وهاهو مرتاح الآن، نادم على ساعات الصمود التي قضاها، بعد ساعات لم يكن عالقا في عقلي إلا هذه الصور والمواقف، وكأنها تتسلل إلى عقلي.. إلى شراييني.. إلى أطرافي « لايفل الحديد إلا الحديد كما يقولون» وهكذا واجهت هذا الأسلوب المحكم ... عادل عوض الله .. عماد عوض الله... موسى دودين .. أبو الطاهر .. الشاب فلان وكذلك الشبل فلان والشيخ فلان، ما أكثر الصامدين وما أجمل وجوههم المشرقة وجباههم الشامخة، صحيح أن فلانًا وفلانًا اعترفوا لكن الخيبة والشعور بالنقص لا يفارق عيونهم .

صور البطولة ضخت في عروقي دماء جديدة وحيوية غريبة، إنها صور العزة والشرف، وبعد خمسين يوما أنهيت التحقيق، انتقلت إلى السجن بشعور من النشوة، لا يوصف، بدأت أقلب الوجوه، هذا معترف خجل كئيب، وهذا صامد سعيد، وما أسعدني بانضمامي إلى قافلة المنتصرين.

٣. كسب الثقة :

إن تحصيل عنصر الثقة هو المقدمة التي لا بد منها لتحقيق غايات العميل، فلكي يضمن انتزاع ما يريد من معلومات وحقائق، ولكي ينجح في هز عزيمة المجاهد وتحريك أوراقه نحو الاعتراف، ولكي يشكل القناعات التي تريدها المخابرات عند المجاهد، لا بد له من كسب ثقة المجاهد.

- **وسائل كسب الثقة:**

١. ادعاء العميل الصمود في التحقيق، والثبات أمام المحققين واستعداده لإنهاء معركة التحقيق منتصرا مهما طالت، ثم تشجيعه للمجاهد على الصمود وإبقاء روح المقاومة لديه صلبة، إن العميل بهذا الأسلوب يحقق المكاسب الآتيه:

أ. تحقيق عنصر الثقة.

ب. الظهور بمظهر البطل.

ج. يمكن للعميل حينئذ أن يشكل قناعات للمجاهد بالصورة التي تريدها المخابرات، وبما يخدم أغراضها ويسهل عليها عملية التحقيق.

د.قد يتعمد العميل إرهاب المجاهد بتعداده وسائل التحقيق التي تعرض لها، والتي قد يتعرض لها لاحقاً.

ه. هذا الأسلوب قد يكون مناسبا لتهيئة المجاهد لمرحلة قادمة يدخلها بالقناعات

والتصورات التي شكلها لديه العميل، خاصة في موضوع غرف العصافير.

و. قد يستغل العميل حالة الثقة والاحترام والانبهار التي صنعها عند المجاهد لإقناعه بالاعتراف اعترافا جزئيا أو اعتراف تغطية أو ما شابه .

٢. استخدام العميل لمعارف الجاهد لتحصيل عنصر الثقة، بادعائة معرفته بعض معارف المجاهد المعتقلين وغير المعتقلين، ثم بسرده جملة من التفاصيل حول هؤلاء المعارف وقضاياهم، يطمح العميل من وراء ذلك الآتي:

أ. الشعور بالاطمئنان من قبل المجاهد نحوه.

ب. شعور عال من الثقة يولده عنده المجاهد لما يعرضه عليه من معلومات دقيقه حول معارف المجاهد.

ج. قد يستغل معارف المجاهد الذين اعترفوا بإقناعه بضرورة الاعتراف كما ذكرنا سابقاً.

د. هذه الثقة سيحتاجها العميل في مرحلة متقدمة من التحقيق كما سنرى.

ه. قد يدمج العميل بين هذا الأسلوب والأسلوب الذي سبقه لتحقيق أعلى مستوى من الثقة فلتنتبه لذلك .

٣. تباكي العميل وظهوره بمظهر الساذج الجاهل بما يدور حوله:

إن هذا الأسلوب من أساليب تحقيق الثقة، وبه وعد أن يكسب ثقة المجاهد يحقق العميل ما يلي:

أ. تستفز حالة العميل الباكية اليائسة هذه المجاهد لتوعية العميل ونصحه والتخفيف عنه.

ب. سيلجأ المجاهد إلى تثقيف العميل أمنياً للخروج من التحقيق بأقل قدر من الخسائر.

ج. قد يضرب المجاهد للعميل أثناء نصحه أمثلة من تجاربه الشخصية أو تجارب غيره.

د. بهذا يتعرف العميل على ثقافة المجاهد الأمنية وقدراته، وربما يستشف بعضاً من أسراره ومعلوماته، ولعل المجاهد في سياق حديثه عن قصد أو دون قصد قد يكشف بعضاً مما لديه من معلومات.

ه. كما أن المجاهد باستجابته لأسلوب العميل هذا وتعاطيه مع حالة العميل هذه بالشكل الذي تحدثنا عنه سيكشف بالتأكيد عن خصائصه النفسية ومدى سلامة جهاز المناعة والمقاومة الداخلي عنده، مما يوفر على المخابرات وقتًا كبيرًا في سعيها لاستكشاف ذلك.

● ملاحظة مهمة :

إن المخابرات تختار من هذه الوسائل أو الأساليب ما يتناسب مع الغاية التي تريدها، فإن كان المجاهد مثلاً صاحب روح معنوية عالية، وتريد المخابرات إدخاله في مرحلة جديدة كمرحلة غرف العار، والتي سنتطرق لها لاحقاً، فإنها تحرص على إدخاله

هذه المرحلة بالقناعات التي تريدها هي، ومثل هذه الحالة يناسبها شخصية العميل البطل الصامد، الذي يبهر المجاهد بصلابته وقدراته، وذلك لكي يتسنى لهذا العميل تشكيل تصورات المجاهد بسهولة.

وإن كانت المخابرات تريد إقناع المجاهد بعدم جدوى الصمود وضرورة الاعتراف، فإنها قد تلجأ إلى العميل الذي يدعي معرفته بأصدقاء المجاهد الذين اعترفوا، ثم يستغل العميل هذه المعرفة المدعاه في سياق أسلوب مبرمج متسلسل، فهي إذن أساليب متعددة لكسب الثقة قد يستخدم بعضها دون الآخر، وقد يدمج بعضها مع الآخر كما ذكرنا سابقا.

■ آليات الصمود:

١. أن حفظ اللسان والتعامل بتحفظ وحذر مع كل من في الزنازين هو الأساس لاجتياز هذه المرحلة.

٢. الزنازين من أهم عناصر التحقيق، وهي مرحلة مخصصة للصمود والمواجهة، وليس للتعارف وتبادل المعلومات والخبرات مع الآخرين.

٣. إن تضييق دائرة المعرفة بمعلومات المجاهد أهم قاعدة أمنية على الإطلاق، فلا حاجة ولا ضرورة للإفصاح عن أية معلومة لمن لا تعنيه هذه المعلومة حتى لو كان نظيفًا، ولا يوجد في الزنازين من هو بحاجة إلى معلومات إلا المخابرات وعملاؤها.

٤. لو افترضنا جدلًا أن شريك المجاهد في الزنزانة نظيف فإن الزنازين لا تخلو من أجهزة تنصت.

٥. قد يؤدي التعامل بتحفظ مع سكان الزنازين إلى خسارة العلاقة معهم، ولكن أفضل ألف مرة من أن تخسر نفسك.

٤.اتهام المجاهد بالعمالة:

إن المخابرات تدرك خطورة هذا الاتهام على الحس الفلسطيني، خاصة إذا كان مجاهدًا حماسيًا، وأن مثل هذا الاتهام كفيل بإفقاد المجاهد توازنه، وإرباك خطة المقاومة وصناعته الداخلية،وهذه قد تكون مهمة من مهام العملاء داخل الزنازين، فبعد توفر عنصر الثقة من طرف المجاهد تجاه العميل، يبدأ هذا العميل، بتوجيه نظرات التوجس والشك إلى المجاهد، ثم يتدرج ملمحاً متهماً المجاهد بالعمالة، وقد يختم العميل دوره المتقن هذا بالصراخ، موهماً المجاهد أن أسرى الزنازين الأخرى سيسمعون صوته، إن هذا الأسلوب إذا انطلى على المجاهد قد تكون نتيجته ما يلي:

١. انهيار المجاهد وإفصاحه عن بعض ما لديه من معلومات وأسرار ليبدد شك زميله الذي في الزنزانة، وتلقائياً تنتقل المعلومات إلى المخابرات ليواجه المجاهد مرحلة تحقيق جديدة.

٢. إن لم يحصل ما سبق، سيواجه المجاهد جولات تحقيق قادمة بذهن مرتبك وصدر

منقبض وعقل مشتت، مما يسهل على المحقق مهمته في إفقاد المجاهد توازنه.

٣. قد تستغل المخابرات خوف المجاهد من اتهامه بالعمالة، فتهدده بأنها ستنشر هذه التهمة في منطقته وفي السجن عبر عملائها، الأمر الذي قد يدفع المجاهد للإعتراف خوفاً من تهديد المخابرات.

آليات المواجهة والصمود:

١. إن ثقة المجاهدين بأخيهم تتعزز في حال الصمود وتضعف بعدمه ، ولكنها تهتز في حالة الاعتراف.

٢. إذا لم تكن الزنازين مكان تعارف فإنها في المقابل ليست مكاناً لإثبات الذات وإبرازها.

٣. الذي يعني المجاهد هو ثقة إخوانه وليست ثقة نكرة مجهولة، يلتقي به للمرة الأولى في الزنازين.

٤. لو استطاعت المخابرات تشويه صورة المجاهد لفعلت ذلك منذ زمن، فليس تهديد المخابرات أكثر من وسيلة ابتزاز وضغط.

٥. ثم إن ثقة المجاهد بوعي إخوانه عالية، ولو أمكن للمخابرات أن تنشر الشك في صف المجاهد لزعزعته وتفتيته لفعلت ذلك منذ زمن.

الأخ «ثائر» مناضل من إحدى التنظيمات الفلسطينية، اعتقل على خلفية نشاطات عسكرية في انتفاضة الأقصى المباركة، صمد هذا المناضل أكثر من ٣٥ يومًا متنقلًا بين شتى وسائل المخابرات المخصصة لنزع الاعترافات..!!

وفي الزنازين كان مناضلنا يفقد عقله... شريكه في الزنزانة يتهمه بالعمالة قائلًا: «أنت من خفافيش الزنازين، أنت عميل قذر، أنت هنا لاستدراجي..الخ» وفي الوقت الذي تتابع فيه هذه الاتهامات ينقل المناضل «ثائر» إلى زنزانة أخرى. يبيت فيها منفرداً، وفي الصباح يصعد به إلى المحقق...

«لم يحدثني المحقق بأية كلمة... وإنما ألقى عليّ ببطاقة معدة بشكل محكم ومتقن، فيها صورة لي، وعليها ختم وكتابة بالعبرية والعربية تفيد بأني واحد من عملائهم...»

استمر مناضلنا في سرد قصته قائلاً «سنلقي هذه البطاقة في منطقتك ليلتقطها الناس، إنها أكبر دليل على أنك عميل..أنت لا تريد أن تعترف! حسناً! سننتقم منك بوسيلة أخرى! هذه سمعتك أغلى ما تملك، ستصبح أرخص ما تملك.. هكذا صرخ بي المحقق قائلاً..»

ثم أخذني إلى الزنازين، وأخذ يفتح النوافذ الصغيرة واحدة تلو الأخرى ويصرخ إن «ثائر» عميل لنا لقد قررنا أن نتخلى عنه، وفضحه بين الناس، إنه قذر وغبي ولا يقوم بمهامه على الصورة التي نريد!!!

أعادني إلى المكتب واتصل بالهاتف، جاء شرطي تبدو عليه علامات القسوة، أعطاه البطاقة المعدة لتشويه سمعتي، وأمره أن يلقيها في منطقتي... ثم قال لي الآن

سيتحقق لنا ما نريد، وسنأمر عملاءنا في الخارج بتأكيد هذه الإشاعة، لقد أوصلنا هذه الفكرة للأسرى الذين في الزنازين، وسينقلونها بلا شك للمعتقلين في السجن وسيعمل عملاؤنا على نشرها في الزنازين!!

والآن أنا أقر أنك أتعبتنا معك، ولكننا قررنا الانتقام منك، ستنقل إلى السجن لتواجه مصيرك هناك بين أبناء شعبك الذين صمدت من أجلهم...

بقيت أنتظر نقلي إلى السجن حتى أشرح لإخواني قصة اتهامي بالعمالة، نقلت إلى ما ظننته السجن!! لم تمضِ على وصولي ساعات حتى بدأت أسأل المسؤول.. جاءني المسؤول وشرحت له قصتي بالتفصيل... ففاجأني المسؤول بقوله: «كنا ننتظر قدومك إلينا، فالتنظيم في الخارج قد أرسل لنا يخبرنا عن بطاقتك هذه، وهي تماماً كبطاقات العملاء الذين استجوبناهم وصارحونا...!!

أنا متعاطف معك، لكن لا يمكن إثبات براءتك أمام هذا الدليل المادي القوي إلا بدليل أكبر...

- ما الدليل الأكبر...؟!
- أعمالك النضالية في الخارج...

بدأت أسرد له وكأني تحت تأثير تنويم مغناطيسي...!

ثلاثة أيام داخل السجن الموهوم...!

ثم أجد نفسي بين يدي المحققين مرة أخرى...

والمفاجأة كانت أن كل حرف كتبته عند المسؤول في السجن أجده أمامي بخط يدي عند المحقق...

انهرت تماماً وبدأت بالاعتراف...

لم يكن ذلك المكان الذي ذهبت إليه سجناً، لقد اكتشفت متأخراً أن ذلك المكان لم يكن سوى «غرف العار».

٥.استخدام أبناء قضية المجاهد:

ولذلك صور كثيرة نستعرض منها:

١. يدعي العميل في الزنزانة أنه قابل واحداً من أبناء قضية المجاهد في الزنازين، وأن الواحد قد اعترف بكل شيء!! والأمر يربك خطوط المجاهد المقاوم، وزعزع صلابة نفسيته.

٢. عند نقل المجاهد إلى العيادة أو لمقابلة المحامي أو الصليب أو حتى عند نقله من زنزانة إلى أخرى، يوضع معصوب العينين على جانب، و آخر معصوب العينين كذلك، فإذا تمت عملية التعارف بينهما فإن هذا الآخر وهو في حقيقته عميل، سيدعي معرفته ببعض أبناء قضية المجاهد، وفي هذه الحالة إما أن يقوم بما ذكر في النقطة «الأولى» أو يطلب من المجاهد أن يعطيه ما يريد نقله إلى ابن قضيته إن التقاه مرة أخرى في الزنازين!!

٣. قد يوضع المجاهد مع ابن قضيته في زنزانتين متقابلتين بينهما فتحة صغيرة في السقف أو ماسورة، ثم تقوم المخابرات بتسجيل حديثهما بوساطة جهاز تسجيل أو عن طريق عميل يتنصت عليهما.

آليات المواجهة:

ولكي لا يكون كلامنا نظريًا نقدم لك هذه القصص الواقعية التي تروي لك آليات الصمود فعلاً وحقيقة:

١. المجاهد «م» وبعد صمود طويل في مركز تحقيق عسقلان، يجتمع بعصفور في إحدى الزنازين، يدعي هذا العصفور أنه منقول من مركز تحقيق المسكوبية، يسأل مجاهدنا «م» وهو المتخوف من إمكانية اعتقال أحد من أبناء قضيته أو مجموعته واعترافهم عليه، يسأل مجاهدنا هذا العصفور، إن كان قد التقى أحدًا في المسكوبية من منطقة المجاهد أو بلده المجاهد... ثم كانت الصدمة: قال لي: لقد التقيت بالمجاهد «ع»، لقد اعترف بكل شيء، لقد كان منهارًا تمامًا... «ع» هذا كان ابن مجموعتي... أصبت بالصدمة... لكنني قررت الصمود حتى اللحظة الأخيرة، وبصمودي هذا اجتزت التحقيق منتصراً... لقد أفرج عني من مركز التحقيق وكانت سعادتي غامرة... ولكن السعادة الأكبر كانت أن أخي المجاهد «ع» لم يعتقل! لم يكن ذلك الذي ادعى التقاءه بالمجاهد «ع» سوى عصفور مزود بالمعلومات من المخابرات.

■ إنها الإرادة، كلمة تختزل في داخلها كل أسباب النصر مهما كانت الوقائع والحقائق...؟!

٢. المجاهد «ي» يوضع في زنزانة، يربطها بأخرى ماسورة من الأسفل، فجأة ينادي أحدهم من الزنزانة الأخرى، إنه «ك» ابن قضيتي، وبسرعة يبدأ «ك» بالحديث: «أنا لم أعترف، ولقد أنكرت معرفتي بك، واعلم أنك لم تعترف....الخ» ولكن بسرعة أكبر يصده المجاهد «ي» قائلاً: «أنا لا أعرفك ولا أظنك سوى عميل يحاول استدراجي، لا شك أن المخابرات الآن تقوم بتسجيل حديثنا، إذا أسمعوني هذا التسجيل في التحقيق فسوف أنكر معرفتي بك، لأني لا أعرفك أصلاً... لقد كانت خطوة ذكية من المجاهد «ي» حقق فيها:

أ. لم يترك للمخابرات فرصة للضغط عليه، وذلك بإنكاره معرفته بالمجاهد «ك»، فلن يحمل جهاز التسجيل إلا هذا الإنكار.

ب. ألمح إلى المجاهد «ك» من طرف خفي بالذي عليه فعله إن أسمعوه التسجيل وهو إنكار ماضيه... وفعلاً كان هناك تسجيل، أما المجاهد «ي» فقد أنكر معرفته بـِ «ك» وقال: هذا عميل أشركتموه معي في الزنزانة لاستدراجي... أما المجاهد «ك» فقد اتهم المخابرات بفبركة هذا التسجيل للضغط عليه... واستمرا صامدين.

■ مرة أخرى: فطنة وحس أمني متحفز، وإرادة وتصميم، هي آليات الصمود في

مراحل التحقيق.

٦. العميل لنزع المعلومات:

إن وظيفة العميل في الزنازين قد تتجاوز ما ذكرناه في النقاط السابقة، فإن خطة العميل المندرجة للقيام بهذه المهام قد تكون على الشكل التالي:

. يوضع المجاهد في الزنزانة، ثم يدخل الشرطي عليه معتقلاً آخر تبدو عليه علامات الإرهاق والتعب.

ب. يلقي هذا المعتقل بجسده على الفراش وينام، ثم يُسحب في صباح اليوم التالي للتحقيق.

ت. تستمر هذه العملية يومين أو ثلاثة، دون أن يبادر هذا المعتقل بسؤال المجاهد، على غير المعهود من عصافير الزنازين.

ث. هذا النمط الجديد، وهذا المشهد المتكرر، يزرعان الثقة في نفس المجاهد.

ج. شيئًا فشيئًا تتقدم الألفة وتستمر بينهما.

ح. تتصاعد ثقة المجاهد بهذا المعتقل لطول الفترة التي قضاها معه... فإن الفكرة النمطية المعهودة: أن العصافير لا يبقون مع المجاهد أكثر من أيام قليلة لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة.

خ. معتقل مرهق متعب، يسحب إلى التحقيق، لا يتكلم ولا يحاول أن يسأل، وتكثر لقاءاته بمجاهدنا ويطول بقاؤه معه... إنها صورة جديدة حقاً.

د. ثم يبدأ الحديث، قد يبدأه المجاهد أو هذا المعتقل.

ذ. ببطء تبدأ عملية الاستدراج، يبدأ الحديث في العموميات، ثم يقوده المعتقل إلى التفاصيل.

ر. في نهاية القصة يجد لياليه وأسراره وما فيها على جهاز تسجيل عند المخابرات، وهذه القصة حدثت بالفعل.

أخي المجاهد : ليس بالضرورة أن تنهج معك المخابرات الأسلوب الذي عرضناه لك، إن كل ما يكتب لك هنا ليس إلا نماذج للتدليل ولفت الانتباه، وإلا فإن الأساليب قابله للتطور والتجديد.. ويبقى الأمل في عزيمتك وفطنتك وامتثالك للقواعد الأمنية المكررة عليك في هذه الدارسة.

٧. إعداد المجاهد وتهيئته لمرحلة العصافير:

غرف العار... اسم قاسٍ على الحس المسلم...ولكنها ممر يندر أن لا يعبره معتقل في السجون الإسرائيلية الصهيونية. إنها سجون وهمية يسكنها العملاء، يمارسون فيها على المجاهدين دور المعتقل في السجون... ولإنجاح مهمة العصافير في هذه الغرف تعمل المخابرات على تهيأة نفسية المجاهد للوقوع في هذا الشرك، وهذه التهيأة

يشارك فيها:

أ. ضابط التحقيق.

ب. شرطي الإفادة.

ت. شرطي الزنازين.

ث. عصافير الزنازين.

ج. سيارة البوسطة.

■ الشكل النمطي والمعتاد لتهيئة المجاهد، وهو الشكل المتكرر بكثرة، ويتمثل في ادعاء ضابط التحقيق، إنهاء التحقيق مع المجاهدين، وأنه الآن ينتظر دوره للانتقال إلى السجن.

- يؤخذ المجاهد بعد ذلك إلى غرفة الشرطي الذي يأخذ الإفادة وبصمات المجاهد، حتى يشعره أن عملية التحقيق انتهت معه.

- بعد ذلك ينقل المجاهد إلى غرف العصافير، والتي قد تكون في نفس مركز التحقيق، كالتي في المسكوبية أو عسقلان أو قد تكون في سجن آخر يقاد إليها المجاهد بسيارة البوسطة.

(لكن أين دور العصافير «عصافير الزنازين» في هذه المهمة!!!)

-تختلف أدوار عصافير الزنازين في هذه المرحلة باختلاف الحالة والخطة الموضوعة من قبل المخابرات.

- إن الشكل الذي ذكرناه لك هو الشكل المعهود، وهذا الشكل لا بد من حضوره في كل الحالات للإعداد، والتي سنحاول إيجازها في نقاط مكثفة...

١. يحرص العميل المعد لتهيئة المجاهد لغرف العار، أن يكسب ثقة المجاهد، ثم لا يتصدى لأي مهمة أخرى، بل يقتصر دوره على التهيأه، والإعداد فلا يسأل المجاهد أية أسئلة قد تؤثر على عنصر الثقة...

٢. يصف العميل السجن للمجاهد، ولا يكون الوصف إلا لغرف العار فإذا نقل المجاهد إلى هذه الغرف وجد وصف شريكه في الزنزانة ماثلاً أمام ناظريه.

٣. قد تكون الخطة مختلفة وفق التسلسل التالي:

١. يعمل على كسب ثقة المجاهد.

٢. يحذر العميل المجاهد من غرف العار ويصفها له وصفاً محكماً.

٣. ثم يقتاد المجاهد إلى هذه الغرف ليجد وصف العميل ماثلاً أمامه.

٤.يعتمد العملاء في هذه الغرف فضح أنفسهم لمجاهدنا بتصرفاتهم المكشوفة.

٥. بعد أن يجتاز المجاهد هذه المرحلة يعاد إلى الزنازين.

٦. يجد العصفور السابق أو عصفوراً آخر ليكسب ثقته من جديد.

٧. يسأله هذا العصفور إن كان مرّ بمرحلة العصافير أم لا.

٨. يخبره مجاهدنا أنه اجتازها بنجاح وأنه قد وجد ما وصفه له كاملاً.

٩. يمطئنه العميل بأنه لن يعود إلى هذه الغرف.

١٠. يصف له غرفًا أخرى على أنها السجن الحقيقي.

١١. ينتقل المجاهد إلى هذه الغرف التي وصفها العميل، فيجدها كما وصف، مما يعزز الثقة عنده بالذين بالغرف.

١٢. عند ذلك يبدأ المجاهد بالتعاطي مع هؤلاء، والذي هم في حقيقة أمرهم عملاء عصافير.

٤. قد يمثل العصافير دور غرف العار داخل الزنازين كما يلي:

أ. توجد زنازين واسعة نسبيًا في بعض مراكز التحقيق.

ب. يتم اقتياد المجاهد إليها ليجد نفسه أمام مجموعة من المعتقلين، ثلاثة أو أكثر.

ج. يمارس عليه هؤلاء دور العصافير في غرف العار في صورة مكشوفة، لإيهامه بأنه قد مرَّ على غرف العار.

د. بعد ذلك يؤخذ إلى غرف العصافير المعدة أساساً لخداعه.

(آليات المواجهة):

١. نؤكد على ما ذكر سابقًا في التعامل مع سكان الزنازين وأشخاص مرحلة التحقيق.

٢. آليات المواجهة في غرف العصافير سنأتي عليها في القسم الآخر في هذه الدراسة إن شاء الله -تعالى-.



المجاهد «صلاح» من إحدى قرى الخليل، اعتقل على خلفية نشاطات جماهيرية ودعوية في حركة حماس، وبعد اجتيازه بصمود كافة وسائل التحقيق في مركز تحقيق عسقلان، يوضع منفردًا لأيام في زنزانة، ثم ينقل إلى زنزانة أخرى يدعي ساكنها أنه مضى على اعتقاله خمسون يوماً دون أن يدلي بأية معلومة، ينجح هذا الشخص في كسب ثقة المجاهد، وسرعان ما يبدأ في تحذير مجاهدنا من غرف العار، يصف لمجاهدنا وصفاً دقيقاً عصافير المسكوبية، يومان يمضيان، يقتاد بعدها مجاهدنا إلى غرف عار المسكوبية، كل ما ذكره له شريكه السابق في الزنزانة يجده أمامه.

يعتمد عصافير المسكوبية الكشف عن أنفسهم بسلوكيات مفضوحة كالتهاون في أمر الصلاة، وسؤال مجاهدنا أسئلة صريحة عن قضيته، ضاق مجاهدنا بها ذرعاً بهم، بعد يومين يعاد إلى عسقلان وإذا بناصحه غير الأمين ينتظره في نفس الزنزانة... «أين كنت، وما الذي جرى معك»؟

أجاب المجاهد «صلاح» لقد كنت عند العصافير، لقد كشفتهم والحمد لله وانتهت

المحنة» قال له العميل: إذن لن تذهب إلى غرف العار مرة أخرى، وعليك أن تستعد الآن لتنتقل إلى السجن...ثم وصف العميل هذا السجن لمجاهدنا وصفاً دقيقاً ، أخذ المجاهد إلى هذا السجن، مرة أخرى يكتشف دقة وصف زميله السابق... أحكم العملاء الخطة في هذه الغرف، واطمأن إليهم أكثر.. لكنه يجد بينهم واحد من عصافير المسكوبية... لا ينتظر يهرول إلى الأمير يخبره بقصة عصفور المسكوبية... هناك عميل بينكم، لقد رأيته في المسكوبية»... يعلن المعتقلون حالة الاستنفار الأمني، ويخضعون ذلك العميل للاستجواب...

وكشكر وعرفان لحرص هذا المجاهد «صلاح» يعيّنه المعتقلون في جهاز الأمن، لكن بعد أن أخذوا منه كل شيء.. لم يكن هؤلاء المعتقلون إلا عصافير..

تحول مجاهدنا إلى عصفور دون أن يدري... ثم عينوه موجهاً أمنياً، ليوقع مجاهدنا وهو يظن نفسه يحسن صنعاً بالمجاهدين المنقولين إلى غرف العار... بعد أيام يرجع مجاهدنا إلى التحقيق، يجد كل ما خطت يداه أمامه، يصاب بانهيار عصبي..لم تكن المصيبة باعترافه فقط... وإنما بالذين اعترفوا على يده بعد تعيينه موجهاً أمنياً عند العصافير... وكم كانت المرارة كبيرة عندما قابل أحد ضحاياه في الزنازين... فهل من معتبر.

ومضات :

١. أخي المجاهد: إن العميل «العصفور» قد يرافقك منذ بداية محنتك، فقد تجده في سيارة الاعتقال أو على الحاجز، أو على المعبر، ثم إنك ستجده في الزنازين لإشعارك بمزيد من الاطمئنان.

٢. قد تجد العميل إلى جانبك وأنت على كرسي الشبح، أو في العيادة أو في طريقك إلى المحامي أو الصليب أو محكمة التمديد...!!!

٣. قد تجده في سيارة البوسطة عند نقلك من مركز تحقيق إلى آخر، أو عند نقلك إلى غرف العار...وهكذا ترى أنه مزروع في كل المواقف حاضر في كل اللحظات.. كأنه ظلك .... فماذا أنت فاعل؟

٤. قد تقول وما يدريني لعله معتقل حقيقي، ونقول لك نعم لعله كذلك... فليس هناك أي خيار سوى إما أن يكون عميل أو شريف... ولكن ... ما الذي يضطرك إلى المغامرة بمصيرك ومصير إخوانك.. وأسرار دعوتك وجعل كل ذلك في مهب الريح بناءً على الاحتمالات، هل هي لعبة يا نصيب..!! أم هو جهاد في سبيل الله -تعالى- وقضية ومصير...!!

٥. ثم لماذا تجعل نفسك عارية بلا أي خطأ لنكرة مجهول؟ تتعرف إليه للمرة الأولى في حياتك.

٦. ثم لو تيقنت أنه نظيف شريف، لمَ توسع دائرة المعرفة لما عندك..؟

ولم تحمل هذا الأخ أمانة لا يقوى على حملها..؟! أليس من الممكن أن يلقيها من

على كاهله على طاولة التحقيق تحت الضغط...!!

أوليس من الممكن أن يستغله عميل في الزنزانة فيفشي بما أسررته إليه..

٧. وبعد ذلك هل ننسى أنك لم تزل في قلب مركز التحقيق...؟! وأن هذه الزنازين وكل ما يتبع مكاتب التحقيق من مرافق مزودة بأجهزة التنصت والمتابعة...؟!

٨. مرة أخرى فلنعد إلى الأسئلة الأولى...

أسئلة النجاة والأمان:

أ. كيف أكون في مأمن وأنا لم أزل بعد في قلب مركز التحقيق...؟!!

ب. كيف أكون في مأمن وهذه الزنازين مزودة بأجهزة التنصت والمتابعة..؟

ت. كيف أكون في مأمن وهذه الزنازين تعج بكم من العملاء.. يتقنون أدواراً ترسمها لهم المخابرات ...يحققون بها ما لم تحققه مكاتب التحقيق وكراسي الشبح؟

٩. «وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم» وهل يكب المجاهدون في مستنقعات الندم إلا حصائد ألسنتهم في التحقيق والزنازين...؟!

<u>الباب الربع</u>

الباب الرابع

غرف العار

نشأة غرف العار: لقد ظهرت بوادر العملاء على شكل مجموعة صغيرة لأول مرة عام ١٩٧٢، وقد أنزلتهم الإدارة خوفاً عليهم، إثر مشكلة مع الشباب في السجن، ولكن الإدارة لم تكن تعطي لهم أي اعتبار سوى جمعهم في غرفة بعيدة عن المعتقلين، في أحسن الأحوال يتم تشغيلهم في مطبخ الشرطة، ولكن فكرة استخدام العملاء إلى جانب ضباط التحقيق كانت فكرة متأخرة ظهرت في أواخر السبعينات وبداية الثمانينات...

ولكن هذه التجمعات الصغيرة بدأت تزيد بشكل تدريجي عبر الاعتقال، وكانت الإدارة - إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية- توفر لهم الحماية، وتبعدهم عن أوساط الأسرى الأمنيين، ولم يكن للعميل له أي خبرة أو خصوصية، بل كانت قيمة العميل في حال هروبه إلى الإدارة كانت تساوي صفراً في ميزان مخابرات العدو... وقد كانت المخابرات أوكلت إليهم مهمة تخريب الواقع التنظيمي للأسرى، ولكن وعي الأسرى وحذرهم ويقظتهم، لم تعطِ للعملاء فرصة للنجاح في تحقيق حلم السيد الصهيوني، فباءت مخططاتهم بالفشل... وفي العام ٧٩-٨٠ ازداد بشكل كبير عدد العملاء الفارين من السجون الطالبين للحماية من قبل الإدارة، وكانت أهم المراكز التي يتجمع فيها العملاء الفارين هي الظاهرية، نابلس، عسقلان، جنين، غزة، وقد سميت هذه التجمعات بِ«غرف العصافير أو غرف العار» لأن المعتقلين كانوا يسمون الذين يهربون من العملاء بالعصافير، وعرفت حينها ظاهرة العصافير في أواخر السبعينات ١٩٧٨-١٩٧٩.

بدأت المخابرات تستعين ببعض العملاء لتنفيذ بعض المهمات لها داخل الزنازين بشكل بسيط، تمثل باستدراج شخص أو لسماع ما يقوله الشباب في التحقيق وينقله للمخابرات، وكان هؤلاء العملاء يدخلون بأسماء مستعارة حتى لا يعرف من هم، وكانت المخابرات تختار من العملاء الأذكياء القادرين على خدمتها، والذين يتمتعون بقدرات اجتماعية جيدة تمكنهم من جذب المعتقلين إليهم وخداعهم.

لقد أوجدت ظاهرة الفارين شكلين من العملاء، قسم عميل انحرف بشكل نهائي نحو الهاوية، وهو الذي يخدم في الزنازين وغرف العصافير، وقسم آخر يعيش في غرف منعزلة بعيدة عن المعتقلين ولا يخدم بالزنازين وغرف العصافير، لأسباب منها عدم ثقة المخابرات بهم أو عدم قدرتهم على القيام بالدور الموكل إليهم... وقد ازداد عدد هؤلاء بشكل ملحوظ بعد توقيع اتفاقية كامب ديفيد، وذلك عندما نزلت مجموعة قليلة إلى الإدارة وسمّت نفسها وادعت أنها مؤيدة للسلام بين العرب واليهود، وأرسلت رسالة إلى السادات يعلنون فيها تأييدهم لاتفاق السلام، وقد حاول هؤلاء العملاء

خداع بعض الشباب بأنهم ليسوا عملاء وأنهم مؤيدون للسلام مع إسرائيل، وحاولوا إثارة بلبلة حول ذلك... وقد كان للموقف الحازم من الحركة الأسيرة أكبر الأثر في ذوبان هذه الظاهرة وانصهارها كلياً.

وهنا بدأت فكرة تكوين غرف العصافير لاصطياد الشباب المجاهد وخداعه، بعد أن أثمر أسلوب العميل الفردي في الزنازين بتزويد المخابرات بمعلومات لم تكن تعرفها، ولهذا اتجهت إلى توسيع هذا النمط والاهتمام به أكثر وإعطاءه نوع من الأولوية ثم الصدارة في جلب المعلومات، ولهذا وضعت المخابرات خطتها لاستيعاب الفارين في مواقع رئيسية يتم تحرير السجناء الأمنيين عليهم على اعتبار أنهم معتقلون مثلهم، وخداعهم من أجل أن يصارحوهم بما لديهم من معلومات، وقد استفاد العملاء في تجربتهم في السجون في تقليد أنماط التعامل مع الأسرى، بالاستقبال وتقديم الاستبيان والجلوس مع القادمين الجدد من خلال المسؤول الأمني، حتى أصبح هذا السلاح هو الأمضى والأخطر في التحقيق، حيث يعطي نتائج إيجابية وبفعالية وبسرعة وبنسبة عالية جدًا، ومن يومها إلى اليوم والمخابرات الصهيونية على هذا الأسلوب وثماره المربحة.

■ لمحات عامة حول غرف العصافير:

المكان:

غالباً ما تلحق غرف العار «العصافير» بمراكز التحقيق، وخاصة المسكوبية وعسقلان والجلمة وغيرها وقد تكون في السجون التي لا توجد فيها مراكز تحقيق، مثل مجدو وبئر السبع وغيرها... ونحن هنا لا نحدد مكانها أو مواقعها في هذه السجون فقط، بل إن وجودها في كل مكان سواء، في مراكز التحقيق أو في السجون والمعتقلات، ومن الخطأ الجسيم أن نحدد موقعًا خاصًا بها في سجن معين، كأن نقول الغرف الشرقية في سجن مجدو أو القسم السفلي في سجن عسقلان أو الغرفة المنفردة في سجن المسكوبية، فنحن هنا نحاول وضع إطار عام، كما أنه يجب أن لا ننسى أن المخابرات تغير أساليبها باستمرار وتحاول تجديد أو إلغاء ما عرفه وكشفه المعتقلون.

الزمان:

ليس هناك من يستطيع أن يحدد الفترة التي يجب أن يقضيها المعتقل في التحقيق قبل أن ينزل إلى غرف العار وليس هناك وقت محدد بقضية المعتقل في هذه الغرف، فهناك من اعتقل ومكث ثلاثة أيام فقط في مركز توقيف عتصيون، ومن ثم أعطي إداري ومن هناك نقل مباشرة إلى سجن مجدو، ولكنه كان في غرف العصافير، وما نريده هنا أنه لا يوجد وقت محدد أو آلية محددة للنقل إلى غرف العار، وسنعرج على هذه الوسائل والآليات لاحقًا، كما أن هناك من مكث عند العصافير سبعين يوماً،

فليس صحيحاً أن المجاهد لا يمكث عند العصافير أكثر من عشرين يوم.

الشكل:

لا يستطيع أحد أن يعطي وصفًا خاصًا بغرف نستطيع من خلاله أن تميز هذه الغرف عن غيرها، فغرف العصافير هي صورة طبق الأصل عن غرف المعتقلين الشرفاء.

وأي تجديد لغرف المعتقلين يتم نقله مباشرة لتطبيقه في غرف العصافير حتى لا يستطيع أحد تميزها ... وكذلك الأمر بالنسبة لشكل العصافير الموجودين في الزنازين .أو غرف العصافير , فمن الخطأ القول أنهم جميعًا متدينون، وأن لهم لحىً طويلة, أو أنهم زعران ومشاغبين، أو أنهم جميعاً متفوقون أو عنيفون أو أن لهجتهم تدل على أنهم قرويون أو مدنيون أو من الشمال أو من الجنوب ... فالتغير والتجديد مستمر بشكل دائم فلا يعلق في ذهنك أخي المجاهد شكل أو تصور معين عنهم .

العدد :

لا يوجد عدد محدد لهم فربما كانوا قلة أو كثره ، ربما كانوا خمسة وقد يصلون إلى أربعين فلا عبرة بالعدد ولا يمكن حصرهم بعدد معين ، وما ينطبق على العصافير ينطبق على غرفهم فقد تكون غرفة واحدة وقد تكون عدة غرف، وقد يكون قسم خاص لهم «غرف+ مردوان+مرافق عامة...» وقد يكونون من نفس الفئة العمرية، ولن تتفاجأ إذا وجدت بينهم كبير السن الذي يوحي شكله بالوقار والهيبة، أو رأيت أشبالا في عمر الزهور ...

الانتماء :

ما ينطبق على الزمان والمكان والشكل والعدد ينطبق على الانتماء، فربما تجدهم كلهم مشايخ و مصلين، وقد تجد فيهم فتح والجهاد والشعبية وحماس وغيرها، نعم ستجد فروقًا مختلفة بين الفصائل، يطلقون عليهم اسم غرفة الوحدة، وقد تدخل إلى غرفة كل من فيها حماس، وربما دخلت إلى غرفة كل من فيها من فصيل آخر غير فصيلك، وبعدها يتم نقلك إلى غرف تنظيمك ...

.... إذن ليس هناك أي قاعدة تحدد من خلالها أنك دخلت إلى غرف العصافير، فليس هناك زمان ولا مكان ولا انتماء ولا شكل ولا عدد محدد نستطيع من خلاله التعرف عليهم، إلا أن هناك كلمة سر تستطيع من خلالها أن تتعرف إلى كل العملاء سواء كانوا في الزنازين أو غرف العصافير أو في السجون أو حتى خارج السجون، كلمة السر يجب أن تبقى حلقة في أذنك «أنه ليس من حق أي مخلوق في السجن أن يسألك عن أمور لم تعترف عليها، سواء كان هذا السؤال بالتصريح أو بالتلميح ، وكل من يفعل ذلك عليك أن تضعه في دائرة الشك حتى لو كان هذا الشخص هو الشيخ المجاهد محمود الزهار.»

■ أساليب العملاء في غرف العصافير:

١. الاستقبال:

بعد أن يكون المجاهد قد تلقى المعلومات الزائفة أثناء فترة تواجده في الزنازين سبق أن ذكرنا ذلك بالتفصيل في باب تهيئة المجاهد لمرحلة «العصافير» - يتم نقله إلى غرف العصافير التي منذ لحظة وصوله إليها يبدأ بمقارنة ما لديه من معلومات حصل عليها من الزنازين وبين ما يراه أمام عينيه وعلى مسمع أذنيه داخل هذه الغرفة، ونظرًا لأن المجاهد ونتيجة للضغط النفسي والجسدي الذي يعيشه في الزنازين وكذلك وضع الحرمان من أشياء أساسية للمعيشة مثل الطعام، الشاي، القهوة، رؤية الشمس، الحركة، الجلوس مع آخرين يحدثهم ويتحدثون معه.. هنا عند لحظة وصوله إلى هذه الغرف التي لا يعرف أنها غرف »عصافير« ويظن أنها السجن يبدو وكأنه حقق حُلمًا كبيرًا بأن يكون قد ترك هذا الوضع الذي كان يعشيه في الزنازين والذي نلفت الانتباه إلى أنه مبرمج ومدروس جيدًا من قبل مخابرات العدو، وأنه في داخل الزنازين لا يوجد شيء بالصدفة، وأن كل شيء معد بشكل دقيق لما يخدم أهداف المخابرات بالحصول على الاعترافات وسرعان ما ينبعث الهدوء في نفس المجاهد الضحية، ويبدو سعيدًا بأنه نزل أخيرًا إلى السجن، لدرجة أنه في حينها لا يفكر إلا بنفسه، ولا يفكر أبعد من أنفه، ولإبقائه على ما في نفسه من غشاوة تأتي عملية استقباله داخل السجن «غرف العصافير»... فعندما تدخل إلى الغرفة يستقبلونك بترحاب شديد، وبكلمات المديح والفخر بك، لأن اللقاء الأول دائماً له تأثير في النفس، وهذه قضية علمية، ولهذا يبذلون في خدمتك كل جهدهم، وهذا يجعلك أمام الاستقبال الكبير والخدمات الجليلة التي يعدونها لك ومساعدتك في كل شيء وترتيب ملابسك وسريرك، كل هذا يجري لأن له ثمنه ووقعه في النفس، ثم يجلس كل من في الغرفة معه لاستقباله والتعرف عليه... ثم يجري تعريف المجاهد على نظام الغرفة الإداري، ونظام السجن وطبيعة الحياة التي يعيشها الأسرى بكل جوانبها، واهتماماتهم وأوقات الهدوء التي يستغلونها للمطالعة...ولكن هذا النظام أو الأسلوب الذي تقابله ليس شرطاً أن يكون هو نفسه في كل مواقع العملاء في السجون بل إن لكل موقع طريقة وأسلوبًا ، ولكن العرض الأساسي للاستقبال والترحيب والتعريف بالمعتقل وتقاليد الأسرى كلها واحدة...وحتماً ستجد المسؤولين في غرف العصافير شخصيات ليست سهلة، فهي تحظى بِكَمٍ كبير من المعلومات عن المعتقلين والسجون، كما يحظون بثقافة عامة كبيرة سواء كانت سياسية أو أمنية أو اعتقالية... وهم يتحدثون في كل المجالات وينفذون دورهم في المسرحية بإتقان، حسب ما رسمته لهم المخابرات، وستجد أن لهم موجه عام، ومسؤول أمن، وأمير غرفة ومسؤول طعام، ومسؤول ثقافي، وآخر رياضي..الخ، باختصار إنهم يتقمصون حياة

الأسرى الأمنيين تماماً، من أجل أن تثق بهم وتصدق أنهم شرفاء وأنك في غرف السجن وصولاً إلى هدفهم وهو المعلومات التي لديك.

وهناك أشكال أخرى للاستقبال، نذكر بعضها هنا، ليس على سبيل الحصر:

١. مجاهد لحظة وصوله إلى غرف العصافير يتم استقباله بالترحاب على أنه مناضل ومجاهد عريق، وأنهم - أي العصافير- سمعوا عن وجوده في الزنازين، وأنهم على أحر من الجمر بانتظار قدومه عندهم، وأن هناك توصية بخصوصه من الخارج بأن يتم الاهتمام به، ويتم تركه لمدة قد تكون عدة أيام دون أن يكلموه أو حتى أن يسأله أحد عن قضية، وأحيانًا يتم تركه لأكثر من أسبوع، وبعد أن يكونوا متأكدين بأنه ابتلع الطعم، يأتي إليه الأمير -المزعوم- ويجلس معه باسم ما يعرف باللجنة الأمنية التي عليها أن تعرف عنه كل شيء من أجل طمأنة الأخوة في الخارج.

٢. مجاهد يتم تعيينه بعد دخوله إلى غرف العار شاويشاً للغرفة أو موجهًا أمنيًا أو أي منصب آخر، وذلك نظراً للثقة العالية التي يوليها له مستقبلوه، وسيبدأ هذا المجاهد بممارسة مهامه كشاويش لدرجة أنه يعين مسؤولًا عن استقبال الأخوة الجدد، ونتحدث عن ذلك بالتفصيل في مكان آخر من هذه الدراسة.

٣. مجاهد لحظة دخوله غرفة «العصافير» يلاحظ أن هناك عملية تحقيق مع شخص في الغرفة، ويتم إفهامه أن هذا الشخص عميل، وذلك بناءً على معلومات وصلتهم من الخارج، وتخيل ماذا يدور في وجدان المجاهد وتفكيره، هذا الأسلوب فيه تلويح بطريقة «العصا والجزرة» علمًا بأنه أيضاً لمزيد من تضليل المجاهد وإفهامه أنه فعلًا بين مجاهدين لا يمكن أن يسكتوا على خائن عميل.

٤. مجاهد لحظة دخوله يتم إفهامه أن السجن يخوض إضرابًا عن الطعام لمدة يوم أو يومين، وذلك ضمن سعيهم لتحسين الشروط الحياتية أو الاحتجاج على ممارسة قامت بها الإدارة، ويتم شرح ملابساتها المزيفة لهذا المجاهد الذي سرعان ما يبدأ بابتلاع الطعم.

٥. مجاهد آخر يتم إنزاله في البداية إلى الساحة «الفورة» في قسم العصافير، حيث يتم الاصطفاف على محيط الساحة لاستقباله استقبالًا حارًا كما هو متبع في السجون الحقيقية، ثم يمكث بعدها لعدة أيام في نهايتها تكون النتيجة أن يبتلع المجاهد الطعم ويعتقد أنه في جو صحيح.

٦. أسلوب آخر يلجأ إليه العملاء فحينما يدخل المجاهد إلى القسم الذي يتواجد به عدد من المعتقلين على رأسهم شاويش القسم الذي يتعامل مع الإدارة ويتحدث معها حول أمور وحاجيات القسم، وأمير القسم والموجه الأمني الذي يمثل دور الواعظ لك بأن لا تتحدث مع أحد في قضيتك أو عن تنظيمك، ويحذرك من كتابة أي شيء حول القضية وأن ذلك ممنوع منعاً باتاً، وأنه يسمح لك بالحديث فقط مع أمير القسم

دون الكتابة، وذلك من أجل تسوية قضيتك أو وضع الأخوة في الخارج في الصورة، ليقوموا بدورهم بإصلاح الخلل الذي حدث وإنقاذ ما يمكن إنقاذه... وهذا الأسلوب سنتحدث عنه بإسهاب في سطورنا القادمة.

٢. إقناع المجاهد بأنهم معتقلون:

يسعى العملاء داخل الغرفة بممارسة دور فيه نشاط يخدم هدفهم في أن تثق بهم وتسلم بأنهم أسرى شرفاء، وهذا يظهر في الاستقبال والتعاون وشرح القوانين وأعراف السجن، وكذلك استخدام الأسماء المستعارة، وهناك وسائل كثيرة لكسب ثقة المجاهد وإقناعه بأنهم معتقلون نجملها بالآتي، ولكن قبل أن تعرض هذه الوسائل تذكر بأن كسب ثقة المجاهد هي أهم خطوة يقوم بها العصافير، فهي مفتاح المعلومات التي تريدها المخابرات...

١. قد تجد عددهم كبيرًا، ويشكلون قسمًا، من عدة غرف، وليس بالضرورة أن يكون جميعهم عصافير بل قد تكون هناك غرف سجناء مدنيين، ونقصد بذلك أن كثرة عدد المعتقلين ووجود قسم كامل قد يوحي للمجاهد بأنه في سجن حقيقي وهذا من عوامل زرع الثقة.

٢. غرف العصافير في العادة نظيفة ومرتبة، وهذا بعكس ما قد يعتقده المجاهد من أن غرفهم قذرة يعيش بها أوباش وقذارة المجتمع، وهذا يعطي انطباعًا للمجاهد بأنهم معتقلون.

٣. ستجدهم ملتزمين تنظيمياً، ولهم قوانين صارمة ويحافظون على الآداب واللوائح الاعتقالية، فيثق بهم المجاهد.

٤. ينتحلون أسماء مناضلين ومجاهدين، سمع بهم المجاهد، لكنه لم يرهم، وستسمع منهم أنهم ذوو تاريخ جهادي وماضٍ وطني عريق، فمن خلال الكلام معهم سيبدأ كل واحد منهم بسرد تاريخه النضالي... وفترة حكمه الطويل...ومعنوياته العالية.. وبذلك تثق بهم الضحية.

٥. منعه من الكلام في قضيته حتى وإن أراد هو الكلام..؟!!! فينصحه أحدهم بأن لا يتكلم مع أحد إلا مع الموجه الأمني، فالحيطان لها آذان، وعندما يرى الضحية حرصهم على منعه من إعطاء معلومات فإنه يثق بهم لأن العصافير عادة ما يسارعون إلى اصطياد كل كلمة يتفوه بها الضحية حسب ما يتصوره هذا الضحية.

٦. التدين الواضح وكثيرًا ما يجعلون الدين ستارًا لعملهم المشين.

٧. إعطاء الثقة الكاملة للضحية، وذلك بالمديح أو باطلاعه على بعض الأسرار، وبذلك يظهرون له ثقتهم وهو سيبادلهم ثقة بثقة.

٨. الجلسات التنظيمية: فقد يقومون بعمل جلسات حركية أو تحاليل سياسية أو نقد ونقد ذاتي، وقد تدعى الضحية للمشاركة في جلسات النقاش والحوار وإبداء

الرأي، ورؤية الجو التنظيمي والجلسات، يعطي الضحية نوعًا من الثقة لهؤلاء المناضلين!

٩. يضاف إلى الجلسات التنظيمية، وجود كراسات تنظيمية بشتى أنواعها، حتى الكراسات التي تتحدث عن العصافير، وفي العادة تكون هذه الكراسات من تلك التي تصادرها الإدارة في حملات التفتيش في السجون الحقيقية... وقد يرى الضحية بعضهم يقوم بنسخ كراسات جديدة، وكل هذا يعطي المعتقل جوًا من الثقة بأن هؤلاء معتقلون حقيقيون.

١٠. الخدمة المتناهية والاحترام الكبير، فتجد بعضهم يقدم لك الشاي والآخر قهوة، ملابس، بابوج، ترتيب برش...وهذا الدور يؤدي إلى احترام متبادل وثقة عمياء من الضحية الساذج وبالتالي..؟!!!!

١١. الحديث عن نضالات الحركة الأسيرة ومعاناة السجناء، وإضراب ال ٣٠ يومًا وشهداء حرب الأمعاء، وستجدهم يتكلمون بحرارة وثقة كأنهم أصحاب قضية عادلة وهذا الحديث يجعل الضحية تتفاعل معهم وتشعر أنهم أبطال مجاهدين يقفون أمام الإدارة الصهيونية بكل قوة وصلابة.

١٢. وجود مخدوعين داخل العار، وهو فخ رهيب مارسته المخابرات مع الكثير من الضحايا، فوجود إنسان شريف كان معك في الزنازين يؤدي دورًافي زرع الثقة في نفس الضحية، وقد حدث لمرات كثيرة أن كان عدد المخدوعين في إحدى غرف العصافير أكثر من عدد العصافير أنفسهم.

١٣. انتحال ألقاب الهيئات التنظيمية في السجون... فهذا موجه لجنة ثقافية، وهذا موجه لجنة رياضية، وهذا أمير، وهذا شاويش، وهذا موجه أمني، وهذه الهيئات تؤكد للضحية أنه يعيش في كنف معتقلين حقيقين.

١٤. هناك الكثير من أساليب زرع الثقة لم نذكرها ونترك لعقولكم الكبيرة التفكير فيها.

٣. الموجه الأمني:

بعد مكوث المجاهد عدة أيام، قد تمكث يومًا وقد تصل إلى ٢٠ يومًا أو أكثر، يأتيه الموجه العام أو المسؤول الأمني ليجلس معه بشكل فردي، ويبدأ بالحديث مع المجاهد بشكل فردي عن أهمية الإفادة التي يكتبها القادم الجديد، وما الذي يستفيده منها السجن، فمن خلالها يتابعون موضوع العملاء، وهي طريقة تشكل سياجًا أمنيًا يقي الحركة والمجاهد والمعتقل من إمكانية تسلل العملاء، وتصون الجسم الاعتقالي من الضعف والاختراق، ولهذا فهم يأخذون من كل مجاهد جديد يأتي إليهم من الضعف والاختراق، ولهذا فهم يأخذون من كل مجاهد جديد يأتي إليهم كل الاعترافات التي أدلى بها لدراسة الضربة وفهم أي خلل في العمل... ويطلبون منه كذلك الأمور

والأشخاص الذين لم يعترف عليهم من أجل تحذيرهم، وتبليغ الحركة عنهم، حتى تبقى الحركة على تواصل معهم وتكون في صورة الأمر، ويسأله الموجه إذا كان عبر تجربته السريعة لديه إرشادات وتوجيهات للقيادة حول ما جرى معه أو ما سمع ورأى خلال فترة التحقيق.

ويتم أخذ الاعتراف من المجاهد بعدة طرق هي:

أ. الكتابة، وذلك بأن يعطي الموجه الأمني للمجاهد مجموعة من الأوراق أو دفترًا ليكتب المجاهد كل ما حصل معه في التحقيق، وما لم يعترف عليه، والإرشادات والتوجيهات التي يرغب بتوصيلها للقيادة.

ب. أن يقوم الموجه العام أو المسؤول الأمني بالكتابة ويوقع المجاهد على ما كتبه العميل خاصة إذا كان المجاهد لا يجيد الكتابة.

ت. إذا وجد أن المجاهد حذر ويرفض الكتابة يكتفون منه بالسماع حيث يسمع منه المسؤول الأمني أو الموجه العام من أجل أن تهدده المخابرات بقانون »تامير« إذا رفض التوقيع، ويكون الشاهدان هما الموجه العام والمسؤول الأمني، واليوم تلجأ المخابرات إلى أسلوب تسجيل اعترافات الضحية بدل أن يكون الموجه الأمني هو الشاهد.

كيف تواجه هذا الأسلوب:

أ. واعلم أيها المجاهد -حفظك الله تعالى ورعاك- أنه لا يوجد في السجون من يحق له أن يسألك على ما لم تعترف عليه، حتى لو كان هذا الشخص هو الأمير العام أو الموجه الأمني أو مسؤولك في الخارج أو حتى أكبر مسؤولي حماس، فإذا كان هؤلاء لا يحق لهم أن يعرفوا ما لم تعترف به، فكيف بنكرة مجهول تضع عنده أسرارك وأسرار دعوتك؟

ب. إذا كنت تعمل في إطار التنظيم فهو يعني أن التنظيم يعرف كل ما تقوم به من أعمال جهادية، لأن التنظيم هو من كلفك بذلك، إذن فلمن تكتب أو تصرح بما قمت به من أعمال، هل لكي تصل إلى التنظيم؟ التنظيم يعرف ذلك... إذا لم يكن بحاجة لأن تكتب أو تصرح بما قمت به فالمستفيد الوحيد من ذلك هو المخابرات.

ت. قد تقول أنك لست ابن التنظيم لذلك لا أحد يعرف ما قمت به، وأنك تريد أن تذكر ما قمت به من أجل أن يتم قبولك في هذا التنظيم، ونحن نقول أن الأصل أن يكون عملك خالصا لوجه- الله تعالى- وليس من أجل تنظيم حتى تطلعه على أسرارك، ثم إن السجن ليس مكان استعراض بطولات فأنت في أي لحظة قد تعود إلى التحقيق.

٤. الرسائل المفخخة:

قد لا تفلح الطريقة المباشرة السابقة في إقناع المجاهد بأن يعترف للموجه الأمني بما لديه، لذلك تلجأ المخابرات إلى طرق التفافية عبر الحيل والخداع، وأساليب

الخداع هنا كثيرة، سنذكرها تباعًا، ولعل أهمها وأخطرها هو ما اصطلح على تسميته بالرسائل المفخخة... فما هي الرسائل المفخخة...؟

هناك شكلان لهذه الرسائل:

أولاً: رسائل وهدايا الأصدقاء.

في زيارات الأهل عادة ما تقوم إدارة السجن بمصادرة بعض أغراض المعتقلين مثل الأشرطة والكتب والحلويات والملابس وغيرها، وتستخدم المخابرات هذه الأغراض المصادرة لتقوم هي بدورها بإرسالها إلى المحققين في غرف العصافير على أنها هدايا من أصدقائهم، وعادة ما ترفق الهدية برسالة تطمينية للمجاهد في غرف العصافير بأنه عند إخوانه، وعليه أن يتعاون معهم، وذلك من أجل أن يطمئن المجاهد بأنه في السجن الحقيقي.

يقول المجاهد «ممدوح»: نزلت إلى غرف العصافير في سجن مجدو، ومنذ لحظة دخولي، شككت أني عند عصافير، ولم أتفاعل معهم، وقلت لهم إني أريد أن أنتقل إلى قسم الخيام عند أقربائي وأهل بلدي، فقالوا لا بأس بذلك سننقلك ولكن عليك أولاً أن تنهي الحالة الأمنية، وفعلًا عند المغرب جاء إليّ من قال أنه الموجه الأمني، وطلب منّي بعد حديث طويل على انفراد أن أكتب قصتي بالكامل فقلت له ليس عندي أي شيء فقال: نحن نعلم أنك لم تعترف ولكنك الآن لست في التحقيق بل عند تنظيمك وعليك أن تخبرهم بقصتك... رفضت ذلك بشدة، قال لي الموجه الأمني: يبدو أنك خائف ولكن لا بأس بعد أن تثق بنا ستتغير نظراتك...

بعد هذا الحديث بثلاثة أيام جاءتني عدة هدايا من قسم الخيام، وذلك بعد أن عاد أحد العصافير الذي قال أنه كان في الخيام، وأن هذه الهدايا أرسلت من ابن عمي في قسم «٥» وكذلك من أصدقائي، وكانت الهدايا عبارة عن أشرطة وكتب وبعض الحلويات والملابس، وكذلك كانت هناك رسالة من ابن مجموعتي، كان مكتوبًا فيها كلام يطمئنني على صحته ويطمئن على صحتي، ويزكي لي الشباب الذين أنا عندهم، ويطلب منّي أن أنهي الحالة الأمنية حتى أستطيع الانتقال إلى الخيام.

شككت أن الخط ليس خط ابن مجموعتي، لذلك رفضت التعاطي مع العصافير بأي شكل، وفي اليوم التالي جاء رقمي لزيارة الصليب وعندما خرجت لزيارة الصليب وجدت الشرطة بانتظاري، حيث قاموا بتقييدي وإعادتي إلى التحقيق..

بعد انتهاء التحقيق معي تم نقلي إلى سجن مجدو، وهناك وجدت أقربائي وأبناء مجموعتي وسألتهم عن الأغراض والرسالة التي وصلت إليّ وأنا في غرف العصافير، فقالوا أنهم لا يعرفون عن ذلك، وأن هذه الأغراض قد فقدت منهم في وقت الزيارة..

ثانياً: الرسائل التنظيمية:

وهذا النوع من الرسائل أخطر من النوع الأول، حيث تصل المجاهد رسالة تنظيمية مغلقة على شكل كبسولة أثناء وجوده في غرف العصافير، تُهنئه فيها بالسلامة، وتطلب منه أن يكتب ويشرح طبيعة عمله في الخارج، وأن يرشدهم إلى أماكن الأسلحة إن وجدت، حتى تستطيع الحركة استخدام هذا الأسلحة، وأن يخبرهم عن أبناء مجموعته حتى يتمكن التنظيم من الاتصال بهم لمواصلة مشوارهم الجهادي، ولتحذيرهم من أساليب المخابرات والعصافير... وتختم هذه الرسالة بختم حركة المقاومة الإسلامية -حماس- أو ذراعها العسكري كتائب الشهيد عز الدين القسام... ومن يرى هذه الرسالة سيخيل إليه من الوهلة الأولى أنها رسالة تنظيمية رسمية فهكذا يوحي شكلها.



يقول أحد المجاهدين: «اعتقلت على إثر ضربة كبيرة في منطقتنا طالت الكثير من عناصر الحركة وكان ذلك على إثر عملية إطلاق نار على سيارة مستوطنين قتل فيها مستوطنٌ واحد، وقد نقل عدد كبير منا إلى التحقيق، أثناء التحقيق معي الذي دار حول نشاطي في حماس، اعترفت على أنّي منظم في حماس، وقمت بفعاليات مثل رشق حجارة وتعليق أعلام ورايات وإغلاق شوارع...إلخ، بمعنى أن كل قضيتي كانت تصل إلى سنة سجن المهم أنه بعد عشرين يومًا تم نقلي إلى سجن مجدو، مكثت عشرة أيام لم يسألني فيها أحد عن قضيتي، لذلك اطمأننت أني لست عند العصافير... بعد يوم من ذلك - أي في اليوم الحادي عشر - جاءني أمير الغرفة وأعطاني سيجارة، فقلت أنا لا أُدخن، فقال: أنا أعلم ذلك، ولكن خذ هذه وافتحها فهي من التنظيم، أخذت السيجارة وفتحتها ووجدت بداخلها كبسولة أي رسالة مغلقة على شكل كبسولة الدواء... فتحت الكبسولة فإذا هي رسالة من الجناح العسكري للحركة... كانت الرسالة مختصرة من بضعة كلمات أولها ثناء على صمودي في التحقيق، وثانيها أني وصلت عند إخواني في السجن، وأن عليّ التفاعل معهم، لكن دون ثرثرة في قضيتي، والموضوع الثالث هو أن التنظيم تعرض لضربة قاسية بعد حملة الاعتقالات وتقطعت أغلب خيوط الحركة لذلك فهم يطلبون منّي أن أكتب كل ما أعرف عن الحركة حتى نستطيع ربط الخيوط من جديد... وختمت الرسالة بختم كتائب القسام وحركة حماس.

قرأت الرسالة وفهمت أن الوضع التنظيمي في الخارج أصبح حرجًا لذلك أخذت دفتر وقلم وبدأت أكتب... كتبت في البداية أكثر من ٨٠ صفحة فيها أسماء شباب حماس الذين أعرفهم، ونشاطاتهم في حماس، وكذلك كتبت لهم عن مخزن أسلحة فيه حوالي ١٣ قطعة سلاح، وكذلك اعترفت على ٦ من أعضاء القسام غير المعروفين، والأدهى أني اعترفت على أربع عمليات، آخرها تلك التي اعتقلنا على أثرها كتبت

كل ذلك لأني كنت همزة الوصل بين التنظيم العسكري والمطلوبين المكشوفين، لأني آخر من يُشَك أن له علاقة بالجهاز العسكري، كل ذلك وأنا أظن أني أعيد وصل الخيوط التنظيمية مع بعضها... سلمت الرسالة لأمير القسم ليخرجها إلى الخارج بطريقته... بعد أسبوع جاءتني رسالة أخرى وهي استفسارات عن ما كتبته، أجبت عن هذه الاستفسارات وتذكرت ما كنت قد نسيته في المرة الأولى، سلمت الرسالة للأمير، وعند العصر جاء رقمي لزيارة المحامي... عندما خرجت لزيارة المحامي، كانت الشرطة بانتظاري، قيدوني ووضعوا الكيس في رأسي ثم أخذوني إلى المسكوبية لأجد هناك كل ما كتبته في الرسالة الأولى والإيضاحات والاستفسارات...إلخ، عندما شاهدت ذلك أغمي عليّ، عندما استفقت أدركت أن كل شيء قد انتهى، وبالفعل كان كل شيء قد انتهى فقد اعتقل الأخوة الستة الذين اعترفت عليهم، واستشهد ابن عمي المطلوب، لأني اعترفت على القرية التي كان يختفي فيها حيث قاموا بحملة تفتيش من بيت لبيت حتى وصلوا إليه، وخاض معهم اشتباكاً واستشهد، أما الناجي الوحيد من اعترافاتي فقد كانت قطع السلاح التي سارع بعض المطلوبين لنقلها...

المحصلة كانت شهيد وأنا وثلاثة أخوة آخرين حكمنا بالسجن المؤبد أربع مرات، عدد المعتقلين وصل إلى ٦٣ معتقلاً وهدمت ثلاثة منازل.

فهل من مدكر؟؟!!

توجيهات وإرشادات لمواجهة هذا الأسلوب:

١. ليست كل رسالة أو هدية تصلك هي من أقربائك، وأصدقائك فالمخابرات بإمكانها أن تزوّر الرسائل أو أن ترسل لك أي شيء على أنه هدية من أصدقائك في السجن وذلك لتطمينك أنك في السجن... ونحن نقول إن وجودك حتى في السجن الحقيقي، لا يسمح لك أن تثرثر بالمعلومات التي تملكها فهي أمانة ستسأل أمام الله -تعالى- عنها. فكيف بك وأنت في سجن لا تعرف فيه أحدًا إلا أولئك الرعاع الذين يقومون بدور العصافير، إن الرسائل التي تصلك على أنها من التنظيم هي محض خدعة، الأصل أنها لا تدخل عليك، فهل تظن أن المخابرات عاجزة أن تزور رسائل باسم التنظيم، أم أن الختم الموجود على هذه الرسائل جعلك تثق أنها من التنظيم..؟! من قال لك إن التنظيم يستخدم أختامًا في رسائله؟ ثم من قال: إن المخابرات تعجز عن تزوير الأختام التنظيمية؟ إذا كان هناك أختام تنظيمية أصلاً إذا كان بمقدور الأشخاص العاديين أن يزوروا الرسائل والأختام فكيف بجهاز المخابرات الإسرائيلية.

٢. هناك العديد من الخدع والحيل التي في الأصل لا تنطلي إلا على الجهلة، نذكر

بعضها ونحجم عن الآخر، ولتعلم أن السعيد من اتعظ بغيره والشقي من اتعظ بنفسه.

٣. من ذا الذي يضع أسرار دعوته في مقابل قصاصة من ورق تصل من صديق مزعوم أو من تنظيم موهوم...؟ من ذا الذي يفعل ذلك إلا أحمق...؟

٥. المدة الزمنية الطويلة:

بعد أن أصبحت قضية العصافير قضية معروفة ومفضوحة لأغلب أبناء شعبنا المجاهد، ونظراً لأن هذه الأغلبية تعلم أن المجاهد لا يمكث عند العصافير إلا بضعة أيام، فقد عمدت المخابرات إلى أسلوب جديد ألا وهو طول مكث المجاهد في غرف العصافير.



يقول المجاهد «وليد»: ذهبت إلى غرف العصافير وعندما دخلت إلى الغرفة شككت أنهم عصافير، وقلت في نفسي سيأتي الآن الموجه الأمني أو المسؤول أو الأمير ويطلب منّي الحالة الأمنية، فأنا قد درست عن العصافير دراسة جيدة، المهم أن الأسبوع الأول قد انتهى وكذلك الثاني دون أن يطلب منّي أحد الحالة الأمنية، وفي الأسبوع الثاني بدأت أتحرر من مخاوفي بأني عند العصافير، إذ لو كنت عند العصافير لكان اتضح لي ذلك من خلال أسئلتهم واستفساراتهم بينما هؤلاء لا يسألون عن أي شيء... وفعلاً بدأت أتفاعل معهم وأعاملهم على أنهم إخواني، وأنهم معتقلون حقيقيون، وانفتحت مغاليق لساني، وتحررت من القيود التي كنت أضعها على نفسي لأني عند العصافير.. وبدأت أثرثر فيما يجب أن يكون أسراراً، عند ذلك توجه إليّ أمير الغرفة وطلب مني عدم الثرثرة وإن كان عندي ما أريد قوله فالأصل حسب الأعراف التنظيمية أن أتوجه بالحديث إلى الأمير وليس إلى الشباب، بعدها توجهت إلى الأمير وأخبرته كل قضيتي دون أن يسألني عن أي شيء، فقد رأيت فيهم مثال الشباب الملتزم المتدين الحافظ لدينه ودعوته، ثم إني مكثت عندهم أكثر من ٥٣ يومًا فهل يعقل أن أكون عند عصافير...؟؟ قطعاً لا...!! ولكن وقع المحذور وانتبهت أني كنت عند العصافير، لكن بعد فوات الأوان، إذ اكتشفت ذلك وأنا في الشبح على كرسي التحقيق بعد دعوتي من غرف العصافير التي مكثت فيها ٥٨ يوماً متواصلاً.

ونحن إذ نسوق هذا المثال المؤلم لنؤكد على أن فترة مكوثك عند العصافير لا تحدها فترة أو زمنًا، فهي ليست محصورة بعشرين يوماً، وإن كانت الحالات التي تتجاوز ذلك قليلة... ونضيف إلى ذلك أنك حتى لو كنت في السجن الحقيقي فكيف تسمح لنفسك أن تفشي أسرار دعوتك وإخوانك...؟!

٦. استخدام الضحية بدور العميل:

عندما يدخل المجاهد إلى غرفة العصافير فإن أول أمر يحاولون القيام به هو زرع الثقة بهم في نفس المجاهد، فإن نجحوا في ذلك فسيكون باستطاعتهم أخذ المعلومات

والاعترافات من المجاهد، ولكن في بعض الأحيان لا تتوقف الأمور عند ذلك بل تتطور بأن يوضع المجاهد الغافل في إحدى المرافق التنظيمية، وخاصة شاويش أو أمير الغرفة، فيصبح في نفس دائرة العصافير من حيث لا يدري ويقوم هو بالدور نفسه الذي يقوم به العصافير، فتراه يرحب بالقادمين الجدد ويتعرف عليهم ويتمسى معهم بحكم كونه أميرًا أو شاويشًا للغرفة ثم تتطور الأمور فيطلب منهم -أي القادمين الجدد- أن يكتبوا قصتهم واعترافاتهم والأمور التي لم يعترفوا عليها... نفس الأمور التي يطلبها العصافير... كل ذلك ومجاهدنا الضحية يظن نفسه يخدم دعوته وإخوانه ولكنه في الحقيقة يخدم ثلة الصراصير ومن خلفهم جهاز المخابرات...

ولكن لماذا يلجأ العصافير والمخابرات لهذا الأسلوب...؟؟!!!!

لا شك أن أي خطوة يقوم بها العصافير هي نتاج أمر من المخابرات، والمخابرات لا تقدم على أي خطوة إلا بعد دراسة وتمحيص للأهداف المرجوة من هذه الخطوة...وعندما تنجح المخابرات في وضع أحد المجاهدين الغافلين في موقع تنظيمي داخل غرف العصافير، وخاصة موقع الأمير والشاويش فإنها تحقق:

١. إعطاء الثقة للقادم الجديد، فعندما يأتي المجاهد إلى غرفة العصافير ويجد فيها فلان من الناس أو الأخ أو الشيخ هو من يطلب منه معلومات عن قضيته وعن ما لم يعترف عليه... لا شك أن قبول ذلك أسهل من أن يأتي من شخص غريب لا تعرفه.

٢. تحطيم نفسية المجاهد الذي يسقط في هذا الشرك.. نعم قد يقع المجاهد في حيل وخدع العصافير وربما سيغفر ذلك لنفسه.. لكنه أبدًا لن يغفر لنفسه ولن يسامحها إذا ما كان هو السبب في اعتراف آخرين، خاصة إذا كانوا من أصحاب الأحكام العالية..ولن يستطيع النظر في وجوه الناس إذا علموا أن هذا الأخ هو السبب في اعتراف عدد من المجاهدين.

٣. زرع الخلافات والنزاعات العائلية على خلفية هذه الاعترافات، فليس من السهل على أهل المعتقل في الخارج أن يستوعبوا فكرة أن ابنهم كان ضحية لخدعة مخابرات طالته كما طالت من أخذ منه الاعتراف.

«إبراهيم» كان أحد الشباب المجاهد المتميز مكث مطارداً أكثر من سنتين، وشاءت إرادة الله-عز و جل- أن يقع في الأسر، وفور اعتقاله نقل إلى مركز تحقيق المسكوبية، وهناك كان بانتظاره طاقم كبير من المحققين، مارسوا معه شتى أنواع التحقيق، العسكري.. النفسي.. الجسدي، ومضت الأيام دون أن يكون عنده أي اعتراف بعد ثلاثين يوماً أخرجوه إلى مكتب التحقيق ليخبروه أن التحقيق معه انتهى وأنه سينتقل إلى سجن عسقلان لأن قضيته كبيرة، نزل بعدها إلى ضابط الشرطة الذي أخذ بصماته وإفادة إنكار.. بعد يومين نقل مجاهدنا «إبراهيم» إلى سجن عسقلان، وهناك وجد كل ترحاب واستقبال من الشباب في السجن، كان واضحًا من ملابسهم

البنية أنهم في سجن مركزي، عاملوه بكل احترام وثقة، وبادلهم هو ذات الشعور، طلبوا منه أن يكتب للتنظيم عن جهاده وسلاحه وإخوانه في الخارج حتى يتم الاتصال بهم وإخبارهم أنه لم يعترف عليهم، وفعلًا كتب إبراهيم كل ما يعرف عن نفسه وإخوانه... يقول إبراهيم بعد أن سلمت الورقة التي فيها اعترافي لأمير الغرفة، أحسست بخوف داخلي فأنا لم أعتد أن أكتب أي شيء لأحد، ثم إن هذه الورقة قد تسقط في يد المخابرات أثناء محاولة إخراجها للخارج، ولم يكن في ذهني أبدًا أن هؤلاء قد يكونون عصافير.. وقلت في نفسي إن كان هناك أي خلل سيعيدونني إلى التحقيق خلال ثلاثة أيام... مضت الأيام الثلاثة والأسبوع الأول دون أن يحدث شيئًا، عندما اطمأن مجاهدنا تمامًا أنه في أيدٍ أمينة، وأنه في السجن بين إخوانه... بعد أن أمضى عشرين يومًا في الغرفة، أظهر خلالها همّة ونشاطًا ونظرًا لتاريخه الجهادي المعروف تم تعيينه أميرًا للغرفة، ووافق هو على ذلك بسرور...

بدأ مجاهدنا «إبراهيم» مهامه أميرًا للغرفة، يستقبل القادمين الجدد، ثم تطورت الأمور، فأصبح يأخذ الإفادات من القادمين الجدد، ويقنعهم بضرورة أن يكتبوا كل ما يعرفوه حتى يراجع التنظيم خطة العمل في تلك الفترة، ليقف على الأخطاء التي كانت فيها، ومن ثم إعادة بناء بينة تنظيمية جديدة إثر ضربة السور الواقي واجتياح الضفة... وفعلًا أخذ العشرات من الإفادات من الشباب، وفي ذات مرة قدم إلى الغرفة المجاهد «عصام» وهو صديق حميم لإبراهيم، بعد مكوث عصام ثلاثة أيام، توجه إليه إبراهيم طالبًا منه أن يكتب إفادته، استهجن عصام ذلك وقال له: لا بد أنك مجنون، أنت من العصافير... صعق إبراهيم من أقوال عصام إلا أنه أصر على أنهم شباب شرفاء وأنه يعرفهم أفضل من عصام كونه عاش عندهم فترة طويلة...

شرح عصام لإبراهيم الخدعة وأنه يقوم بدور العصافير بعد أن سمع إبراهيم ذلك وتأكد منه أُغمي عليه من هول ما فعل، فهو قد أخذ إفادات عشرات الشباب ثم أن من بين الاعترافات التي أخذها اعتراف خالد والذي اعترف على عملية قتل... عندما أغمي على إبراهيم تم إخراجه إلى العيادة، ولكنه لم يعد إلى الغرفة التي كان فيها بل عاد إلى زنازين المسكوبية ليقر بكل اعترافاته وهو تحت وقع الصدمة... خرج «إبراهيم» إلى سجن عسقلان، ولكن هذه المرة السجن الحقيقي ليشاهد هناك الضحايا الذين أخذ اعترافاتهم ولتختتم هذه القصة المؤلمة بالحكم على إبراهيم بالسجن ٣٧ عامًا وليحكم على خالد بالسجن المؤبد مرة واحدة، وليكون مجموع أحكام من أخذ إفاداتهم ١٥٠ عامًا.

﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾.

■ وهنا أخي المجاهد نود أن نقول الآتي:

١. لا تثق بأحد داخل السجن حتى لو كان هذا الشخص هو أبوك أو أخوك أو مسؤولك، فأنت لا تدري ماذا حدث معهم، وما دمت في السجن فأنت ستكون تحت سمع وبصر جهاز المخابرات وعملائه، نحن لا نشكك بأحد، لكن خدع المخابرات أصبحت كثيرة ولا تحصى، لذلك يخشى أن يكون من تثق بهم جزءًا من خدعة هم لا يعرفون عنها كما حدث مع مجاهدنا إبراهيم.

٢. تذكر دائمًا أن السجن ليس المكان الصحيح لاستعراض البطولات.

٧. استخدام زملاء الزنازين وأبناء المجموعة في الخديعة:

لا شك أن المجاهد والإنسان أيًا كان اتجاهه يميل إلى الثقة فيمن عاشوا معه أيام المحنة خاصة رفاق الزنازين والتحقيق، لذلك لجأت المخابرات إلى استغلال هذه الثقة لنصب فخاخها للإيقاع بالمجاهدين، وقد تحدثنا في نقاط سابقة أنه وبعد انتهاء المجاهد من كتابة اعترافه في حال تم خداعه فإنه سيكون أمام أحد خيارات ثلاث:

الأول: أن يعاد إلى التحقيق مباشرة ليواجه باعترافاته، وليكملوا التحقيق معه في مراكز وأقبية التحقيق.

الثاني: أن يُخدع ويوضع مسؤولًا في مرفق تنظيمي، وهذا تحدثنا عنه في النقطة السابقة «الضحية بدور العميل».

الثالث: وهو ما سنتحدث عنه، ويتمثل في إبقاء الأخ المخدوع عند العصافير دون أن يكون له أي دور تنظيمي، فقط يبقى ليكون عامل زرع ثقة بين نفوس القادمين الجدد خاصة ممن عاشوا في التحقيق والزنازين...

فقد تدخل أخي المجاهد إلى غرفة العصافير وتجد فيها ابن مجموعتك أو ابن بلدتك أو من تعرفت عليه ووثقت به في التحقيق، نعم قد تجدهم هناك وسيحضونك على أن تكتب إفادتك كما كتبوا، هم وسيصرون على أنك تعيش في السجن الحقيقي بين أحضان إخوانك وتنظيمك، ليس ذلك لأنهم أصبحوا مشبوهين -لا سمح الله- وإنما هم مخدوعون واهمون استغفلتهم الصراصير في تلك الغرفة، وأبقوهم عندهم ليكونوا عنوان ثقة لمن يأتي إليهم.



يقول المجاهد «زكريا» بعد أن أنهيت التحقيق تم نقلي إلى سجن الجلمة، دخلت إلى الغرفة فكان بداخلها ثلاثة من أبناء مجموعتي، كانوا قد سبقوني إلى هذه الغرفة بحوالي أسبوع وكم كانت فرحتي عظيمة عندما شاهدتهم، فالإنسان يأنس بمن يعرف فكيف إذا كانوا أقرباءك وأبناء مجموعتك، بعد مكوثي يومين جاء إليّ الموجه الأمني وطلب مني الحالة الأمنية في السجن ، رفضت طلب أبي الوليد الذي كان يقوم بدور الموجه الأمني، غضب الموجه لذلك ولكنه تركني وذهب.

جاء إليّ أبناء مجموعتي وقالوا لي: لا بد أن أبا الوليد تحدث معك بخصوص الحالة الأمنية، قلت لهم: نعم، فقالوا: لم نرك تكتب أي شيء، فقلت لهم: لماذا أكتب؟ ألم نتعلم في الخارج أنه يمنع أن نكتب الأسرار التنظيمية لأي أحد، وأن كل من يطلب منك أن تخبره بما لم تعترف عليه فهو عميل...أليس كذلك؟؟ قالوا: نعم، ولكن أبا الوليد شيء آخر، فهو إنسان متدين إلى أبعد الحدود، وهو محبوب ومتفاعل ومتفانٍ في خدمة إخوانه، ثم إنه رجل واصل في التنظيم، وهو أحد القادة في الجناح العسكري، وهو طيب إلى أبعد الحدود، وشكله يوحي بأنه ابن حلال، أنظر إلى وجهه كيف يشع نوراً..؟! قلت لهم: حسنًا، اسمعوا لي كما سمعت لكم... تقولون أن أبا الوليد هذا إنسان متدين، حسنًا، ومن لا يستطيع تصنّع التدين؟ فكل واحد حتى لو كان يهودياً يستطيع أن يدعي حفظ القرآن وأن يبقى حاملًا للمصحف طوال النهار، وأن يصوم النهار ويقوم الليل، أفلا يستطيع عميل القيام بهذه المسرحية، قالوا: نعم يستطيع، قلت: إذن أتركونا من موضوع أنه متدين، فهذا الأمر لا يسمن ولا يغني من جوع، أما تفانيه وتفاعله في خدمة إخوانه فلا يعدو كونه دورًا مسرحيًا عليه القيام به وإلا عاتبته المخابرات، أما قولكم أنه واصل في التنظيم فهذا محض أوهام، فنحن لا نعرف الرجل في الخارج، وهو ليس من مدينتنا، فكيف نعرف أنه قائد؟ فكل إنسان يستطيع أن يدعي أنه قائد أو مسؤول ما دام لا يعرفه أحد، أما شكله الذي يوحي بأنه طيب ووجهه الذي يشع نورًا، فهذا كلام لا يأخذ به إلا السفهاء والأغبياء، فمن ذا الذي يضع مستقبله ومستقبل إخوانه بين يدي شخص شكله يوحي بأنه طيب؟!!

قالوا لي: إذن أنت تشك أنهم عصافير؟ قلت لهم: أنا لا أشك أنا متأكد قالوا: فبماذا تفسر أنه مضى على كتابتنا للإفادة أكثر من خمسة أيام ولم يتم إعادتنا للتحقيق؟ أفهمتهم أن هذه خدعة من خدع العصافير بوضع أبناء المجوعة في نفس الغرفة حتى يطمأنوا أنهم في السجن وتزول الشكوك لديهم ومخاوفهم من كونهم عند العصافير.

اكتشف إخواني الخدعة ولكن بعد فوات الأوان، وفي اليوم التالي أعادونا جميعًا إلى التحقيق لنحصد نتاج ما زرعته يد أبناء مجموعتنا، سنوات من أعمارنا خلف القضبان.

أخانا المجاهد، نعلم أنك قد مللت من كثرة ما قلنا لك، لا تثق بأحد داخل السجن أو بالتحديد في داخل التحقيق، وهنا نؤكد أنك تستطيع أن تتأكد من أنك أنهيت التحقيق بنزولك إلى السجن، والسجن هنا ليس غرفة أو اثنتين أو ثلاث إنما أقسام السجن بها في الغالب أكثر من مئة معتقل، سواء في المعتقلات أو في السجون المركزية ثم بنزولك محكمتين على الأقل تشاهد فيها محاميك وأهلك، وتتأكد أنك قد أنهيت التحقيق واضحك والعب كما تشاء، ولكن لا تفرط بأسرارك، فالثقة ليست بالبوح بالأسرار للأغيار، ومن يطلب أن تكون أسرارك عربون الثقة بينكما فاعلم أنه عميل كائنًا من كان.

٨) استخدام البلفون أو وسائل الاتصال:

بعد انتشار البلفونات في كل السجون ومعرفة الناس في الخارج بذلك أصبح كل من يأتي إلى السجن يطلب أن يتحدث مع أهله بل إن كافة التنظيمات تعطي المعتقل الجديد فور وصوله إلى السجن بلفون يطمئن أهله وذويه على سلامته، ولما كانت المخابرات تسعى لمحاكاة الواقع الاعتقالي في السجون ونقل كل جديد فيه إلى غرف العار فقد عمدت إلى إدخال البلفونات إلى غرف العصافير، ولكن ذلك يكون في أضيق الأطر، ففي الغالب لا يوجد في غرف العصافير بلفونات، والسبب في ذلك كما يقولون أنهم معبار إلى السجن، وفي المعبار لا يمكث المجاهد فترة طويلة إنما فترة قصيرة لإنهاء حالته الأمنية، وبعدها ينقل إلى السجن، وهناك يستطيع أن يتحدث كما يشاء، وسيقولون لك بقدر سرعتك في إنهاء الحالة الأمنية فإنك تسرع في عملية نقلك إلى السجن.

ولكن رغم محدودية استخدام البلفونات إلا أن هناك حالات عديدة حاولت المخابرات الإيقاع بها عن طريق البلفونات، وتبدأ اللعبة ضد المجاهد من خلال جلب جهاز بيلفون، ويطلبون من المجاهد أن يتصل بأهله أو أبناء مجموعته إذا رغب بذلك، وهم يحاولون إيهامه أن أمر الاتصال يدور بشكل سري حتى لا تعرف الإدارة أو يحصل تفتيش والعصافير يصورون الأمر للمجاهد على أنه صعب، هناك خطر كشف مكان إخفائه، وهم يجلبون هذا الجهاز من أجل أن يتصل المجاهد بأهله وترتاح نفسيته ويتكلم مع عائلته أو أبناء مجموعته، ومن خلال اتصال على أبناء مجموعته يتعرفون عليهم ويكون المجاهد بذلك جسر العبور نحو أبناء مجموعته.

لكن الأخطر هو استخدام هذه البلفونات من قبل المجاهد للاتصال ببعض المطلوبين سواء لتحذيرهم أو لإبلاغهم بما دار معه في التحقيق وكم من مأساة حصلت من وراء ذلك.



وإليكم هذه القصة التي سطر أحرفها بدماء عدد من المجاهدين، كانوا ضحية اتصال هاتفي من قبل أخ لهم في السجن، وإليكم التفصيل: سائد مناضل فلسطيني ينتمي لأحد فصائل منظمة التحرير، التحق بالعمل النضالي والمقاومة في هذه الانتفاضة «انتفاضة الأقصى» وكان دوره ينصب على مساعدة المطاردين، وتأمين أماكن اختفاء لهم، وتزويدهم مما يحتاجون إليه من مواد تموينية وعسكرية وغيرها....

اعتقل ذات مرة على أحد الحواجز الطيارة التي نصبت له، أخذ مباشرة إلى التحقيق «بيتح تكفا»، وكان التحقيق يدور حول موضوع المطاردين، أنكر أية صلة له بالمطلوبين، لكنه تحت الضغط اعترف أنه قدم مساعدة لهم ذات مرة، وإنه الآن لا يعرف مكان تواجدهم... تظاهرت المخابرات باقتناعها بأقواله، وأنهوا قضيته، وحولوه إلى الاعتقال الإداري في سجن مجدو نظرًا لأن القضية بسيطة، والمساعدة للمطاردين كانت لمرة

واحدة فقط، نقل مناضلنا سائد إلى مجدو، وهنا وجد الاستقبال الحافل الذي يليق بمناضل مثله، وفي نفس اليوم الذي وصل فيه مناضلنا غرفة العصافير، وبعد أن أخذ قسطًا من الراحة توجه إليه أمير الغرفة والذي كان يسمى موجهًا وطلب منه الحديث معه على انفراد، خرج سائد والموجه إلى الفورة، وأخذ بالتمشي، قال الموجه لسائد: لقد اتصل علينا الأخوة في الخارج وهم يهدونك السلام وقد طلبوا منا أن نسألك إن كان بإمكانك الاتصال على الأخوة المطلوبين للتأكد من سلامتهم، وهم يطلبون منك أن تعرف على مكانهم حتى يتم الاتصال بهم من جديد، وتأمين احتياجاتهم لأنه بعد اعتقالك انقطع الاتصال بهم نهائيًا.

عندما سمع سائد هذا الكلام تيقن أنه في السجن الحقيقي لأن هذه المعلومات حول موضوع المطاردين لا يعلمها إلا التنظيم، ولم يعلم صاحبنا أن هذه المعلومات زودتهم بها المخابرات. المهم أن سائد اتصل على المطلوبين وكانت مشيئة الله-تعالى- أن يردوا الأخوة المطلوبين على هذا الاتصال، تحدثوا لدقائق قليلة ولكن انقطع الخط بسبب التشويش على حد زعم موجه الغرفة.

بعد أقل من ساعتين من هذا الاتصال، كانت قوات الاحتلال تحاصر إحدى قرى محافظة نابلس ومن ثم قامت بقصف وتفجير المنزل، تبين فيما بعد أن بداخله ستة مناضلين استشهدوا جميعاً وكان الأمر يمكن أن يكون عادياً، غير أن هؤلاء الشهداء الستة هم الذين اتصل عليهم مناضلنا سائد، حيث إن خط البلفون الذي اتصل منه في غرفة العار كان مراقابا وما أن تم تحديد موقع المطلوبين حتى قامت قوات الاحتلال باغتيالهم، ونترك لكم تصور حالة مناضلنا سائد بعد أن علم أنه كان السبب في استشهاد هؤلاء المجاهدين.

حتى لا تسقط أخانا المجاهد في ذات الشرك فعليك إتباع التوجيهات التالية:

١) إذا ما قدم لك البلفون لتتصل، سواء كنت في غرفة عصافير أو في غرفة سجن حقيقي، فعليك الاتصال بأهلك فقط ولا تحاول أن تتصل بأي من أصدقائك إذا كانت سلامتهم تهمك.

٢) جميع البلفونات سواء كانت في غرف العصافير أو في السجون الحقيقية مراقبة وتحت سمع المخابرات لا يمكن أن تتحدث بكلمة من دون أن تستمع إليها المخابرات.

٣) حديثك مع أهلك عبر الهاتف لا يعني أنك خارج غرف العصافير وإذا ما تحدثت مع أهلك فلا تزد أن تطمئنهم على صحتك وسلامتك واطمئن عليهم كذلك.

٩) استخدام القرآن:

يستخدم العصافير القرآن الكريم كمادة مهمة في تطويق ومحاصرة المجاهدين من أجل نفي الشك وطرده من قلبه اتجاههم في جو روحاني وهادئ، يهدف إلى خلق ثقة جديدة معهم، وهذا يتحقق عندما يشك المجاهد فيهم، وينظر إليهم نظرات

فيها ريبة وترجس أو يعبر عن ذلك تلميحًا أو تصريحًا، حينها يتم أخذ المجاهد في جلسة فردية وجانبية وفي جو من الهدوء و الرجاء والخشوع يتسم فيه العصافير للأخ المجاهد أنهم سجناء مثله وشرفاء، وهم يحبونه، ثم يطلبون منه الطريقة التي تقنعه ببراءتهم وأنهم ليسوا عصافيرًا، ثم يقولون له نحن نعاهد الله -تعالى- ونعاهدك على الصدق والأمانة، وأن تكون لنا أخًا كريمًا وقريبًا إلى قلوبنا، وأن تكون لنا بالمثل، وانظر أخي في وجوهنا هل هذه عصافير؟؟ ثم يحضرون القرآن ويقولون له «لن يكون هناك حديث» والمقصود هنا بالحديث هو اعترافاتك إلا والقرآن موجود بيننا يعاهدونك على كتاب الله -تعالى- أن لا تصل الأوراق التي تكتبها أو القصة التي يسمعونها منك إلا إلى أهلها أي التنظيم ويضعون أيديهم على المصحف الشريف ويقسمون على ذلك، ويطلبون منك أن تضع يدك على المصحف وأن تقسم بأن تقول الصدق وأن تبقى جنديًا وفيًا لهذه الدعوة، ويقولون علينا عهد الله - تعالى - وميثاقه وعلى ذلك يقرؤون الفاتحة، ولا ندري هل الفاتحة تقرأ على الميت أم غيرها...!!

ويساعد هؤلاء العملاء في تنفيذ مسرحيتهم بساطة الأخ المجاهد وقلة خبرته بمثل هذه الألاعيب، ولذلك يتعاطى مع كلامهم بسهولة بسبب الجو الديني الذي يخلقونه وحالة الصراحة التي يظهرها هؤلاء الأوباش معه، وعدم امتلاكه أدلة واضحة رسمية للقول أنهم عملاء، وإنما هو حذر وريبة طبيعية لشاب خارج من التحقيق، ويسمع عن العصافير، فالعملاء يسعون لأداء دورهم بإتقان وتجربة وخبرة معتمدين على معلومات عن المجاهد من قبل المخابرات، ومعرفة بشخصيته بهدف خلق حالة من الثقة مع المجاهد، تساعدهم في تمرير كافة المشاهد المسرحية عليه حتى النيل منه وتحقيق هدفهم بالوصول إلى معلومات وسحب الاعتراف منه.

وهنا يا أخي المجاهد دعني أذكرك أن أية ورقة تسجل فيها اعترافك على نفسك وعلى إخوانك هي بمثابة شهادة وفاة لك، ليس شهادة بالموت إنما بوفاة عقلك وضميرك شهادة بأنك مغفل وأحمق شهادة ... بأنك لا تستحق الثقة من إخوانك لأنك بعت أسرارهم عند أول محك بدافع حب الثرثرة وحب الظهور... هذا معنى أن تكتب إفادتك عند العصافير، أما الخروج منتصراً مرفوع الرأس قد هزمت شرذمة العملاء، فإن ذلك سيسجل لك في صفحات الجد وستذكر بالخير أينما حللت ورحلت.

فاختر لنفسك أي الطريقين تسلك ولا تقل خدعني الأوباش فأنت ابن دعوة سطرت في صفحات المجد بمداد من نور ودم بطولتها وثبات أبنائها فلا تكن أضعف وأوهن الأبناء بل كن صخرة صلبة عصية على الخداع وعصية على الانكسار.

١٠) مسرحية الغرف المحروقة:

تملك مخابرات العدو الصهيوني أكثر من موقع يتمركز فيه العملاء العصافير الذين يعملون كطواقم مهمة يساعدة للمخابرات في سحب الاعترافات من المجاهدين، لذلك تستفيد المخابرات من هذا التعدد في مراكز العملاء في خططها ومؤامراتها على المجاهدين، ولعل أهم المراكز المعروفة كغرف للعصافير هي المسكوبية، عسقلان، بيتح تكفا، مجدو، الجلمة، بئر السبع.

ولكن ما هي مسرحية الغرف المحروقة؟

إمعانًا في محاولة المخابرات وخداع المجاهدين خاصة ذوي المستوى المتقدم منهم من قيادات وكوادر، تلجأ المخابرات إلى إنهاء التحقيق مع هؤلاء ثم تقوم بإرسالهم إلى أحد أقسام العصافير، وهناك تطلب المخابرات من العصافير أن يقوموا بحركات وتصرفات تؤكد لهذا المجاهد الذي قدم إليهم أنهم عصافير، مثل التكاسل عن الصلاة، والصلاة دون وضوء، مشاهدة البرامج الخليعة على التلفزيون، الحديث مع الإدارة «إدارة السجن» بشكل ملفت للنظر إلى آخره من التصرفات التي ما أن يشاهدها المجاهد حتى يوقن تمامًا أنه عند عصافير، لذلك عندما يطلبون منه الحالة الأمنية سرعان ما يرفض إعطاءهم إياها...بعد أن يمكث المجاهد أسبوعًا أو أقل أو أكثر عند هؤلاء العصافير المكشوفين، يتم إعادته إلى مكاتب التحقيق مرة أخرى ويسأله ضابط المخابرات أين كنت؟ ولماذا أعادوك إلى التحقيق؟ ألم تكن في السجن؟؟؟ كل ذلك حتى يتأكد المجاهد تمامًا أنه كان عند العصافير، بعد جولة أو جولتين يعاد المجاهد إلى الزنازين، وهناك سيجد سجيناً آخر في الزنازين هو في حقيقته عميل، بعد أن يمكث لعدة أيام يدور خلالها الحديث عن التحقيق والعصافير، سيخبر صاحبنا هذا العميل بأنه ذهب إلى العصافير وذلك لاستيضاح الأمر من هذا العميل الذي سيدعي أنه سجين سابق وأنه قد ذهب إلى العصافير أكثر من مرة.

وهنا يستغل هذا العميل ذلك المجاهد للفخ الجديد الذي تنصبه له المخابرات، سيقول ما دمت قد ذهبت إلى غرفة العصافير وكشفتهم، فقد انتهى الأمر ولن يعيدوك إلى العصافير مرة أخرى، وإمعانًا في الخداع يقول: إذا ذهبت إلى سجن كذا ويسمي اسم السجن الذي تخبره المخابرات أنها ستنقله إليه- ستجد هناك الشيخ فلان أو الهمام وهو صديق قديم لي ومحكوم بالمؤبد، قل له أن فلا «العميل» يهديك السلام، وطمئنه على صحتي، وأنني بخير، وقل له أن يستوصي بك خيراً، ويشرح هذا العميل للمجاهد كثيرًا عن حياة السجن ونظامه وقوانينه وطبيعة غرفه وأقسامه، ويقول له ستذهب بداية إلى المعبار ثم بعدها تنقل إلى السجن.

وما أن تمضي عدة أيام على حديث مجاهدنا مع «العميل»، حتى يتم نقل المجاهد إلى السجن، وبالصدفة سيكون نفس السجن الذي حدثه عنه العميل، ويبدأ المجاهد

يقارن بين ما سمعه من السجين السابق صاحب التجربة الطويلة وبين ما يراه، وسيجد أن كل ما حدثه عنه زميل الزنزانة موجود بالضبط، - والأجمل من ذلك أن الشيخ فلان الذي حدثه عنه الصديق في الزنزانة- موجود في نفس غرفة مجاهدنا، وهذا ما يزيده ثقة أنه في السجن، طبعًا مجاهدنا سيوصل سلامات زميله في الزنزانة إلى هذا الشيخ وسيطمئنه على أحواله وصحته، ورويداً، رويداً يجد المجاهد نفسه في جو لا مكان للشك فيه، فشتان بين هذه الغرفة وغرفة العصافير، هذه الغرفة منضبطة، أغلبهم يقوم الليل، ويصوم الاثنين والخميس، ويحفظ القرآن، ولا يشاهدون في التلفاز إلا نشرات الأخبار، هذا بالإضافة إلى أن هناك جلسات تنظيمية عن المستجدات السياسية وعن العصافير والتحقيق وغيره.

في مثل هكذا جو يثق المجاهد بمن يعيش معهم، فهو قد اجتاز مرحلة العصافير والتحقيق، وهو الآن في السجن الحقيقي لذلك يرى أنه من الضروري التحرر من تلك القيود الأمنية التي كانت على كاهله أثناء التحقيق، وما أن يأتيه المسؤول الأمني أو كبسولة من التنظيم تطلب منه أن يكتب كل ما يعرف، حتى يسارع لذلك دون أن يكون لديه أدنى شك، فهو بالتأكيد يخدم دينه ودعوته، ولكن للأسف سيكتشف بعد فوات الأوان أن كل ما جرى هو مجرد مسرحية من إخراج المخابرات فهي من طلبت من العملاء في المرة الأولى أن يكشفوا أنفسهم للمجاهد، وهي من أرسل عميل الزنازين لتهيئة المجاهد للمرحلة الثانية، وهي من رسمت خطة الإيقاع به في المرة الثانية.

ومع تأكيدنا أن هذا الأسلوب هو غاية في المكر والخديعة إلا أننا نقول للمجاهد أن سبل الوقاية والعصافير هي هي سواء، ذهبت إلى العصافير مرة أو مرتين أو ثلاث مرات، سيبقى العلاج هو ذاته، أسرارك ملك لك وحدك، ومن يطلب منك أن تطلعه عليها هو خائن، والثقة لا تعني أن أضع ما استأمنني عليه إخواني ودعوتي في جعبة من لا أعرف أصله وفصله، هذه هي أسلحة النجاة لك من غرف العار، وليكن في حسابك دائمًا إنك ربما تمر بمرحلة أو اثنين أو أكثر من مراحل العصافير، فاحزم أمرك أن لا تفرط بسرك، وإلا بقيت بقية سنيّ عمرك خلف القضبان.... والمخابرات لا تترك طريقة من طرق الخداع الموجودة إلا وتستخدمها مع المجاهد حتى تسحب منه الاعتراف، وعليه هو أن يكون على مستوى عالٍ من الوعي والإدراك لأساليبهم، فلا يقع في براثنهم حتى يعود إلى بيته منتصرًا بإذن الله-تعالى-

١١) الزعيم الملثم:

قد تفشل أساليب المخابرات السالفة الذكر، مثل الحلف على القرآن والرسائل المفخخة والموجه الأمني وغيره في إقناع المجاهد بأن يكتب اعترافاته في غرف العصافير، لذلك تلجأ المخابرات إلى أسلوب جديد هو ما نسميه بالزعيم الملثم أو الزعماء الملثمين.... وما يميز هذا الأسلوب عن سابقته هو عدم طلب الزعيم من

المجاهد أن يكتب أي شيء، وأن ما يدور هو نقاش واستفسار حول قضيته كلها من ألفها إلى يائها.

وتبدأ هذه الخدعة بتهيئة المجاهد للجلوس مع أهم شخصية تنظيمية على حد زعمهم، وستكون هذه الشخصية ملثمة لما يجب أن تحاط به هكذا شخصيات من سرية تامة، وقد يكون هذا الزعيم أكثر من شخص، فيقول لك العصافير أنك ستجلس مع مجلس الشورى الأعلى أو مع اللجنة الأمنية أو....الخ من المسميات التي لا تغير في كونهم يقومون بنفس الدور للوصول إلى ذات الهدف، وهو ما تملكه من معلومات، ويوهمون المجاهد أنهم حريصون على عدم كشف هؤلاء المسؤولين وسبب حرصهم هو الظروف الأمنية والاعتقالية التي تحيط واقع المعتقلين، وهم يهدفون من وراء كل ذلك إلى خلق حالة ضخمة للقاء حتى تنطلي هذه الحيلة على المجاهد، ويقع في هذا الشرك.

وحين يذهب المجاهد إلى لقاء الزعيم الملثم فإنه يجده وحده أو كما أسلفنا مع مجموعة، جميعهم ملثمون، يجلسون في العادة إلى طاولة أعدت لهذا الغرض، ثم يبدأ الحديث مع المجاهد ليضعهم في صورة ما حصل معه وصورة قضيته، وكل ما يتعلق بشؤون الدعوة والعمل، وهو يشرح لهم وهم صامتون لا يتكلمون، ويسمعون له بإصغاء شديد، ويحضر هذا اللقاء دائمًا إما موجه الأمن الذي سبق أن عرفك على نفسه أو أمير الغرفة وهو الأغلب، يكون دور الأمير في هذا اللقاء حلقة وصل بين المجاهد وبين الزعيم أو الزعماء الملثمون، وإذا ما أراد الملثمون توجيه أي سؤال للمجاهد فإنهم يهمسون في أذن الأمير والذي بدوره يقول للمجاهد إن الأخوة يريدون منك أن تحدثهم حول القضية أو الحادثة الفلانية، ويبقى المجاهد جالسًا معهم حتى ينتهوا من جميع أسئلتهم واستفساراتهم، وعند ذلك ينهون اللقاء بإحدى طريقتين.

الأولى: هي أن ينتهي اللقاء بطلب من الملثمين حيث يتم إخراج المجاهد إلى الفورة كي لا يشاهد الملثمين وهم يخرجون من الغرفة.

الثانية : وهي أن يقوم الملثمين أو الملثم بكشف لثامه أمام هذا المجاهد، عندها سيصعق المجاهد حين يشاهد أن الذين تحدث إليهم ما هم إلا ضباط المخابرات الذين كانوا يحققون معه.

يقول أحد المجاهدين خضعت لتحقيق شديد حول مسؤوليتي عن حركة المقاومة الإسلامية حماس في قريتين، وكنت عاهدت الله-تعالى- خلال التحقيق أن لا أتحدث بأية كلمة للعدو حول دعوتي وإخواني، ما حدث بالفعل، فقد تحملت كل أشكال التحقيق لمدة تزيد عن العشرين يومًا، بعدها يئست المخابرات من انتزاع أي معلومات مني فأخبروني إنه تم تحويلي إلى الاعتقال الإداري لمدة ستة أشهر، حيث تم نقلي

إلى سجن مجدو قسم الغرف، وبعد عدة أيام من وصولي إلى غرف مجدو جاءني موجه الأمن للقسم كما عرف على نفسه، وطلب مني أن أتحدث حول قضيتي، وأن نناقش أحوال القرية إثر غيابي عنها، رفضت ذلك وقلت له: إنه لا علاقة لي بأي وضع في القرية، وإنه خلال التحقيق لم تكن عندي قضية، وعبثًا حاول أن يقنعني بالكلام. بعد ذلك بيومين جاء إلي أمير الغرفة، وقال لي: إن الأخوة في مجلس الشورى الأعلى قد طلبوا لقائي، وأخذ في تهيأتي لهذا اللقاء حيث أخبرني أن الأخوة في مجلس الشورى الأعلى لا يأتون إلا لمقابلة الشخصيات القيادية، وأنهم يأتون ملثمين خوفًا من أن تتعرف عليهم القاعدة، لأن ذلك سيعني قمعهم من السجن، وافقت على هذا اللقاء، وتم تحديد موعد في اليوم التالي في موعد الفورة وفي اليوم التالي طلب أمير الغرفة، من جميع الموجودين في الغرفة، الخروج إلى الفورة وبعد ذلك بعشر دقائق ناداني الأمير إلى داخر الغرفة، وذهبنا إلى زاوية الغرفة، حيث كان يوجد المطبخ، وهناك رأيت رجلاً ملثماً بالكوفية الفلسطينية وبجانبه شخص آخر يغطي وجهه بقناع، وكانا يجلسان خلف طاولة الطعام، أشار إليّ الذي يعتمر الكوفية بالجلوس على كرسي وضع خصيصًا لي، جلست عليه، وطلب مني أمير الغرفة الذي كان يقف إلى جانبي أن أتحدث إلى الأخوة بكل ما أعرفه من معلومات عن الدعوة منذ لحظة التحاقي بصفوف الجماعة الدعوية، رفضت ذلك، وقلت لهم: إن كان لديهم أسئلة محددة فإني سأجيب عليها فقط، عند ذلك أشار الذي يعتمر الكوفية لأمير الغرفة فتقدم منه وطلب منه أن يسألني عدة أسئلة، لم أكن أسمع صوت الملثم، والذي كان يسألني هو أمير الغرفة، أجبت على أسئلته بنوع من التحفظ وفي نهاية اللقاء، وبعد أن أدليت ببعض المعلومات قام هذا الملثم الذي يعتمر الكوفية بنزع لثامه، لأكتشف أنه ضابط المخابرات المسؤول عن ملفي في التحقيق، وعندها أصبت للحظة بالدوار ثم استجمعت قوتي وهجمت عليه، ولكن أمير الغرفة والملثم الآخر منعاني من ذلك وطرحاني على الأرض، ثم قاموا بتقييدي وإعادتي إلى مركز التحقيق.

هذه هي قصتي مع الزعيم الملثم، والحمد لله-تعالى- كانت خسائري فيها قليلة إلا أنني أعرف من سيقضي عمره خلف القضبان نتيجة الخدعة.

١٢) الاستبيان الاعتقالي:

خلال سعي المخابرات الحثيث لانتزاع المعلومات من المجاهد في غرفة العار فإنها حرصت كل الحرص على أن يكون الواقع داخل غرف العصافير يحاكي تمامًا واقع المعيشة والظروف الاعتقالية في غرف المعتقلين الحقيقين، ولعل من آخر ما ابتدعته هذه الأيدي الآثمة الخبيثة هو الاستبيان الاعتقالي.

فكما هو عبارة عن مجموعة من الأسئلة العامة التي تشبه الاستمارة، والتي من

خلال الإجابة عليها تتمكن اللجنة المتخصصة في دراسة الاستبيان من وضع تقييم أولي، والوقوف على أي خطأ أو خلل قد يكون هو السبب وراء اعتقال المجاهد. ولكن ما يميز الاستبيان الاعتقالي الحقيقي عن المزيف الموجود في غرف العصافير (العار) هو:

١) الاستبيان الحقيقي يكون بصيغة عامة، ويقدم لجميع المجاهدين بنفس الصيغة دون وضع أي أسئلة خاصة بالقضية التي اعتقل من أجلها المجاهد.

٢) جميع أسئلة الاستبيان الحقيقي حول ما اعترفت عليه، إن كان عندك اعتراف، ولا يطلب منك الإجابة على أي سؤال لم تقدم فيه اعتراف... إذن فكل ما يطلب منك في الاستبيان الحقيقي هو تقديم المعلومات التي أعطيتها للمخابرات. لإخوانك حتى يتسنى لهم معرفة ودراسة الأسباب التي تقف خلف الاعتقال وأسباب انكشاف أمر المجاهد.

أما الاستبيان المزيف الخاص بغرف العار فهو يسعى للحصول على المعلومات التي لم يعترف عليها المجاهد عند المخابرات، وذلك تحت حجج واهية، مثل تحذير الأخوة وتأمين الأغراض واستمرارية الجهاد والعمل...إلخ من الحجج التي لا تنطلي إلا على مغفل.

ولعل أفضل تشبيه للفرق بين الاستبيان الحقيقي والمزيف، هو ما قاله أحد المجاهدين أصحاب التجربة: هو أن الاستبيان الحقيقي هو شهادة ولادة للمجاهد لأنه يعني الوقوف على أخطائه والتعلم منها ومنعًا لتكرارها... أما الاستبيان المزيف فهو شهادة وفاة لأنك ستقضي سني عمرك خلف قضبان السجن الظالم أهله.

١٣) الاستدراج عبر حلقات الدردشة:

هذا الأسلوب كثيرًا ما تلجأ إليه المخابرات خاصة مع أصحاب السوابق ممن لديهم معرفة بالأبجديات الاعتقالية، ويعتمد هذا الأسلوب على نقطتين أساسيتين:

الأولى: هو كسب ثقة المجاهد باقناعه بشتى السبل بأن من حوله إخوانه، ويسعون لمصلحته.

الثانية: جره إلى نقاشات وحوارات، الهدف من ورائها الحصول على أي نوع من المعلومات التي قد تفيد المخابرات، والحقيقة أن المعلومات التي يتم أخذها عبر حلقات الدردشة تكون في العادة معلومات تكميلية أو معلومات أولية، والاستدراج نوعان هما:

أن يوضع المعتقل الجديد في غرف عصافير، لا يقومون بأي عمل أو حركة قد تثير حفيظة أو شك هذا المعتقل، ولا يتم سؤاله بتاتًا عن قضيته، وهم بذلك يحاولون إعمال جهدهم لكسب ثقة هذا المعتقل إلى مرحلة الثقة والأريحية في التعامل...

بعدها يبدؤون في إشراكه في جلسات دردشة تحت عدة عناوين فقد تكون دردشة

عامة وقد تكون جلسات ذات طابع أمني أو عسكري....

وبكون الهدف من جلسات الدردشة العامة التعرف على ثقافة المجاهد وعلى إرادته، هل هو متطرف؟ أم معتدل؟ هل كان على صلة تنظيمية بالأحداث أم كان خارج دائرة صنع القرار...؟ وعادة ما يتم طرح سياسات الحركة، وقراراتها أو بنائها التنظيمي أو آلية اتخاذ القرار في مؤسسات الحركة، وتطرح هذه المواضيع للنقاش والحوار ويقحم الأخ فيها لسماع وجهات نظره، وهل هو على اطلاع بمجريات الأحداث..أم لا؟

أما الهدف من حلقات الدردشة الأمنية والعسكرية فهو الكشف عن مدى ثقافة الأخ المجاهد العسكرية والأمنية ومحاولة جر قدمه للتعرف على ما يعرفه من معلومات أمنية، وما هي مدى خبرته في الأسلحة والمتفجرات وحرب العصابات والعمليات؟ وما شابه... وقد يحاولون من خلال هذه الدردشة التي يظهرون من خلالها أنهم «أي العصافير» أبطال حقيقيون نفذوا عمليات وقادوا مجموعات وشاركوا في عمليات قتل وتدمير وغيرها، وذلك من أجل دفع المجاهد للحديث عن نفسه وإطراء ذاته عبر إشعاره بالنقص في حال عدم تكلمه وانجراره خلف أحاديثهم... نعم سيحاولون إشعاره بالنقص في حال عدم تكلمه وانجراره خلف أحاديثهم لأنه لم يقم بأعمال مثلهم، وسيدفعونه عبر الكثير من الحيل والضغوط النفسية لكي يشاركهم بطولاتهم بحديثه عن نفسه وعن جهاده ونشاطه، وإن لم يستجب لهم فقد يلجؤون إلى أسلوب التشويه والاتهام بالعمالة، وهو أسلوب سنتحدث عنه في النقطة القادمة إن شاء الله -تعالى-

وبعد هذا الحديث عن حلقات الدردشة فما عليك أخي المجاهد إلا أن تعتصم بحبل الله-تبارك وتعالى- أولاً ثم بحبل الصمت لأنهما طرفا النجاة في مثل هذا النوع من المحن... واعلم أن العمل الخالص لله لا يجوز أن تضيعه بحديث الناس هنا وهناك فأنت هنا في هذا الأسلوب أمام محنتين أو أزمتين:

أولهما: أزمة الثقة وهي بأن تضع ثقتك بمن لا تعرف

وثانيهما: أزمة الإخلاص بأن تجعل عملك رياء الناس وليس خالصاً لوجه الله -تعالى-

١٤) عزل المجاهد وفرض مقاطعة عليه:

عندما لا يتجاوب المجاهد مع ألاعيب العملاء ويحافظ على خدره ولا يتعاطى معهم في الدردشات والمعلومات، حينها يجربون عليه كل الأساليب التي سبق ذكرها فإذا استمر بصموده أمام حيلهم وألاعيبهم، فإنهم يتقدمون نحو أسلوب جديد قاسٍ.. وهو فرض المقاطعة عليه داخل الغرف، وتنزيل بيان تشهير فيه، ويعمل هؤلاء العملاء على عزل المجاهد بشكل كامل، بحيث يأتي وحده ولا يغادر برشه «سريره» إلا للضرورة، على اعتبار أن المجاهد لا يحترم القوانين والأعراف الاعتقالية ولم يتعاطَ مع

متطلبات الواقع الاعتقالي، ونضال الأسرى، كما يتم وقف جميع الجلسات، حتى تنتهي الحالة الأمنية الخاصة بهذا المجاهد...

ومن ثم يتوجهون إليه ويقولون نحن مجبرون على هذا الفعل القاسي، وأنت أجبرتنا على ذلك، مع أن ذلك ليس من أخلاقنا، ولكننا لا نخرج على أعرافنا وتقاليدنا، ولذا عليك أن تحكي لنا كل شيء حتى نثق بك، ونعرفك جيداً ونطمئن من جهتك.... لذا فنحن مضطرون لكل هذه الإجراءات، مثل منعه من التحدث مع أي فرد داخل الغرفة، ومنعه من تناول الطعام الجماعي، وإنما وحده فقط كل ذلك لممارسة الضغط عليه وقهر نفسه، وإجباره على تقديم ما اعترف به، وما لم يعترف به، وممكن أن يستمر ذلك لعدة أيام، وفي بعض الأحيان يضعون على سريره بطانية لحجبه عن بقية الشباب، ولا يتم الإفراج حتى يعترف، أو يتم إعادته إلى قسم التحقيق لتهيئته نحو أسلوب جديد يتم التحايل فيه عليه وخداعه، إن غاب الحذر والذكاء والوعي.

أخي المجاهد عليك دائماً امتلاك الشجاعة والقدرة العقلية المميزة التي تدرك جيداً أنها أمام العدو الصهيوني الذي اشتهر عنه استخدام كل أساليب الخديعة والمكر والدهاء، وهذا يتطلب منك المزيد من الحذر والفطنة لتحصين نفسك من الوقوع في مخالب هذا العدو المجرم وعملائه.

١٥) الاتهام بالعمالة:

نتيجة إصرار المجاهد على حمل سره بقلبه وعدم التفريط فيه رغم كل الحيل والمسرحيات المصطنعة بعمق الغيظ والقهر في قلوب الصهاينة وعملائهم، لذا يضغطون بكل جهدهم من أجل تفريغ غيظهم وقهرهم في المجاهد بعد استخدام أقصى مستوى من التآمر والتحايل وصناعة المصائد للإيقاع به لتفريغ الهزيمة التي منوا بها خلال مراحل التحقيق والعصافير.

ولعل من أسوء وأخطر الأساليب التي يستخدمها العملاء ومخابرات العدو ولا يعطيهم ما يرغبون، وهم يسعون من وراء ذلك إلى دفع المجاهد للدفاع عن نفسه والتصريح بما يعتريه في قلبه من معلومات تخدم تحقيقاتهم وتفيدهم في إحباط العمل والمقاومة، ولذا يقومون بتعميم بيان على الغرفة يؤكدون فيها استمرار المقاطعة للمجاهد وعزله لأنهم يشكون فيه بالعمالة، وهم يتحرون في أمره وسيربطون اللثام عن حقيقته، ويؤكدون استمرار المقاطعة حتى يثبت براءته بنفسه، ويتكلم بما عنده محترماً الأعراف الاعتقالية والتنظيمية، والأمر بيده إن أراد إنهاء كل هذا الحصار، فعليه أن يقدم إفادة كاملة للمسؤولين.



يقول المجاهد «أبو أمجد» إن المخابرات وعملائها مارسوا معه كل أساليب التحقيق والخداع، ولكنها كانت دون جدوى، بعد ذلك تم نقلي إلى قسم العصافير وكان ذلك فترة اغتيال الشهيد القائد أيمن حلاوة، طلبوا مني المواضيع على إثر ذلك، ثم إنزال

تعميم في الغرفة بأني إنسان مشبوه، وفرضت علي المقاطعة الكاملة بحيث منعت من الأكل مع الشباب أو الحديث إليهم أو حتى النزول عن يرشي، ولما رأوا ذلك لا يجدي معي قاموا بوضعي على برش أرضي، وأغلقوا البرش علي بواسطة بطانية، ثم أحضروا لي بيانًا عليه ختم يشبه شعار حركة المقاومة الإسلامية حماس، ويتضمن هذا البيان الذي عمموه داخل الغرفة اتهامًا واضحًا لي بالعمالة، وأنني وراء تصفية الشهيد أيمن حلاوة، وهم يؤكدون أن البيان جاء إليهم عن طريق الزيارة، وبعد تعميم البيان جاءني موجه الأمن وطلب مني نفي ذلك وإثبات العكس ومصارحتهم بالحقيقة. رفضت ذلك بشدة، واستمرت مقاطعتهم لي، وكانوا يتحدثون بصوت مسموع عن نيتهم إنزالي زاوية، والتحقيق معي، لأني كما يدعون عميل وقاتل، أصريت على رفضي، ودامت المقاطعة والتهديد ٦أيام، ولم تنتهِ إلا عندما أخبروني أن لي زيارة محامٍ خرجت لزيارة المحامي لأجد شرطيا يحمل القيود، حيث تم وضعي في سيارة البوسطة ثم نقلت إلى التحقيق مرة أخرى.

فتأمل أخي المجاهد خطورة هذا الأسلوب الذي تفاجأ به على النفس، حيث يكون المجاهد يمثل حالة من الصمود والثبات والشموخ أمام المحققين والعملاء، ولكن عندما يواجه في لحظات بأنه متهم بالعمالة فهذا أمر كبير على نفسية المجاهد، وهو يرى نفسه ملقى ولا أحد يسأل عنه، وهو يعيش بين أناس لا يعرفهم، مقاطع ومعزول ومتهم بالعمالة وهذه المرحلة يراهن خلالها العدو أن يجعل المجاهد يفقد التركيز والقدرة على التفكير، والتصرف برعونة دون وعي، ويهب مدافعًا عن نفسه، ليشرح لهم من هو، معرفًا بنفسه فيكون حينها قد وقع في الفخ.

إذن فعليك أخي المجاهد التحلي بالصبر والتريث والوعي الأمني، وأن تدرك أن هذا الواقع الذي تتواجد فيه ليس بالمكان الذي يسمح لك بالتحدث وإبراز النفس، وإنما هو مكان فقط تحتاج فيه إلى الصبر والحكمة والصمت وعدم التورط بالحديث غير الضروري، واحذر أيها المجاهد فأنت تعيش في بحر من التآمر والخداع بين طرفين خطيرين العملاء والمخابرات، فيقتضي الأمر منك أن تحذرهم وتعي مسرحياتهم المصطنعة، حتى تحقق لنفسك النجاة والخلاص.

- استخدام الضرب البسيط من أجل الترهيب والتخويف:

وتستخدم المخابرات هذا الأسلوب والذي هو ملحق بأسلوب الاتهام بالعمالة حين تعجز بقية الأساليب عن الإيقاع بالمجاهد الذي تمارس عليه هذه المؤامرة، والمجاهد حينها إما أن يكون قد حكى للعملاء ما حكاه فقط عند المخابرات، وهم يطلبون ما لم يعترف عليه أو لم يعترف أصلًا عند المخابرات وواصل ذلك عند العملاء، وهو مصر وصامد ولا يساوم على المعلومة ولا يفرط فيها، فحينها يتم تهديده وإرهابه وربما أحيانًا يتم دفعه أو صفعه على وجهه صفعة أو صفعتين، وربما يتم تخويفه

بالتشفير دون أن يحصل ذلك مع تهديد بالإخضاع وبالزاوية كما تحدثنا سابقًا.

وهم يهدفون من ذلك إلى ضعضعة نفسيته وكسر شوكته وانهيار معنوياته، لذا فإن حقق المجاهد للعدو هدفه وارتعب وخاف فقد هلك وأضاع نفسه لذلك كن شجاعاً واثقًا من نفسك، وتعاظم على كل حيلهم ومؤامراتهم، وانظر إليهم من خلال الانتماء الشجاع الذي تضمره في قلبك لدينك ووطنك ودعوتك، ولا تفرط بنفسك بثرثرة هنا أو هناك تضعك في السجن لسنوات طوال، فتحلى بالذكاء والفطنة ولا تسلم عقلك لعدوك ليمرغ أنفك في التراب، وكن عزيزًا قويًا ثابتًا كما قال تعالى: «لا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين».

١٦) نماذج ذكية:

عندما نتحدث عن نماذج ذكية فإننا نتحدث عن أساليب، الأصل فيها أن لا تنطلي على المجاهد الكيس الفطن، وأن تكون معلومة لديه، أما سبب تسميتنا لها بالذكية، فذلك لأنه يتم استخدام وسائل وتقنيات كان الأصل أن تبقى في منأى عن حبال وألاعيب المخابرات ولكن أين بهذه الحيلة الحقيرة ولهذه الدولة المسخ أن تستثني أيًا من أجهزتها سواء الإعلامية أو السياسية أو غيرها من خوض غمار هذه المعركة الشرسة ضد المجاهد؟

وإليك أمثلة على هذه النماذج الذكية:

١- وسائل الإعلام.

فور الحديث عن وسائل الإعلام قد يتبادر إلى الذهن حيادية هذه الأجهزة، وبعدها عن مجريات التحقيق، وعن ما يدور داخل أقبية التحقيق، وهذا قد يكون صحيحًا لكن في أي دولة عدا هذه الدولة الحاقدة التي ما انفكت تستخدم كل ما لديها للإيقاع بالمجاهد.... ومن هذه الشراك التي استخدمتها المخابرات ومسائل الإعلام من تلفاز وراديو وصحيفة وغيرها...

ولكن ما هي آلية استخدام هذه الوسائل؟

إن الدور الذي تقوم به هذه الوسائل هو نشر بعض الأخبار الملفقة من قبل المخابرات التي تهدف من ورائها إلى إيصال معلومة معينة للمجاهد من خلال وسيلة تتوقع المخابرات أنه سيثق بها بعد أن تفشل المخابرات في الوصول إلى قلب المجاهد، فإنها تسعى إلى ذلك مستخدمةً ما توفر لها من وسائل سواء العصافير أو الأصدقاء أو أجهزة التنصت أو حتى أجهزة الإعلام، وحتى يتضح ما ذكرنا ولننتقل من دائرة العموميات إلى دائرة الشروح والتوضيحات فإننا نسوق هذه الأمثلة:



يقول المجاهد «أبو القعقاع» بعد أن فشلت المخابرات في انتزاع أي معلومة مني في غرف التحقيق، لجأت المخابرات إلى إنزالي إلى غرفة العصافير، وهناك استقبلوني استقبالاً حاراً وقاموا بترتيب أموري من حلاقة ودش وملابس نظيفة..الخ حيث كنت

في حالة مزرية بسبب مضي أكثر من خمسين يومًا على وجودي في التحقيق. ومكثت أياماً دون أن يسألني فيها أحد أي شيء لم أعترف عليه، إنما كانت أسئلة طبيعية، كتلك التي توجه إليك في السجن الحقيقي، وبعد حوالي أسبوع من دخولي غرف العصافير كنا نشاهد نشرة أخبار الساعة السابعة على القناة الأولى الإسرائيلية، والتي كنا نحرص على حضورها بشكل يومي، وخلال النشرة تتم إذاعة خبر مفاده أنه تم اغتيال المجاهد «يوسف» الذي استشهد أثناء اشتباك مسلح على حد زعم الإذاعة إثر كشف مخبأه. وقد وقع هذا الخبر عليّ وقع الصاعقة لأن كل فترة التحقيق معي كانت حول علاقتي بالأخ يوسف، المهم أن بعض الشباب الذين في الغرف شاهدوا ردة فعلي غير الطبيعية حيث أنني أخذت أبكي... وجاء الشباب إلي وسألوني عن سبب بكائي، وأخذوا يشدون من أزري، فقلت لهم إن الشهيد يوسف كان من أعز أصدقائي، ولما سمعوا ذلك قاموا بتعزيتي، وقاموا بعمل قهوة سادة وفتحوا المسجل على القرآن، وبقوا حولي يواسونني، وفي اليوم التالي جاء بقية الشباب من الغرف الأخرى وقاموا بواجب العزاء.

وبعد يومين من هذا الحادث جاء إليّ أمير الغرفة وقال لي أريدك في موضوع هام وخرجنا للتمشي في الفورة، وقال لي يا: أخ أبو القعقاع، وصلتنا رسالة من الخارج بخصوص استشهاد الأخ يوسف، وقد أبلغنا فيها أن الأخ استشهد بناء على خرق أمني حصل، وهم يريدون معرفة هذا الخلل، وقد أعلمونا أنك قد تكون مفتاح ذلك، عندما سمعت هذا الكلام تفاعلت معه وأخبرته عن كل ما أعرف عن المجاهد يوسف، وعن علاقتي به، وعن الأخوة الذين كان يتردد عليهم، وعن الأماكن التي كان يتواجد فيها، حتى أني ذكرت له الأماكن التي يمكن أن يكون لجأ إليها بعد اعتقالي... وكتبت ذلك وأنا على قناعة أن ذلك سيخدم قضية التحقيق في قضية اغتيال الشهيد يوسف، ولكن للأسف فقد كنت عند العصافير، ولم أدرك هذه الحقيقة المرة إلا بعد عودتي إلى التحقيق، وليت الأمر وقف عند ذلك، بل لعل ما في القصة أني وجدت الأخ يوسف في التحقيق، فهو لم يستشهد كما أذيع في التلفاز، وقد تم اعتقاله بناء على المعلومات التي أعطيتها لأمير الغرفة فهل من مدّكر.

٢- استخدام الصحف في الإيقاع بالمجاهد:

● يقول المناضل أبو ثائر تعرضت لتحقيق طويل حول ارتباطي بعملية إطلاق نار على مستوطنين، وقع فيها إصابات، وخلال فترة التحقيق أنكرت أية علاقة لي بهذه العملية وبعد حوالي ٢٥يومًا، أبلغت بأن التحقيق معي في سجن عسقلان ودخلت إلى غرفة معتقلين، قابلوني بكل ترحاب، وقد عرفت أن هذه الغرفة هي لفتح وهي نفس الفصيل الذي أنتمي إليه، حيث أخبرني الشباب أن الإدارة أفرزتني على هذه الغرفة بناء على ملفي عندهم، حيث أن عليّ اعتراف بأني نشيط في فتح، وكان

جميع هذه الغرفة ينتمون إلى فتح عدا ثلاثة أشخاص كانوا من اليسار الفلسطيني.

لم يكن في الغرفة أو في تعامل الشباب معي ما يلفت النظر أو يدعو إلى الشك، وكانت هناك جلسات سمر ليلية، تبدأ بعد العشاء وتستمر حتى ساعة متأخرة من الليل وكان محور هذا السمر حول مواضيع سياسية واجتماعية ومناقشة التحليلات والأخبار في الجرائد العبرية والعربية، بعد عدة أيام من دخولي إلى الغرفة وأثناء قراءة شباب اليسار للجريدة العبرية قال أحدهم بصوت عادي لقد تم اعتقال منفذي عملية إطلاق النار على المستوطن في منطقة «س»، وهي نفس العملية التي كان يتم التحقيق معي من أجله! وأردف هذا الشاب يقول: بأن هذه المجموعة تنتمي إلى الجناح العسكري للجبهة الشعبية، وذكر الكثير من التفصيلات «المغلوطة» حول العملية، وهذه المعلومات كانت مكتوبة في الجريدة وقد تأكدت من ذلك لأني أتقن العبرية ،لم ينته الخبر عند ذلك لأن شباب فتح أخذوا يقرؤون الخبر في الجريدة، عندها قال أحد شباب فتح إن أخبار الجريدة كاذبة لأن الجناح العسكري لفتح قد أعلن مسبقاً عن العملية، ولا يمكن لكتائب شهداء الأقصى أن تتبنى ما ليس لها وأن هؤلاء الشباب الذي اعترفوا على العملية كاذبون ويريدون التباهي بها فقط. وهنا امتد شباب اليسار وراء نقاش طويل وحاد حول هذا الموضوع... وأخذوا يرددون تفصيلات غير صحيحة عن هذه العملية سواء شباب اليسار أو فتح، ولا شعورياً وجدت نفسي أشترك في هذا النقاش بدافع حرصي على أن لا يتبنى عملنا وجهادنا غيرنا بدأت أسرد الكثير من تفصيلات العملية، وكنت أقول لهم أن هذه المعلومات سمعتها من الناس وأنا في الخارج ولم أطلق نفسي بها إطلاقًا بعد هذا النقاش بيومين طلبت لزيارة الصليب، وفجأة وجدت نفسي في أقبية التحقيق مرة أخرى، أعادوا عليّ الأسئلة عن العملية أنكرت، وأخبروني عندها أني كنت عند العصافير، شعرت بالصدمة، لكني تماسكت وقلت في نفسي: حتى لو كنت عند العصافير، فإني لم أتحدث بأي شيء يدينني أمامهم...

ولكن المخابرات راجعتني في تفصيلات العملية التي ذكرتها عند العصافير وكان من الواضح أن هذه المعلومات لا يمكن إلا من شارك في العملية أو خطط لها، وهنا وقعت في ذلك الشرك الذي نصبته المخابرات عن طريق الجريدة، ولم أجد بعد الضغط من الاعتراف بالعملية والسبب في ذلك يرجع إلى خبر في الجريدة؟!

٣- نماذج أخرى:

ومن النماذج والأساليب الذكية أيضاً ما حدث مع المجاهد «رزق» الذي يروي قصته قائلًا:



اعتقلت من بيتي في الساعة الثانية ليلًا وكان هذا هو أول اعتقال لي، ومع ذلك فقد كانت معلوماتي حول الاعتقال والعصافير جيدة، لذلك كنت مستعدًا لهذه المرحلة،

بدأت رحلتي بمعتقل عتصيون، حيث مكثت هناك يومين فقط أبلغت خلالها بأنه تم تحويلي إلى الاعتقال الإداري لمدة ٤شهور، وبعد ذلك تم نقلي إلى سجن مجدو قسم الخيام، حيث دخلت قسمًا مكون من خيمتين، وفيها مالا يقل عن ٢٥ معتقلًا كان من الواضح أنه معتقل حقيقي كما كنت أقرأ، وهنا كانت بداية النهاية، حيث إنني وثقت بهم بسبب طيب معاملتهم، لي ولأنهم كانوا من فصائل متعددة، وليس من فصيل واحد فقط ثم لأني لم أذهب إلى التحقيق كما هي العادة فما قرأته يقول أن المجاهد يعتقل ويذهب للتحقيق، وإذا لم يدلي باعترافات فإنه يعطى إداري أو ما شابه لكي يتم تحويله إلى غرف العصافير تحت هذه الحجج، أما أن يتم الاعتقال ومن ثم مباشرة إلى غرف العصافير فلم أسمع عن مثل هكذا حادثة أبدًا ولكن للأسف فهذا ما حدث لي، ولعل أكثر ما خدعني إضافة إلى ذلك هو وجود الخيام، فلم أكن أسمع إلا أن العصافير موجودون في الغرف وليس في الخيام.

وهكذا لقد وقعت فريسة لهذا الأسلوب الجديد، وأدليت بما لدي من معلومات، فهل تكون قصتي عبرة لمن ألقى السمع وهو شهيد....؟

فلسفة الخلاص من العملاء في الزنازين وغرف العار:

١) الوعي والدراسة لكل أساليبهم وفهمها بعمق والتعامل وفق هذا المنظار.

٢) كل من يسأل عن القضايا التي لم تعترف عليها فيهو عميل بلا شك، سواء كان في الزنازين أو في السجن، لأن الأسير لا يتطرق لمثل هذه الأسئلة.

٣) يمكن التمييز بين غرف العار وغرف السجن الحقيقي بسهولة، فغرف العصافير مهما كبرت واتسعت يكون عدد العملاء فيها بالعشرات وفي جميع الحالات لا يزيد عن خمسين على أكثر تقدير، فيما السجن الحقيقي يكون عبارة عن أقسام كبيرة يعد أسراها بالمئات وتحوي عشرات الغرف.

لكن هنا لا بد من التنبيه إلى أمر في غاية الأهمية وهو أنه قد يتم افتتاح غرف العصافير في بعض السجون المدنية، حيث توضع غرفة العصافير بجانب غرف المعتقلين الجنائيين مما قد يوحي للمجاهد أنه في قسم كبير، يحوي مئات المعتقلين ولكن مع ذلك فمن السهولة بمكان تمييز المعتقلين الجنائيين عن المعتقلين المدنيين.

وما ينطبق على الغرف ينطبق على الخيام.

٤) إذا ما استطعت معرفة العصافير سواء في الزنازين أو في غرف العصافير أو حتى شككت فيهم فإياك أن تصارحهم بذلك، وتعامل معهم وكأنك لم تعرف حقيقتهم، إذا لم يكن لديك اعتراف عند المخابرات مركز في حديثك على أنك لا تدري لماذا اعتقلت؟ وأنك مظلوم، وأن المخابرات لا شك ستفرج عنك، أما إذا كان عندك اعتراف جزئي أو شبه كلي عند المخابرات فعليك ألا تزيد شيئًا عما تحدثت به عند المخابرات، وبشكل طبيعي لا تشعرهم بأنك كشفت حقيقتهم.

٥) إذا سمحوا لك في غرف العصافير بالاتصال بالبلفون فاستغل ذلك للاتصال بالأهل فقط وطمئنهم على نفسك، ولا تزد في حديثك عن دقائق معدودة، تسأل فيها عن أخبارهم وأحوالهم وتخبرهم أنك متصل من داخل السجن، وأنك اعتقلت بطريق الخطأ ولا تعطِ للأهل فرصة للحديث خارج إطار السلامات، لأن البلفون سيكون مراقبًا واحرص أن تفعل ذلك دون لفت للنظر.

٦) من اللافت للانتباه أن بعض الإخوة الذين يملكون معلومات عن العصافير ينتبهون للشكل وليس للمبدأ، حيث يكونون حذرين إزاء شكل وأسلوب معين من خدع وألاعيب العصافير، فإن غُير هذا الأسلوب أو ذاك الشكل وقعوا في الشرك بسهولة.

وهنا لا بد للأخ المجاهد أن يعلم أن المبدأ هو الأساس، وليس الشكل والهيئة، والمبدأ يقول: أن السرية التامة وحجب المعلومات بشكل كامل عن أي إنسان تحت أي مسمى أو هيئة هو الأصل في التعامل مع شركاء الزنازين ومعارف السجون، وهذا يفيد الأسير الذي لن يتفاجأ بأي أسلوب جديد.

٧) ليس مطلوب منك أن توضح وجهة نظر الحركة حول أي موضوع أو تصريح أو موقف، كما أنه ليس مطلوب منك تبني أي عملية أو شرح تفصيلات قد تؤدي بك إلى الهاوية.

٨) إن عبارة الاتصال بالأخوة في الخارج من أجل إصلاح الخلل وإنقاذ ما يمكن إنقاذه وتقليل الخسائر وتحذير الإخوة لتفادي الضربة والحرص على استمرار العمل، كلها عبارات مخابراتية لا يستخدمها إلا العملاء.

٩) إن عبارات التهديد التي تستخدم ضد المجاهد المعتقل مثل المقاطعة والتهديد بالزاوية والتشفير والوضع تحت الحالة الأمنية والاتهام بالعمالة أو التهديد بالقتل والضرب لا يمكن أن يستخدمها التنظيم الحقيقي، إنما هي عبارات كلها من صنع العصافير العملاء.

١٠) قد يخرج المعتقل أثناء مكوثه في غرف العملاء لمقابلة المحامي أو الصليب فلا يجوز أن تعتبر ذلك عامل ثقة فكثيرة هي الحالات التي تقمصت في المخابرات شخصية المحامي أو موظفين الصليب الأحمر وحتى لو زارك محامٍ تعرفه فليس معنى ذلك أنك موجود عند سجناء حقيقيين شرفاء.

١١) إن درجات التقوى والخشوع التي يظهرها العصافير في غرفهم يجب أن لا تنطلي على المجاهد فأنت قد تجدهم يحفظون القرآن ويرتلونه أحسن ترتيل، ويبالغون في الصلوات والعبادات وقيام الليل والأدعية والمأثورات وما إلى ذلك، لتطمئن لهم وتنصاع لما يطلبونه من معلومات، فهذه المظاهر يجب أن لا تكون تذكرة للدخول في مركبة الوثوق بهم وتقديم المعلومات لهم، التي لم تقدم للمحقق.

١٢) إن الاعتراف عند العصافير لا يقل عارًا عن الاعتراف عند المحققين، وليس

ذريعة لتبرير الاعتراف مهما كان السبب ومهما كانت الحيل المستخدمة فمن من شعبنا لم يسمع عن غرف العصافير وأساليبهم؟ ومن من شعبنا لا يعرف أن أسرارك يمنع أن تبوح بها لأي شخص داخل السجن حتى لو كان أميرك ومسؤولك في الخارج؟

١٣) إن الثقة والصداقة مهما تعاظمت بين المجاهدين وبين أشخاص آخرين داخل السجن لا تجيز لهذا المجاهد أن يفشي أي سر يحتفظ به، لأن هذه الأسرار ملك للدعوة والتنظيم، وليس للأشخاص حق بالتفريط بأي كلمة منها.

١٤) قاعدة لابد منها: الصمت وعدم الثرثرة مطلوبان من المجاهد، سواء أثناء التحقيق معه أو حتى بعد نزوله إلى السجن الحقيقي، ومهما كانت صفة أو أهمية المجاهدين الذين يعيشون معه فليس هناك سلطة لأي أحد داخل السجن لمعرفة أي نشاط لأي مجاهد لم يعترف به في التحقيق حتى في السجن الحقيقي، وبين المجاهدين يظل المجاهد معرض لخطر ابتزاز المعلومات منه من قبل عملاء مندسين غير معروفين.

كيفية التصرف في حالة اعترافك عند العصافير:

إن قضية العصافير مشكلة معقدة وفي نفس الوقت بسيطة، ولكن بما أن الإنسان يجهلها فقد يقع بها بحكم عدم المعرفة بتفاصيل مؤامرات العدو وعملائه وهي بسيطة لو كان حكيمًا وفطنًا ومدركاً لطبيعة العدو ومكائده، فالعدو نفسه يمارس ضد المجاهد حربًا نفسية ويجند كل الإمكانيات والمشاعر والمعلومات لفتح صدر المجاهد من أجل أن يتكلم ويبوح بما في صدره من معلومات وهي هدفهم المنشود في النهاية.

ولهذا إذا ما وقع المجاهد في غرف العصافير ثم وجد نفسه أمام ضابط المخابرات فعليه أن ينكر كل ما قاله أو كتبه أو ما سمعه مسجلاً مهما حاولوا إحباطه وإيهامه بعدم جدوى ذلك وهم يركزون على عدة قضايا لإثبات عدم جدوى الرفض مثل :

١) قانون تامير: وهم يستخدمونه من أجل إقناع المجاهد بأنه إذا رفض التوقيع أو الإقرار باعترافاته فلن يجدي ذلك معه تفاعلاً لأن هناك شهودًا وهم العصافير الذين حكى أمامهم وهناك تقرير المخابرات للقاضي الذين سيوصون فيه بفرض حكم عالٍ إذا رفض الإقرار باعترافاته.

٢) التهديد والترهيب: من أجل إجبار المجاهد على تأكيد اعترافه أمام المخابرات بعد أن رفض الإقرار بذلك.

٣) التهديد بالحكم الإداري: فهم يستخدمون التهديد بالحكم الإداري على المجاهد مع استمرار تمديده حتى يقضي فترة الحكم كله بل أكثر مما سيلقاه في حال اعترف.

فهذه أهم القضايا التي يستخدمها ضابط المخابرات ضد المجاهد من أجل نزع توقيع منه أمام الشرطة بالقضايا التي حكاها عند العصافير، ولذا على الأخ المجاهد أن يدرك أن إصراره على الرفض يثمر، وأن صموده أمام محاولات الإحباط والتيئيس

من قبل ضابط التحقيق يحقق هدفه فبما أنك لم تعترف أمام الشرطة، وتضع بصمتك على أقوالك فلن يستطيع أن يفعل لك أي شيء، ولهذا عليك أن تدرك أن الشهادات دون اعتراف تبقى ضعيفة ولو كانت مجدية لما احتاجوا أن يضغطوا عليك كل هذا الضغط من أجل تثبيتها عند الشرطة، وأن الحكم الإداري ممكن أن يمارس، لكنه سيكون أكثر ضعفًا من تمديد الإداري لك بسبب إخضاعك للتحقيق وعدم حصولهم على اعتراف منك وحتى وإن حصل وتم تمديدك فإنك تكون بمستوىً معنوي أقوى وأفضل، وسيكون لصمودك وإصرارك وقع عظيم على نفسك وإخوانك، بينما لو اعترفت فإن هذا سيعطيك حكماً كبيراً لأنك وضعت بصمتك على أقوالك عند الشرطة، فاعلم أخي أن صمودك وإنكارك لأي شيء قلته في غرف العصافير هو طريق النجاة، وإصرارك ورفضك لكل ضغوطاتهم هو الذي يعيدك إلى البيت والأهل والأحبة....

وأحيانًا أخرى تحاول المخابرات أن تهون القضية وأنه لا شيء مقارنة بغيرها، من أجل أن يوقع المجاهد عليها وينظر لها ببساطة وهي حيلة لجعله يوّقع أمام الشرطة، وأحيانًا يحاولون إرهابه بقولهم له: أنت قضيتنا الوحيدة ومشروعنا الأوحد، ونحن من جهتنا سنبقى معك ووراءك حتى ترى مَنْ فينا سوف يكل أو يمل، وهم يسعون للضغط على نفسية المجاهد لكي يوقع، والأمر مرهون بنفسية المجاهد ومعنوياته...

فاعلم أخي المجاهد أن العدو عندما يدفعك للاعتراف فهو لا يدفعك نحو الأفضل والأحسن لك، وإنما هو يدفعك نحو المرحلة الأخيرة من خطواته المتسلسلة للإيقاع بك فاحذر أن تنساق وراء خدعه وحيله، واعلم أن الإصرار والصمود هما الطريقان اللذان فيهما الرفعة والكرامة لكل مجاهد ولأي قضية عادية تدافع عنها.

أما قانون «تامير» فهو يعتمد على اثنين من الشهود، يشهدون ضد المتهم شهادة واضحة، ولكن حتى لو توفرت شهادتين أمام القضاء، فإن القاضي يأخذ بالاعتبار عدم اعتراف المتهم، ولهذا تسعى النيابة في مثل هذه القضايا إلى الاتفاق مع المحامي والوصول إلى حل بشكل قاسم مشترك بين الطرفين، وأما الاعتراف والإقرار فيعني أن تكون تحت سوط المخابرات والقاضي والنيابة.

فالإصرار والصمود وعدم الرضوخ لضغط العدو وعملائه ورفض كل ما يقول العملاء يساعد كثيرًا فهناك العديد من الشباب الذين اعترفوا عند العصافير وسحبوا اعترافاتهم عند المخابرات.



يقول المجاهد «محمد» سنة ٢٠٠٢ نزلت للتحقيق ولم يأخذوا مني أية كلمة في التحقيق وأنزلوني عند العصافير وأخذوا مني إفادة وهو أنني قتلت عميلًا عندنا في المنطقة، ولم يكن في هذا الاعتراف تفصيلات كما أنني أضفت أنني كنت أرغب بتنفيذ

عملية إطلاق نار على دوريات الاحتلال، وعندما خرجت للصليب تفاجأت.. وإذا بي أمام ضابط المخابرات، وحينها عرفت أنني وقعت، فصاروا يضحكون مني ومن صمودي، وطلبوا مني التوقيع فرفضت، وقلت لهم أصلاً أنا عرفت أنهم عملاء، وقلت لهم ذلك لأتخلص منهم وكل هذا الكلام ليس له من المعنى شيء، واستمر على ذلك. وعندما خرج إلى السجن أخذ حكم سنتين فقط على فعاليات في الانتفاضة كان قد عملها.



وأخ آخر كان عضواً في أحد التنظيمات الفلسطينية، وكانت له علاقة مع حماس لم يأخذوا منه شيئاً خلال التحقيق، ولكنه نزل عند العصافير، والتقى مع مجموعة منهم تمثل أنها متدينة، وأنها تنتمي لحركة حماس، ولما سألوه عن قضيته، قال: تنظيمكم، لماذا أنا هنا؟ وحينها أدركوا أن له علاقة بـ«حماس»، وحكى لهم عن معرفته ببعض شخصيات حماس العسكرية في الخارج، ولكنه عندما أعيد إلى أقبية التحقيق ووقف أمام المخابرات، وبدؤوا بالسخرية منه قائلين له: ألم نقل لك إنك لم تحكِ لنا الصحيح، ولكنك الآن بدأت تحكي، فرد عليه الأخ المجاهد -وهو يعمل في أجهزة أمن السلطة-: كل هذا الكلام غير صحيح، أنا دخلت عند شباب يدعون أنهم حماس، وأنا لا أعرفهم ونظراً للعداء بين حماس وأجهزة أمن السلطة، فخشيت أن أقول لهم أنني أعمل في جهاز المخابرات الفلسطيني، لأنهم سيقتلونني، ولهذا قلت لهم إنني صاحب علاقة معكم في حماس وصارحتهم تجنبًا لأي ضرر منهم.

المخابرات لم تقتنع ولكنه استمر مصراً على ذلك، واستفاد من هذا التبرير الذي استخدمه وهذا أخي المجاهد يقودنا إلى شيء مهم وهو أنه يمكن لك أن ترفض كل ما قلته أو كتبته عند العملاء إذا لم توقع عليه عند الشرطة.

فهذه أخي نماذج واضحة لإمكانية الإنكار ورفض التوقيع، وهذه الطريق واضحة ومقروأة لك، ولكل صاحب عقل سليم وقلب قوي صامد، فعليك أن تختار طريق الصمود والتحدي وعدم الرضوخ أو تقضي بقية عمرك بين جدران السجن.

كلمة لا بد منها

اعلم أخي المجاهد أنك إن كنت تنتمي لتنظيم فإن تنظيمك يعرف كل ما عملت فهو لا يحتاج أن يعرف الأمور التي لم تعترف عليها عند المخابرات لهذا فلا يوجد شخص من تنظيمك في السجن يحتاج أن يسألك عن أفعالك خارج السجن والتي لم تعترف عليها.

كن مستعدًا : أنت في التحقيق منذ أن وضعوا القيد في يديك حتى تعود إلى بيتك، كن مستعدًا للقاء من تأمن مكرهم.

تذكر دائمًا : أن أسرار الدعوة أغلى ما تملك، تذكر أنهم كلهم يريدون منك الاعتراف بأغلى ما تملك.

تذكر: سنين عمرك التي ستقضيها في السجن إذا اعترفت.

تذكر: أرواح قد تزهق وأنت السبب لأنك أعطيت المعلومة التي تملكها.

تذكر: دعوتك أمانة... المعلومة أمانة.... فلا تضيعها، تذكر من يثق بك ويعطيك المعلومة، كيف ستواجهه إن اعترفت.

تذكر: أولادك وزوجتك سيطول فراقهم إن اعترفت.

تذكر: إخوانك في الخارج يريدون عودتك لصفوف الدعوة وحاجتهم لك، فلا تعترف وتفقد أملهم بك.

تذكر: التحقيق مرحلة تنتهي أما آلام الاعتراف مرحلة طويلة لا تنتهي.

هل : ترضى أن تكون سببًا في اعتقال مطلوب أو مطارد....؟

هل : ترضى أن تكون سببًا في استشهاد قائد أو مجاهد....؟

هل : ترضى أن تكون سببًا في ضرب سلاسل الدعوة والإخوان حتماً إنك لا ترضى ذلك.

لذلك : تحمل الأذى والبلاء من أجل المحافظة على دعوتك.

لذلك : تحمل الأذى والبلاء من أجل الفوز برضى الله -عز و جل-

الاعتراف يعني : مؤبدات... سنين طويلة... شهداء... تسليم سلاح... اعتقال مطاردين.

فهل ترضى : أن تكون سبباً في ذلك....؟

ليكن شعارك : وعجلت إليك ربِّ لترضى....ولن أسلم أية معلومة أمتلكها.

والله أكبر ولله الحمد

تم بحمد الله تعالى

الفهرس